جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

غريب القرآن الكريم في تفسير التحرير والتنوير من سورة الأحقاف إلى سورة الذاريات

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية – تخصص: التفسير وعلوم القرآن

الطالبة: تي مفيدة

المشرف: الأستاذ:محمد الصالح غريسي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الكريم بوغزالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسًا
محمد الصالح غريسي	أستاذ مساعد– أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفًا ومقررًا
عمارة ميلود	أستاذ مساعد– أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	عضوًا

السنة الجامعية: 1436–1437هـ/2015–2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر أولاً وأخيرًا لله على ما أولانا من كرمه ومنّه فيسّر لي التوفيق لإتمام هذا البحث فهو صاحب النعمة والفضل.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير متوج بالعرفان الجميل لفضيلة الأستاذ – **محمد الصالح غريسي**– الذي تفضّل بالموافقة على الإشراف على هذه المذكرة وزّينها بملاحظاته ونصائحه وتوجيهاته برحابة صدر، كما أشكره على صبره وتحمله، فجزاه الله عنّي وعن غيري خير الجزاء وبارك الله في عمله ووقته وله منّي الدعاء إلى الله أن ينفع بعلمه ويوفقه لمرضاته، فله الشكر الوفير، والاحترام والتقدير.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل القائمين على جامعة– حمه لخضر– بالوادي عمومًا، ومعهد العلوم الإسلامية خصوصًا، وأخصّ فائق شكري وتقديري للقائمين على هذا القسم من رئيسها ودكاترتها وأساتذتها وكل طاقمها الإداري والعملي فلهم جزيل الشكر على ما بذلوه وعلى ما يبذلون.

والشكر موصول أيضًا إلى كل من أسدى إليّ نصيحة أو نّبهني إلى خطأ أو أعانني في شيء من قريب أو بعيد.

ولكلّ الأخوات والإخوة في الله، وزميلات وزملاء الدراسة لهم الشكر والثناء.

إلى كلّ من ساعدني في هذا البحث عظيم الشكر وفائق التقدير، وفّق الله الجميع.

وأسأل الله التوفيق والفلاح، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

الإهداء

إلى من سهرت على تربيتي، إلى نبع الحنان التي أوصاني بها ربي، إلى والدتي الغالية، أطال الله عمرها في طاعته ومنحها الصحة والعافية.

إلى من زرع فيّ تقوى الله وحب العلم، إلى من أوصاني به ربي، إلى والدي العزيز أطال الله عمره في طاعته.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء وعائلاتهم جميعًا.

إلى كل الأحباب من الأهل والأقارب والأصدقاء.

إلى كل من علمني في جميع مراحل حياتي الدراسية ومنحني من وقته وعلمه.

إلى رفيقات الدرب في سنوات الدراسة والبحث، وإلى كل رفيقات جميع مشوارنا الجامعي.

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا.

تي مفيدة

ملخص البحث:

تناول البحث في هذه المذكرة دراسة علم غريب القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، ولذا فهذا البحث يتعرض لذكر لمحة موجزة عن الإمام ابن عاشور مع أبرز محطات حياته، كذلك تتضمن هذه الدراسة التعريف بتفسيره الشهير.

ويتناول هذا البحث أيضًا التعريف بعلم غريب القرآن ومعرفة تطوره ونشأته وأهم مؤلفاته ومناهج المؤلفين في التأليف فيه، كما يركّز البحث على هذا العلم في تفسير ابن عاشور وذلك بمعرفة منهجه في عرض اللفظة الغريبة وكيفية الاستدلال عليها، ومصادره في ذلك، إضافة للخصائص التي تميّز بها هذا التفسير في شرح الألفاظ الغريبة.

والقسم الثاني من هذه المذكرة فهو للدراسة التطبيقية وذلك من خلال استقراء الجزء المدروس- من سورة الأحقاف- إلى سورة الذاريات- واستخراج الألفاظ الغريبة ودراستها ومقارنتها بأقوال أهل العلم من اللغويين وأصحاب الغريب والمفسرين.

ثم في الختام خاتمة تحمل أهم النتائج وأهم التوصيات المقترحة.

Research Summary

The research in this letter is a study of a nation flags « Imam Mohamed Tahar Ben Achour » and the subject of strange Koran with him through his interpretation liberation and enlightenment, and so this research is exposed to mention a brief overview of the life of Imam with leading his stations, this study also includes definition of the famous interpretation.
This research deals with the definition also with the knowledge of the Koran and the strange .knowledge of its origins and evolution, and the most important files and authors curricula

This research on this science in the interprétation of Ben Achour focused by knowing his approach in the presentation of exotic language and how to infer the sources and in that, in addition to the properties that distinguish them this explanation to explain the strange vocalisations.

his research on this science in the interpretation of Ben Achour focused by knowing his approach in the presentation of exotic language and how to infer the sources and in that, in addition to the properties that distinguish them this explanation to explain the strange vocalizations.

The second chapter devoted to the study and applied it in part through extrapolation studied - from al-ahqaf - to Surat Almariaat- and extraction of exotic words and study and compare with statements of the scholars of linguists and the owners of the strange and commentators.

In conclusion a summary take the most important findings and proposed recommendations.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه شرعةً ومنهاجًا وجعله حجةً على عباده، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺوعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم كلام ربّنا الجليل أصدق الحديث والقيل جعله الله قابلاً للفهم والتدبير لما فيه من عظيم الفوائد تدل على فضل البديع، جمع فيه سبحانه العلوم النافعة والمعاني الجليلة والكاملة، وبما أنّ الاشتغال به أفضل تقرب إلى الله تعالى فقد اعتنى به العلماء عناية فائقة حيث ما زال العلماء منذ نزوله يتعاقبون على دراسته ويعكفون على استخراج كنوزه وعلومه كلٌّ حسب موضوعه وتصنيفه، هذا وإنّ لعلماء التفسير من ذلك أوفر الحظ والنصيب حيث صرفوا الهمم لتدبر كتاب الله وفهم مراده عزّ وجل فكان من ذلك المؤلفات العظيمة في التفسير على اختلاف مناهج أصحابها، ومن أعظم ما أُلّف في هذا الشأن في العصور المتأخرة تفسير التحرير والتنوير، فهو تفسير عظيم صاحبه أحد أعلام الأمة الشوامخ وواحد من أوعية العلم الكبار له يد طولى في شتى المجالات والعلوم.

ولقد كان لهذا التفسير مميزات عظيمة جعلته مثار إعجاب من علماء عصره والعلماء بعده، وجعلته يحتل مكانة رفيعة، فمن أهم الأمور التي تميّز بها الجانب اللغوي وقد ظهر ذلك جليًّا في مصنّفه فهو إمام في العربية عالم بدلالات الألفاظ ومعانيها وتراكيبها. ومن الجوانب اللغوية التي اعتنى بها ابن عاشور تفسير المفردات الغريبة، حيث اهتم رحمه الله بهذا الجانب ووظفه في كتابه ببيان معاني ودلالات الألفاظ وأصول اشتقاقاتها، وقد أبدع وبرع في تفسير الألفاظ وشرحها براعةً أضفت لتفسيره قيمة علمية كبيرة.

فمن هذا المنطلق وقع الاختيار على الإمام بن عاشور، حيث قررت البحث في علم غريب القرآن عنده من خلال تفسيره، واستقر البحث في هذا الموضوع بعنوان:

غريب القرآن الكريم في تفسير التحرير والتنوير – من سورة الأحقاف إلى سورة الذاريات –

أهمية البحث:

أهمية البحث وشرفه بشرف موضوعه لارتباطه بكتاب الله العزيز خاصة إذا تعلق الأمر بعِلم من علومه كعلم الغريب، وعند عَلم من أعلام هذه الأمة الذين يُشهد لهم بالدقة وطول النفس في تحرير المسائل وتنقيحها كابن عاشور، ولهذا تكمن أهمية البحث في:

1. الوقوف على جهود ابن عاشور في مجال غريب القرآن وإحصاء الألفاظ الغريبة ومعرفة معانيها.
2. إبراز دور المفسرين المعاصرين في تفسير القرآن إذْ يتبيّن من خلال البحث أن تأخر المفسّر لا يعني نقص براعته في أدوات التفسير والإبداع فيها.
3. في دراسة هذا الموضوع من الجانب التطبيقي فيه فوائد كثيرة وتدريب للباحث والقارئ ويُكسبه ملكة في استخراج الفوائد من القرآن إضافة إلى تحقيق التدبر والتأمل في القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

1. السبب الأساس في اختيار الموضوع هو الحرص على خدمة كتاب الله والمشاركة في دراسة علوم القرآن الكريم خصوصا العلوم التي تتعلق بهذا العلم، وفي إطار دراسة تفسير زاخر بمثل هذه العلوم وخاصة علم غريب القرآن في تفسير ابن عاشور.
2. بيان أهمية موضوع علم غريب القرآن والاهتمام به ولا سيما أنه لا يوجد من تطرق للحديث في هذا الموضوع المهم في تفسير التحرير والتنوير.
3. أما أسباب الاختيار لتفسير ابن عاشور دون غيره من التفاسير كون هذا التفسير قد صار عمدة كثير من الباحثين نظرا لعناية ابن عاشور الكبيرة بالجانب اللغوي وشرح المفردات وبيان معانيها وأصول اشتقاقها، وهذا من حسنات تفسيره التي فاق فيها التفاسير.
4. هذا التفسير من التفاسير العظيمة في العصر الحديث له مكانته وشأنه بين كتب التفسير خاصة ما احتواه لخلاصة من آرائه الاجتهادية والتجديدية.

5. الرغبة في تصفح هذا التفسير والمساهمة في التعريف بذلك العلم الجليل الذي أخذ صاحبه حظًا وافرًا من الكتابة من علماء الشرق والغرب.

إشكالية البحث:

الإمام ابن عاشور من العلماء الأجلاء المفسرين لكتاب الله وكان كتابه التحرير والتنوير خير دليل على ذلك حيث بلغ هذا التفسير مبلغًا عظيمًا في الأهمية وعظُم شأنه بين الناس لما احتواه من قضايا وخاصة اللغوية التي منها علم غريب القرآن وذلك بشرح الألفاظ الغريبة والتوسع فيها وبيان معانيها، فكان إسهامه في هذا العلم له قيمة كبيرة. ومع ذلك لم يُدرس هذا الموضوع في تفسيره، فمن هنا نطرح مجموعة من الأسئلة نحاول الوصول إليها من خلال الدراسة، فما هو منهج الإمام في عرض الغريب؟ وكيف تناول ابن عاشور مادة الغريب من خلال هذه السور؟ وما هي أبرز الفروق بين الغريب عنده وعند غيره؟ وكيف تعقّب على من سبقه في هذا العلم؟

أهداف البحث: يهدف هذا الموضوع إلى:

1. إبراز علم الغريب كجانب مهم من جوانب علوم القرآن والتعرف أكثر عليه وعلى نشأته وتطوره وأهم المؤلفات فيه.
2. ويُضاف إلى ذلك المشاركة بدراسة تخدم علَمًا جليلًا من أعلام المغرب الإسلامي.
3. محاولة قراءة أعمال الإمام ابن عاشور والوقوف على منهجه والتعرّف عليه والتعرّف على علم غريب القرآن الذي وظفه في تفسيره والخوض فيه والأخذ من فيض هذا العلم الجليل.
4. رسم منهج ومعالم في هذا الموضوع من خلال التطرق إليه من الجانب التطبيقي باستخراج غريب القرآن منه وذلك من أول سورة الأحقاف إلى سورة الذاريات من تفسير ابن عاشور لهذه السور.
5. بيان الاختلاف المنهجي بين دراسة ابن عاشور لغريب القرآن ودراسة غيره وتحليل موقفه من الغريب وأهم مصادره في ذلك.

الدراسات السابقة حول الموضوع:

بما أن البحث يتركب من شقين، فإن الكلام على الدراسات السابقة يقتضي أن يكون كذلك:

أولاً: فيما يتعلق بالإمام ابن عاشور وتفسيره بشكل عام:

شخصية مثل ابن عاشور لا شك أنها حظيت باهتمام الباحثين، وقد كُتبت عدة رسالات حوله اشتملت جوانب متعددة من فكره وجهده معظمها حول تفسيره ومنهجه فيه أو دراسات تعالج بعض القضايا اللغوية أو النحوية أو الأصولية أو ما ذُكر من علم المناسبات والمقاصد وغيرها،

ومن هذه الدراسات:

1. الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسير التحرير و التنوير (المعاني والبديع) – ماجستير– رانية الشوبكي، الجامعة الإسلامية، غزة ، 2009.
2. تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير، دراسة منهجيه ونقدية– ماجستير– جمال محمود أحمد أبو حسان، الجامعة الأردنية، 1991م.
3. آليات الاستنباط عند الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير و التنوير، مراد عطاسي
4. الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات – ماجستير– محمد سعد القرني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1427هـ.
5. التحليل اللغوي في تفسير بن عاشور ،دراسة منهجية وتحليلية لنماذج من سورتي البقرة وآل عمران – دكتوراه – صالح سبوعي، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا 2005م.
6. أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير– دكتوراه مشرف بن أحمد الزهراني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1427/1426هـ
7. مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور– دكتوراه – شعيب بن أحمد الغزالي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435/1434هـ.

ثانياً: فيما يتعلق بموضوع علم غريب القرآن ومنهج أحد العلماء فيه:

في كل ما وقفت عليه في هذا الجانب لم أجد دراسة في علم غريب القرآن في تفسير ابن عاشور فحسب علمي وفي حدود اطلاعي فلم يتطرق أحد للبحث في هذا الموضوع إلا رسالة في هذا العلم اطلعت عليها بعنوان: غريب القرآن عند الإمام الطبري — دراسة نظرية تطبيقية موازنة – دكتوراه – عبد الله بن عواد الجهني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1432هـ.

المنهج المتبع:

في سبيل الوصول إلى إجابات عن الأسئلة اعتمدت المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي؛ المنهج الوصفي من خلال محاولة الوقوف على طبيعة شخصية ابن عاشور ووصف تفسيره وإبراز منهجه فيه وأهم مميزاته وتوضيح ما اختص به في شكله ومضمونه، والاستقرائي بدراسة الجزء المدروس واستخراج الألفاظ الغريبة من تفسير ابن عاشور، والتحليلي من خلال دراسة هذه الألفاظ في البحث حسب ما رُسم من الخطة وتقسيمها مع التحليل والشرح.

منهجية البحث: أهم الخطوات المتبعة في هذا البحث:

1. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن، وإذا تكررت الآية لا أعيد كتابة رقمها أو اسم السورة، وهذا بالاعتماد على مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.
2. تخريج الحديث من مضانه، فإن كان في الصحيحين أكتفي بذلك، وإن كان في غيرهما أقوم بتخريجه وأكتفي بأحد الكتب، وأذكر الكتاب والباب اللذان ورد فيهما الحديث، ثم رقمه ثم الجزء إن وُجد وأرمز له برمز–ج– والصفحة برمز–ص– مع بيان درجة الحديث إضافة للبيانات الخاصة للكتاب عند أول ذكر له وإن تكرر الحديث فلا أعيد كتابة بياناته ولا أشير بـ: سبق تخريجه أو ذكره.
3. أذكر المعلومات الخاصة للكتاب كاملة في أول إحالة مرتبة كالآتي: اسم المؤلَّف، المؤلِّف المحقق برمز–ت– الجزء، الطبعة برمز–ط– دار الطبعة، ثم مكانها وسنة الطبع، ثم الصفحة وإذا تكرر

ذكر الكتاب فلا أُعيد ذكر البيانات الخاصة به وأكتفي بذكر الكتاب والكاتب والجزء والصفحة.

4. إذا أطلقت لفظ الإمام أو الشيخ أو أشرت بـ: رحمه الله ، فإنني أقصد به الإمام ابن عاشور وذلك لقصد الاختصار.
5. ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم خلال البحث، وذلك بالرجوع إلى الكتب المتخصصة في ذلك كلٌّ حسب مجاله وتخصصه، وإن تكرر اسم العلم فلا أعيد الإشارة بـ: سبقت ترجمته أو تقدم ذكره، وهذا لتجنب الحشو وإثقال الحواشي السفلية.
6. في الجزء التطبيقي: بدأت بذكر السورة، ثم الآية، ثم المفردة الغريبة فيها، وبدأت بقول ابن عاشور بالاعتماد على تفسيره بطبعة الدار التونسية للنشر، ثم أقوال أهل اللغة، ثم الغريب، ثم أقوال المفسرين، وفي الأخير أجمل بنتيجة موجزة.
7. في أكثر الأحيان أكتفي بذكر قولين أو ثلاثة لكل من علماء اللغة والغريب والتفسير تجنبًا للإكثار والتوسع، وتتبعت في ذكر الأقوال الترتيب الزمني حسب وفاة العلماء.
8. عند ورود بيت شعري أقوم بتوثيقه وذكر قائله في الحاشية إن لم يُنسب في المتن، مع ذكر البيانات الخاصة بديوانه أو كتاب شرح ديوانه.
9. جعلت للبحث خاتمة، وذيّلت البحث بفهارس عامة مرتبة على النحو الآتي:

فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس الأبيات الشعرية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

تناولت المقدمة التعريف بالموضوع وبيان أهدافه ودوافعه وأهميته وطرح إشكاليته، والمنهج المتبع مع ذكر بعض الدراسات السابقة حوله، وعرض لخطته النهائية.

فصل تمهيدي عنونته بالتعريف بابن عاشور وتفسيره في مبحثين، الأول تكلمت فيه عن حياة ابن عاشور تندرج تحته ثلاثة مطالب، والثاني خصصته للتعريف بكتابه التحرير والتنوير وفيه ثلاثة مطالب أيضًا.

أما الفصل الأول فتكلمت فيه عن علم غريب القرآن وفيه مبحثان، الأول منهما تحدثت فيه كمدخل عام عن علم غريب القرآن وفيه ثلاثة مطالب، والمبحث الثاني من هذا الفصل خصصته لعلم غريب القرآن في تفسير ابن عاشور ويشتمل على ثلاثة مطالب.

وأما الفصل الثاني فخصصته للدراسة التطبيقية والتي احتوت على دراسة أبرز مواد الغريب عند ابن عاشور وسرت فيه بترتيب السور من سورة الأحقاف إلى سورة الذاريات .

صعوبات البحث:

لا يخلوا أي عمل علمي من بعض الجهود المضنية فكان من الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة:

- هيبة الإمام ابن عاشور ومصنفه في التفسير، فالإمام قوي اللغة والأسلوب، وألفاظه صعبة.
- عدم وجود دراسات حول الموضوع خاصة أنّ موضوع الغريب عند ابن عاشور لم يُدرس ولم يكتب فيه أحد من قبل.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: ترجمة ابن عاشور

الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله من الشخصيات الكبيرة ومن علماء العصر البارزين في تاريخ العلوم الإسلامية برز في مجالات عديدة وكان له يد طولى في علوم شتّى، وقد أخذ حظًا وافرًا من الاهتمام والعناية من العلماء خاصة في مجال التعريف به وبمؤلفاته، وسيكون في هذا المبحث الحديث عنه في ثلاثة مطالب، المطلب الأول في ما يخص الحياة الشخصية لابن عاشور وفي الثاني ما يتعلق بحياته العلمية أما الثالث في وفاته وأهم آثاره.

المطلب الأول: الحياة الشخصية لابن عاشور

أتناول في هذا المطلب معالم عامة في سيرة ابن عاشور الشخصية، وقبل التطرق للحديث عن حياته نتحدث باختصار عن عصره في تلك الفترة.

أولاً: عصر ابن عاشور[1]:

إن العالم الإسلامي في عصر الشيخ ابن عاشور قد ازدادت دوله انقسامًا، فالسياسة في نزاع مستمر ن الأمراء والأوضاع متدهورة في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية وغيرها وكانت تونس بلد ابن عاشور ترضخ تحت وطأة الديون الخارجية وكانت تحت الخلافة العثمانية والتي ضعُف نفوذها فانحلت إلى دويلات ضعيفة وهزيلة نتيجة انتشار الفساد والإسراف والظلم وتوغل النفوذ الأجنبي في البلاد والتدخل في شؤونها مما زاد أطماع الدول الأوروبية لاحتلالها وهو ما حصل بالفعل إذ دخلت القوات الفرنسية إلى العاصمة التونسية عام 1298هـ/1880م وتحت وطأة الاستعمار وهيمنته تدهورت أوضاع التونسيين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية نتيجة محاربة فرنسا للغة العربية والفكر الإسلامي، ومع هيمنة الاحتلال وانتشار مخططاته للقضاء على العروبة والإسلام ظهرت حركات تحررية لمواجهة العدو ومحاربته، وظهور هذه الحركات كان له أثر في ظهور الحركات

[1] – يُنظر : من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره، د. بلقاسم الغالي، ط1، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، 1417هـ/1996م، ص17، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، محمد الحبيب بن الخوجة، ج1، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ/2004م، ص26– 27، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية، جمال أبو حسان، رسالة ماجستير، أصول الدين بكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية،1991م، ص11، آليات الاستنباط عند ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، مراد عطاسي، ص26.

'صلاحية حيث تبنّت نهضة فكرية شاملة اجتماعية وسياسية، كما كان من أثر الأحداث الأخيرة قيام دعاة الإصلاح والتجديد بالمشرقين الإسلامي والعربي وامتدت هذه الحركة إلى تونس وتمثلت في دور عدد من العلماء ثمّ تلا هؤلاء عدد من شيوخ الزيتونة وعلمائها من رجال السياسة وأعضاء الحكومة وخيرة من رجال الإصلاح.

وبعد كل هذه التحركات ومع زيادة ظهور جبهات جهادية أضرّت بالاحتلال الفرنسي تحصلت تونس على استقلالها سنة: 1376هـ/1956م، فجاءت مرحلة الاستقلال وشهدت صراعات كبيرة جراء التبعية الثقافية والدسائس السياسية.

وبعد مرحلة الاستعمار الفرنسي جاءت مرحلة العهد البورقيبي ولكن هذه المرحلة لم تقل سوءًا عن سابقتها، حيث انتهج الرئيس بورقيبة النظام العلماني وانتشر الفكر الغربي في البلاد وبدأ بالإجهاز على التعليم الزيتوني وحلّ أوقافه فكان من أعظم المخلفات والآثار لذلك غلق جامعة الزيتونة والتي كانت معلمًا حضاريًا هامًا في المغرب العربي الإسلامي بل في إفريقيا عمومًا .

وقد كان في هذه الأثناء وقبلها لبعض الجمعيات مثل الخلدونية والصادقية وجمعية قدماء الصادقية أثر بارز في محاولة إصلاح التعليم والنهوض بالمجتمع وقد كانت هذه الجمعيات هي موضع الأثر عند ابن عاشور فكان رحمه الله علمًا من أعلامها ورجل إصلاح ونهضة .

قد كان هذا تقريبًا الجو العام الذي وُلد فيه ابن عاشور وعاش في هذه المرحلة الحرجة من مراحل تاريخ أمة الإسلام خصوصًا في بلدان المغرب العربي.

ثانيًا: اسمه ونسبه وأسرته[1]:

هو العلامة الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور من بيت آل عاشور الأشراف الأندلسيين الأصل، فمحمد بن عاشور الجد وُلد بالمغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فاراً بدينه من القهر والتنصير وقد وصل إلى تونس سنة 1060هـ/1650م،وجده للأب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[2]قاضي الحضرة التونسية، وكان شخصية علمية بارزة لها شأن وقد تقلد مناصب هامة كالإفتاء والتدريس والقضاء والإشراف على الأوقاف الخيرية.

وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور.

فهذه الأسرة لابن عاشور قد اختص أفرادها في الأنشطة العلمية والدينية في التدريس والإشراف على المساجد، واشتهرت بالعلم والفضل في تونس.

ثالثًا: مولده:

ولد رحمه الله بالمرسى، وهي ضاحية جميلة من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية، تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، تبعد عشرين كيلو متراً عن مدينة تونس وكانت ولادته

[1] – يُنظر ترجمته: من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، د. بلقاسم الغالي، ص35-37، تونس وجامع الزيتونة، محمد الخضر حسين، اعتنى به: علي رضا الحسيني، ج11، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، 1431هـ/2010م، ص 154، تراجم المؤلفين التونسيين، ، محمد محفوظ، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1404هـ/1984م، ص304، مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي ط2، دار النفائس، الأردن، 1421هـ/2000م، ص13، تراجم لتسعة من العلماء، محمد بن إبراهيم الحمد، 1427هـ ص151، الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، للطالب محمد بن سعد القرني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، المملكة العربية السعودية، 1427هـ ص 10، تفسير التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية، جمال أبو حسان، رسالة ماجستير، ص11.

[2] – ابن عاشور الجد: هو العلّامة قاضي الجماعة الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن عاشور 1235هـ/1815م – 1284هـ/1868م، بتونس أصل سلفه من الأندلس، أديب وفقيه، قرأ بجامع الزيتونة وأخذ عن أعلامها، أخذ عنه الوزير محمد العزيز بوعتور ، تقلد عدة مناصب في الحكم. يُنظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور ، محمد بن الخوجة، ج1، ص130، تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج3، ص300.

في جمادى الأولى سنة 1296هـ/1879م بقصر جده للأم الوزير محمد العزيز بو عتور[1].

وقد شب رحمه الله في أحضان أسرة علمية ونشأ بين أحضان والد يأمل أن يكون على مثال جده في العلم والنبوغ والعبقرية، وفي رعاية جده لأمه الوزير الذي كان يحرص على أن يكون خليفة في العلم والسلطان والجاه.

المطلب الثاني: حياته العلمية:

كان مولد ابن عاشور في هذه الفترة من الاستعمار وما تبعها من ظروف قاسية لم تمنعه من نشأة علمية حافلة بالعلم فقد تربّى رحمه الله في كنف جدّيْه العالمين الجليلين حيث نشأ نشأة مميزة على أكمل الصفات الدينية وأفضل المناهج التربوية وخير القيم والمبادئ الأخلاقية، وفي السنة السادسة من ه حفظ القرآن بمسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيتهم فحفظ به القرآن الكريم وحفظ مجموعة من المتون العلمية كابن عاشر، والرسالة، والقطر ونحوها مما كان يُعنى المؤدبون بتلقينه لتلامذتهم الصغار، ولما بلغ الرابعة عشرة التحق بجامع الزيتونة سنة 1310هـ/1893م وشرع ينهل من معينه في تعطُّشٍ وحبٍّ للمعرفة، ودرس فيه علوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق من جهة وعلوم المقاصد كتفسير القرآن والقراءات والحديث والفقه وأصوله والفرائض من جهة أخرى حيث برز ونبغ في هذه العلوم و غيرها من المعارف والثقافات، بل والطب، وإتقان الفرنسية؛ فكان آية في ذلك كله[2].

وكان رحمه الله ذا عقل جبار، وذا تدفُّق وتدفُّع في العلم وكان ذا أسلوب محكم النسج، شديد الأسر، يذكر بأرباب البيان الأوائل، وكان إذا كتب استجمع مواهبه العلمية، واللغوية، والأدبية والاجتماعية، والتاريخية، والتربوية وغيرها لخدمة غرضه الذي يرمي إليه[3].

---

[1]– هو الوزير العالم الكاتب محمد العزيز بن محمد بن الوزير محمد بوعتور 1240هـ/1825م – 1325هـ/1907م بتونس، أصل سلفه من صفاقس، التحق بجامع الزيتونة 1839م، تلقى به النحو وعلوم اللغة وعلوم الشريعة ، أخذ عن الشيوخ: منهم إبراهيم الرياحي ، كما كان من رجال الإصلاح المشهورين. يُنظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج3، ص355، صفحات من تاريخ تونس، محمد بن الخوجة، ت: حُمّادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1986م، ص 420 – 421.

[2] – شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، محمد بن الخوجة، ج1، ص 153، من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم بن عاشور، بلقاسم الغالي، ص38 .

[3] – ينظر: تراجم لتسعة من العلماء ،محمد بن إبراهيم الحمد، ص 151 .

وسأتطرق في نقاط إلى ذكر أهم شيوخه وأبرز تلاميذه ومكانته عند العلماء، إضافة للوظائف التي تقلدها.

أولاً: شيوخه:

تلقّى رحمه الله العلم والأدب على علماء أجلاء في مختلف العلوم والفنون ومن هؤلاء العلماء الفحول الذين تخرّج على يديهم نذكر:

الشيخ محمد النّخلي[1] درس عليه من كتب علوم الوسائل القطر والمكودي على الخلاصة، ومقدمة الاعراب في النحو، والتهذيب في المنطق.

وقرأ على الشيخ محمد صالح الشريف[2]كتاب الشيخ خالد الأزهري والقطر لابن هشام، وفي علوم المقاصد مختصر السعد على العقائد النسفية، والتاودي على التحفة في الفقه.

والكثير من الشيوخ من أعلام الزيتونة المشهورين منهم: إبراهيم المارغني[3]، وسالم بوحاجب[4].

---

[1] – هو أبو عبد الله الشيخ محمَّد النخلي القيرواني: العلامة الذي ليس له في عصره ثان، كان نقاداً خبيراً. دخل جامع الزيتونة سنة 1304 هـ، أخذ عن شيوخ جلة منهم عمر ابن الشيخ ، تصدر للتدريس وتخرج عليه الكثير من الفحول، توفي بتونس سنة 1342 هـ ، ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، ج1،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1424هـ/2002م، ص605.

[2] – هو أبو الفلاح الشيخ صالح الشريف، علامة الزمان، أخذ عن جلة منهم الشيخ سالم بو حاجب ، تصدى للتدريس ونجب عليه جماعة صاروا من أعيان المدرسين وأعاظم النابغين منهم الشيخ الطاهر بن عاشور، توفي بسويسرا سنة 1338 هـ/1919 م، وحمل جسده لتونس، ينظر: شجرة النور الزكية، محمد بن مخلوف، ج1، ص 604.

[3] – هو إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني، ولد بتونس، دخل الكتاب وحفظ القرآن، ثم التحق بجامع الزيتونة قرأ على جماعة منهم عمر بن الشيخ ، درّس بالزيتونة ومن تلامذته بن عاشور، توفي سنة 1349هـ/1931م، من مؤلفاته: شرح النجوم الطوالع على الدرر اللوامع، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج4، ص 229.

[4] – هو سالم بن عمر بو حاجب البنيلي – نسبة لقرية من قرى المنستير – ولد 1244هـ/1828م، من أعلام عصره فقيه محقق التحق بالزيتونة وأخذ عن أعلامها ،ثم درّس أجيال كابن عاشور، توفي بالمرسى 1342هـ/1924م، من مؤلفاته تقارير على شرح صحيح البخاري، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين محمد محفوظ، ج2، ص77، شجرة النور الزكية، محمد بن مخلوف، ج1، ص 605.

وعمر بن الشيخ[1]، ومحمد النجار.[2] والذين شهدوا له تفوقه ونبوغه فيها.

كما كان لجدّه الوزير بوعتور فضل عليه حيث وفّر لحفيده محمد الطاهر عناية فائقة فكتب له بخطه نسخة من المفتاح للسكاكي ونسخ له متن البخاري في جزء فريد وجمع له في دفتر كبير نصوصًا من عيون الأدب وأمهات الكتب وفتح له خزانة كتبه، وكل ذلك تشجيعا له وحبًّا فيه فكان المرشد الأمين والموجه القدير في شتّى المجالات العلمية والأدبية والإصلاحية، فكان له ما أراد حيث برز عاشور في هذه المجالات وأبدع وزاد تكوينه العلمي العالي.

وبعد دراسة الشيخ لمدة سبع سنوات انتهت باحرازه على شهادة التطويع – انتهاء التعليم الثانوي – من الجامع الأعظم سنة: 1317هـ/1899م، حيث ازداد ابن عاشور فهمًا وعلمًا وبعدها جلس للتدريس بجامع الزيتونة سنة: 1266هـ ، ثم صار مدرسًا من الطبقة الثانية سنة: 1268هـ ثم صار مدرسًا من الطبقة الأولى سنة: 1283هـ فأقرأ وأفاد حتى انتهت إليه مشيخة الجامع.

ومن هنا فقد تتلمذ على الشيخ عدد كبير من الجهابذة أصبح الكثير منهم أعلام النهضة العلمية والدينية في تونس وغيرها ومن هؤلاء:

ثانيًا: تلاميذه: وهم كثيرون ومن أبرز المتخرجين على يديه أبناءه:

ابنه الفاضل بن عاشور[3]: قرأ على أبيه في جامع الزيتونة مدة خمس سنوات في التفسير وغيره،كما كان

[1] - هو فقيه تونس عمر بن أحمد بن علي بن قاسم المعروف بابن الشيخ ولد في حدود 1237هـ، قرأ على المشايخ منهم إبراهيم الرياحي ، واستمر على التدريس نحوًا من ستين عامًا، وممن قرأ عليه ابن عاشور، توفي عام 1329هـ/1911م، من مؤلفاته: رسائل في مسائل من العلوم، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين ، محمد محفوظ،ج3، ص213.

[2] - هو أبو عبد الله محمَّد بن عثمان النجار: الكريم النجار الإمام العلامة، أخذ عن أعلام مبرزين كمحمد النيفر الأكبر وتخرج عليه الكثير من فحول العلماء ، توفي سنة 1331 هـ/1912 م، ينظر: شجرة النور الزكية، محمد بن مخلوف، ج1، ص 599.

[3] – محمد الفاضل بن الأستاذ، وُلد بالمرسى بتونس:1327هـ/ 1909م، أحد الأئمة الأعلام في تاريخ تونس المعاصر، ومن أعلام الفكر الإسلامي الحديث، كانت له عدة نشاطات في مجالات متعددة وله مؤلفات قيّمة منها: التفسير ورجاله، أعلام الفكر الإسلامي، توفي سنة: 1390هـ /1970م، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج3، ص310.

من بين المتخرجين على يديه ابنه الثاني الأستاذ عبد الملك بن عاشور[1].

الشيخ عبد الحميد بن باديس[2] قرأ على ابن عاشور ديوان الحماسة.

محمد الحبيب بن الخوجة أبو عبد الله[3]، أجازه ابن عاشور في الرواية.

زين العابدين بن الحسين[4] شقيق الشيخ محمد الخضر حسين[5] صديق ابن عاشور، وهو من خريجي جامع الزيتونة.

محمد بن خليفة المدني[6] وكان مفسراً فقيهًا.

وغيرهم من التلاميذ العدد الكبير سواء من تونس أو من الجزائر أو من غيرها والذين درسوا على ابن عاشور أو على يد أحد تلامذته في جامع الزيتونة والذي كان منهل الطلاب في طلب العلم والاستزادة في التحصيل العلمي والمعرفي في ذلك الوقت.

---

[1]- لأستاذ عبد الملك موظف سام، من إنتاجه بحوث وتحقيقات علمية نشرت له بالمجلات التونسية كالهداية وغيرها، ومؤلفات مية تتصل بجمع ما تناثر في الصحف والمجلات من آثار والده، ينظر: من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم، بلقاسم الغالي، ص 66.

[2] - ابن باديس: 1305 -1359 هـ ، 1887 - 1940م، عبد الحميد بن المصطفى بن مكي بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في جامع الزيتونة ، واصدر مجلة الشهاب، واشتغل بالسياسة وصارع الاستعمار الفرنسي، واضطهد وأوذي، وتوفي بقسنطينة، له تفسير للقرآن باسم مجالس التذكير ، ينظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 105.

[3] - محمد الحبيب بن الخوجة: تولى عمادة الكلية الزيتونية ثم إفتاء الجمهورية التونسية، وللأستاذ الدكتور إنتاج علمي وافر في العلوم الإسلامية واللغوية، ينظر: ، من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم، بلقاسم الغالي ص 67.

[4] - زين العابدين بن الحسين: 1317-1377هـ/ 1898 - 1957م، وُلد بتونس والتحق بجامع الزيتونة، من شيوخه ابن عاشور، كان لطيفًا فيه دعابة، من آثاره: المعجم في القرآن، ينظر: : تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج2، ص 136.

[5] - محمد الخضر بن حسين، أصل سلفه من الجزائر، انتقل والده إلى تونس إبان الاحتلال الفرنسي، التحق بالزيتونة وأخذ عن أعلامها، وكانت عنايته بالأدب واللغة ونظم الشعر، توفي سنة :1377هـ/1958م، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج2، ص 126-135.

[6] - محمد بن خليفة، 1307 – 1378هـ ، 1889 – 1959م، المشهور بالمدني، المفسر الفقيه، أخذ عن أعلام الزيتونة منهم ابن عاشور، تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج4، ص 291.

ثالثًا: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد عاش رحمه الله حياة حافلة بمهمات العلم والإدارة والإصلاح فقد كان رئيس المفتين وشيخ الإسلام وزعيم الإصلاح الاجتماعي والتعليمي في عصره، وكان ذا شغف وطموح وذا همة عالية في درس العلم والتحصيل المعرفي، وكان لهذه الشخصية الفذّة الدور العظيم في مختلف مناحي الفكر والعلم والحضارة في تونس.

وكان الشيخ رحمه الله رجلاً تزيِّنه أخلاقٌ رضيَّةٌ وتواضعٌ جمٌّ، اشتُهر بالصبر وعلوِّ الهمَّة والاعتزاز بالنَّفس، عفيف القلم، حلو المحاضرة، طيب المعاشرة، ولقد أجمع الأصدقاء له والعلماء على إمامته وسعة علمه وثقافته، ومن جملة ما قيل في الثناء عليه:

ماقاله صديقه محمد الخضر حسين رئيس جامع الأزهر رحمه الله:

" وللأستاذ فصاحةُ منطقٍ ، وبراعةُ بيانٍ ، ويضيف إلى غزارة العلم وقوّة النظر : صفاءَ الذوق وسعة الاطلاع في آداب اللغة ...كنت أرى لساناً لهجته الصدق، وسريرة نقية من كل خاطر سيّء وهمَّةً طمَّاحة إلى المعالي ، وجِداً في العمل لا يَمَسه كلل ، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم"[1].

وقال الشيخ البشير الإبراهيمي[2] رحمه الله واصفًا إياه:

" الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عَلَم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره ، فهو إمام متبحِّر في العلوم الإسلامية ، مستقلّ في الاستدلال واسع الثراء من كنوزها فسيح الذرع بتحمّلها ، نافذ البصيرة في معقولها ، وافر الاطلاع على المنقول منها ، أقْرَأ ، وأفاد وتخرَّجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي، وتفرّد بالتوسع والتجديد لفروع من العلم ضيّقها المنهاج الزيتوني، وأبلاها الركود الذهني، وأنزلتها الاعتبارات التقليدية دون منزلتها بمراحل: فأفاض عليها هذا

[1] – تونس وجامع الزيتونة، محمد الخضر حسين، اعتنى به: علي رضا الحسيني، ج11، ص157.

[2] – الشيخ محمد بن بشير الإبراهيمي، من بيت علم ودين وُلد بمدينة سطيف، درس بالمدينة المنورة علوم التفسير والحديث والفقه..من بين المؤسسين لجمعية العلماء ونائبًا لرئيسها بن باديس ثم عُيّن رئيسها، كانت له مؤلفات ومقالات، توفي سنة: 1965م، ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، جمع وتقديم: د- أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 9-13.

الإمام من روحه وأسلوبه حياة وجدّة، وأشاع فيها مائية ورونقًا، حتى استرجعت بعض قيمتها في النفوس ومنزلتها في الاعتبار"[1].

ويقول فيه الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة:

" وهو نمطٌ فريد من الأشياخ لم نعرف مثله بين معاصريه أو طلابه أو من كان في درجتهم من أهل العلم، إذ كان انكبابه على الدرس متميّزاً، واشتغاله بالمطالعة غير منقطع، مع عناية دائمة مستمرة بالتدوين والكتابة، وتقديم ما يحتاج إليه الناس من معارف وعلوم، وأذواق وآداب وملاحظات وتأملات، فلا بدع إذا اطّردتْ جهودُه، واستمرّ عطاؤه في مختلف مجالات الدرس والثقافة... وقد وهبه الله متانة علمٍ وسعة ثقافة، وعمق نظر، وقدرة لا تفتر على التدوين والنشر وملكات نقدية يتضح أثرها في طريقة الجمع بين الأصول والتعريفات، وما يلحق بها من ابتداعات وتصرفات"[2].

وهذه الشهادات إن دلّت فإنما تدل على أخلاق هذا الإمام العظيمة وأجلّها التواضع والذي اشتهر به رحمه الله.

وقال محمد الطاهر الميساوي محقق كتاب المقاصد لابن عاشور:

"...ومن ثمّ فلا غرابة أن جاءت هذه السيرة وارفة الأفنان، متنوعة العطاء، دانية القطوف وكأنما أنت في حضرة مجمع من العلماء ضمّ في صعيد واحد: اللغوي والأديب، والمفسر والمحدث والأصولي والفقيه، والمربي والمؤرخ والفيلسوف والمنطقي، بل وحتى العالم بأمور الطب! "[3].

وهذا الوصف الذي وُصف به ابن عاشور دال على منزلته العلمية وأن له رسوخ وإمامة في العلوم المختلفة.

[1] – آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: د– أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ص 549.

[2] – شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، محمد بن الخوجة،ج1، ص 315.

[3] – مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور ، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي ، ص16.

رابعًا: الوظائف التي تقلدها رحمه الله[1]:

شغل رحمه الله عدة مناصب سواء في التدريس أو في الأعمال والمناصب الإدارية ومن بين هذه المناصب التي عمل فيها:

عمله في التدريس حيث شغل منصب مدرس من الطبقة الثانية بدءًا من سنة: 1317هـ/ 1899م.

عُيّن مدرسًا بالمدرسة الصادقية سنة: 1321هـ/1904م، وعضو في مجلس إدارتها سنة: 1326هـ /1909م.

وفي سنة:1351هـ/1932م سُلمت له مقاليد الاشراف على الجامع .

وفي سنة: 1932م عين في منصب مدير للجامع الأعظم واستمرت مدة رئاسته للمشيخة العام والنصف، ثم أُعيد تعيينه مديرًا للجامع الاعظم سنة: 1364هـ/1945م.

أُسند إليه رئاسة الجامعة الزيتونية سنة:1374هـ/1956م، وأحدث اصلاحات ذات شأن في التعليم الزيتوني.

- وإلى جانب هذه الأعمال الإدارية والتدريس تقلّد رحمه الله الوظائف القضائية والشرعية :

عُين قاضيًا مالكيًا بالمجلس الشرعي سنة: 1332هـ - 1342هـ/1913م – 1923م.

عُين مفتيًا ثانيًا مكلفًا بخطة باش مفتي[2] سنة:1342هـ/1924م، وارتقى بعدها إلى خطة كبير أهل الشورى سنة:1346هـ/1927م.

ثم شيخ الإسلام المالكي عام:1932م.

تولّى قضاء الجماعة سنة:1331هـ/1913م، واستمر به حتى عام:1341هـ/1933م.

---

[1] - ينظر: من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، بلقاسم الغالي، ص 57-58، م شيخ الإسلام محمد الطاهر بن عاشور، محمد بن الخوجة،ج1،ص 164-166-168، ، آليات الاستنباط عند ابن عاشور، مراد عطاسي ص36، تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج3، ص 305.

[2] - باش مفتي: تطلق على كبير المفتين، فالباش لفظ يراد به الرئيس، والباش مفتي هو رئيس المفتين وهو لقب تفخيمي أحدثته الدولة الحسينية، ينظر: شيخ الجامع الأعظم ، بلقاسم الغالي، ص 62.

كان عضوًا مراسلاً في المجمعين للغة العربية بالقاهرة: 1950م، ودمشق: 1955م.

وقد باشر ابن عاشور هذه المهام وتحمل مسؤولياتها بحكمة وجدّ وحزم، وقد كان لهذه المسؤوليات الدور في اثراء تجربته وربط فلسفته النظرية بالواقع وأطلعته على ما فيه من خلل دفعه إلى حمل رسالته الإصلاحية.

خامسًا: أوليات ابن عاشور:[1]

بعد المسيرة الحافلة للشيخ ابن عاشور بالعلم والعمل استحقّ نيل عدة ألقاب ونيل أوليات لم يسبقه فيها أحد، وهي من مميزات حياة هذا العالم ومن هذه الأوليات نذكر:

- أنه أوّل مَن فسَّر القرآن كاملاً في إفريقيّة، وذلك في كتابه العظيم (التحرير والتنوير).

ـ وهو أوّل مَنْ جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي، وشيخ الجامع الأعظم (الزيتونة).

ـ وهو أوَّل مَنْ سُمِّي شيخاً للجامع الأعظم سنة (1351هـ/1932م) ليتولَّى الإصلاحات العلمية والتعليمية.

ـ وأوَّل مَنْ لُقِّبَ بشيخ الإسلام، وهو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعية الحنفية بتونس منذ القرن العاشر الهجري، ولم يكن لدى المالكية بتونس هذا اللقب.

ـ وهو أوَّل مَن أدخل إصلاحات تعليميّة وتنظيميّة في الجامع الزيتوني في إطار منظومة تربوية فكرية، صاغها في كتابه: (أليس الصبح بقريب) الذي ألفه في بواكير حياته، والذي يدل على عقلية تربوية فذة، والذي كان شاهداً على الإصلاح التربوي والتعليمي الشرعي المنشود فأضاف إلى الدراسة موادّ جديدة كالكيمياء والفيزياء والجبر وغيرها...

[1]- ينظر: شيخ الجامع الأعظم، بلقاسم الغالي، ص59- 62، تراجم لتسعة من العلماء، محمد بن إبراهيم الحمد، ص 158.

المطلب الثالث: وفاته وأهم آثاره:

بعد عطاءٍ ونشاط كبير ومسيرة حافلة بالعلم والعمل والتدريس والتأليف والإصلاح، تُوفِّي محمد الطَّاهر ابن عاشور في ضاحية المَرْسَى قرب تونُس العاصمة، يوم الأحد:13 من رجب سنة 1394هـ الموافق لـ:12 أغسطس 1973م. ووُري الثَّرى بمقبرة الزَّلّاج[1].

أهم آثاره:

ألّف رحمه الله ثروة علمية هائلة تحتفي بها المكاتب الإسلامية التونسية وغيرها تشهد له على علمه وسعة ثقافته، وقد تنوَّعت آثار الشيخ من حيث موضوعاتُها، فألَّف في التفسير، والحديث والأصول والأدب، واللُّغة، والتَّاريخ والتَّراجم، والدِّراسات الإسلاميَّة. وقد اتَّسمت بنُضج الفكرة وعُمق التَّحليل والمعالجة العلميَّة، وبلاغة الأسلوب.

وهذه المؤلفات تنبئ عن عظيم مكانته في العلم ورفعة شأنه، وقد بلغت حوالي أربعين كتاباً تأليفاً وتحقيقاً، منها المطبوع ومنها المخطوط[2].

أولاً: مؤلفاته في علم التفسير:

-تفسير التحرير والتنوير – مطبوع –

ثانياً: من مؤلفاته في الحديث النبوي الشريف:

- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح – مطبوع -
- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ - مطبوع -

---

[1] – تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج3، ص 307.

مقبرة الزّلاج: هي المقبرة التاريخية الرئيسية في تونس، تقع على المدخل الجنوبي، وتعود إلى العهد الحفصي، ينظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تصفح يوم: 20 فيفري 2016م.

[2] – ينظر: شيخ الجامع الأعظم ، بلقاسم الغالي، ص68-70، الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره، محمد بن سعد القرني، ص 30-32، آليات الاستنباط عند ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير مراد عطاسي، ص40 ، التوجيه اللغوي لقراءة نافع في تفسير الطاهر بن عاشور- نماذج تطبيقية – إلهام شقرون، رسالة ماستر تخصص دراسات قرآنية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1434هـ - 1435هـ/2013م – 2014م، ص32-33.

ثالثاً: من مؤلفاته في الفقه وأصوله:

- الآمالي على مختصر خليل – مخطوط -
- مقاصد الشريعة الإسلامية – مطبوع-

رابعاً: من مؤلفاته في الدراسات الإسلامية:

- أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية – مطبوع
- نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق– مطبوع –

خامساً: من مؤلفاته في اللغة والأدب:

- ديوان بشار بن برد شرح وتحقيق - مطبوع - موجز البلاغة – مطبوع –

سادساً: مؤلفاته في التاريخ والتراجم:

- تراجم بعض الأعلام – مخطوط –
- قصة المولد النبوي الشريف – مطبوع –

وإلى جانب هذه المؤلفات القيّمة البديعة كان لابن عاشور بعض الجهود والنشاطات العلمية في حياته حيث قام ببعض الرحلات إلى المشرق وأوروبا، وكانت له بعض المشاركات في المؤتمرات العلمية كمشاركته في مؤتمر المستشرقين بإسطنبول في سبتمبر: 1951م.

وله أيضًا مقالات وكتابات في المجلات والصحف والدوريات منها[1]:

السعادة العظمى ، المجلة الزيتونية ، نور الإسلام ، العصر الجديد ، مجلة الهداية الإسلامية

والصحف التي حفلت بفتاويه: النهضة ، الزهرة ، الوزير، الصباح، الفجر.
و في القاهرة حرر في: مصباح الشرق، هدى الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

فهذه بعض أعماله رحمه الله والتي تنبئ عن نشاطه وهمّته ومكانته العلمية، وتنوع مؤلفاته ما هي إلاّ دلالة على ذلك.

وبالرغم من قيمة مؤلفاته ودقتها إلاّ أن تفسيره التحرير والتنوير أبدع ما كتبه قلمه فيه فكان أكبر المؤلفات حجمًا وأجلّها قدرًا.

[1] – ينظر: من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، بلقاسم الغالي، ص 71.

المبحث الثاني: التعريف بتفسيره التحرير والتنوير

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم الكتاب ووصفه

المطلب الثاني:المنهج العام لابن عاشور في تفسيره

المطلب الثالث: مصادره في كتابه

المبحث الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

أهم الآثار النفيسة التي خلّفها ابن عاشور رحمه الله واشتهر بها تفسير القرآن الكريم حيث فسّر القرآن كاملا وعد من كبار المفسرين في العصر الحديث، وسأتناول في هذا المبحث التعريف بهذا التفسير ومعرفة اسمه ووصفه ومنهج الشيخ الذي سلكه فيه وأهم المصادر التي اعتمدها في كتابه هذا.

المطلب الأول: اسم الكتاب ووصفه:

أولاً: اسمه: أطلق المؤلف على تفسيره اسم:"تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير كتاب المجيد". واختصره باسم "التحرير والتنوير من التفسير" وهذا الاسم المختصر هو الاطلاق المشهور الذي يعرف به هذا التفسير.

ويقع هذا التفسير في ثلاثين جزءاً في خمسة عشر مجلدًا، طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس وطبعة الدار التونسية للنشر بتونس.

مناسبة تأليفه: أما عن سبب تأليفه فقد كان كتابة تفسير للقرآن أُمنية تراود الشيخ وتتوق نفسه إليها، قال في مقدمة تفسيره:" فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها؛ طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق... هنا لك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته واستعنت بالله تعالى واستخرته... أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع ... فجعلت حقا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليه"[1].

ثانيًا: مدة تأليفه: قال رحمه الله في التمهيد عن مدة كتابة تفسيره:" وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف. فكانت مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر. وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفة، ومؤلفات أخرى أفنانها وارفة...وكان تمامه بمنزلي ببلد المرسى شرقي مدينة تونس، وكتبه: محمد الطاهر ابن عاشور"[2].

[1] – التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس ،1984م، ص 5.

[2] – التحرير والتنوير ، ج30، ص636-637.

وهذا يدل على عظيم منزلة هذا التفسير وأن مؤلفه قد بذل فيه الجهد الكبير لطول هذه المدة من الكتابة في التفسير.

وقد قدّم لتفسيره بتمهيد قيّم وافٍ ذكر فيه مراده من هذا التفسير، ثم استهله بعشر مقدمات عظيمة ذات صلة بالتفسير وعلوم القرآن قال عنها بأنها تكون عونا للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير وهي[1]:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علمًا.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور، ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

المقدمة الرابعة: في ما يحق أن يكون غرض المفسر.

المقدمة الخامسة: أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

المقدمة السابعة: قصص القرآن.

المقدمة الثامنة. في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

[1] – المرجع نفسه ، ج1، ص 10.

المطلب الثاني: المنهج العام لابن عاشور في تفسيره:

كان رحمه الله من العلماء المفسرين المبدعين حيث أبدع ما كتب قلمه، واحتوت كتاباته في التفسير على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية، ولقد انتهج في تفسيره منهجًا متميزًا فجاء محتويًا على مزايا عظيمة متضمنًا علومًا كثيرة وفوائد جمّة غزيرة تدل على عقلية منظمة مجددة بعيدة عن التقليد.

أولاً: طريقة ترتيبه في تفسيره:

سلك رحمه الله طريقة فريدة في تفسيره حيث ابتدأه بتمهيد تحدّث فيه عن أمنيته في التفسير للكتاب عيد وقصته في ذلك، ثم ذكر أهم التفاسير عنده واعتمادها كمصادر له في تفسيره ثم ذكر منهجه هتماماته وما سيُبيّنه في التفسير في كل ما يتعلق بالآيات والسور، وفي نهاية تمهيده أشار إلى اسم التفسير ومختصره، ثم اتبعه بمقدمات عشر وبعد هذه المقدمات بدأ بتفسير الآيات القرآنية في سورها مرتبة حسب ترتيب المصحف، ونجده يقدم للسورة بمقدمة يذكر فيها أسماء السورة . إنْ كان لها أكثر من اسم . ووجه تسميتها، ثم يذكر آراء العلماء في مكية السورة ومدنيتها، ويأتي باختلاف العلماء في عدد آيها، ورقمها في ترتيب النزول، ويستشهد في ذلك كله بالآثار والروايات ، وبعد هذا يعرض أهمّ أغراض السورة ومقاصدها والموضوعات التي تحدثت عنها السورة على شكل نقاط، ثم يشرع في تفسيره مبتدئا بذكر المناسبة ثم لغويات المقطع ثم التفسير الإجمالي مضمنًا إياه الجمال البلاغي ومناقشًا لآراء العلماء، كما ويتعرض فيه للقراءات والفقهيات وغيرها[1].

ثانيًا: منهج الشيخ في كتابه:

لقد اعتمد الإمام المنهج الصحيح في تفسيره، المنهج الذي لا غنى عنه لدارس ولا لباحث ينظر في كلام الله، فنبّه إلى أن تفسير التراكيب القرآنية ينبغي أن يجري على تبيين معاني الكلمات بحسب استعمال اللغة العربية ثم بأخذ المعاني من دلالة الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة، وباستخلاص المعاني المستنبطة منها عن طرق دلالات المطابقة والتضمين والالتزام مما يسمح به النظم البليغ ولو

[1] – تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية، جمال أبو حسان، ص 54، الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير" المعاني والبديع"، رانية الشوبكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، غزة، 1430هـ/2009م، ص 17، آليات الاستنباط عند ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير ، مراد عطاسي، ص 51 ، ترجمة ابن عاشور بقلم المهدي بن حميدة– مقدمة لتفسير التحرير والتنوير–.

تعددت المحامل والاحتمالات، وكذلك بنقل ما يُؤثر عن أئمة المفسرين من السلف والخلف مما ليس مجافيًا للأصول ولا للعربية[1].

وقد أشار الشيخ في بداية تفسيره إلى منهجه وبيّنه فقال[2]:

"...وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: نظم الدرر في تناسب الآي والسور. إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفضل القول تتطلع، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر.

ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله ، واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير..."

وقال:" وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان، ولكنّ فنّا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصّوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمتُ أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر"[3].

ولهذا كان تفسيره تفسير بلاغي، اهتم فيه بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية ولكن باعتدال ودون توسع أو إغراق في تفريعاتها ومسائلها.

وهو يعتبر في الجملة تفسيرا بلاغيًا بيانيًا لغويًا عقلانيًا لا يغفل المأثور ويهتم بالقراءات[4].

المطلب الثالث: مصادره في كتابه:

[1] – شيخ الإسلام محمد الطاهر بن عاشور، محمد بن الخوجة، ج1، ص319.

[2] – يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1، ص8.

[3] – المرجع السابق، ص 8.

[4] – ترجمة ابن عاشور بقلم المهدي بن حميدة– مقدمة لتفسير التحرير والتنوير–.

تعدّدت مصادر الشيخ وتنوعت في مختلف العلوم والفنون ذات الصلة بالتفسير فكان تفسيره موسوعة علمية ومعرفية كبيرة، وقد أشار في مقدمته إلى أهم التفاسير التي اعتمدها وذكر منها:[1]

تفسير الكشاف، وما كتبه عليه الطيبي – حاشية على الكشاف – والقزويني – الكشف: حاشية على الكشاف – والقطب – حاشية على الكشاف – والتفتازاني – حاشية على الكشاف، و المحرر الوجيز لابن عطية، و مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، و تفسير البيضاوي الملخص من الكشاف، و تفسير الشهاب الآلوسي ، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، و تفسير أبي السعود ، و تفسير القرطبي، والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري ، وكتاب درة التنزيل المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني.

وغيرها من التفاسير التي اعتمدها غير التي ذكرها كتفسير ابن كثير والدر المنثور للسيوطي.

وهذه التفاسير كثيراً ما تتردّد في تفسيره وقد وقف منها الشيخ موقف الناقد الحصيف، فالكشاف نقده الشيخ وتتبّعه في تقصّ دقيق وكذلك غيره من التفاسير لا يُورد اقتباسًا منها إلا ويعقب عليها بالنقد والترجيح والتعديل، ويُضيف إلى ما قاله المفسرون إضافات تمتاز بالجدة والتعمق والنفاذ إلى مرامي الكتاب العزيز[2].

كما أن للشيخ مصادر أخرى متنوعة ضمنها في تفسيره في مواضع مختلفة؛ في العقيدة والسنة ومدونات الحديث وشروحاته والفقه وأصوله والنحو والصرف والبلاغة وفي المعاجم اللغوية[3].

وقد تفنّن رحمه الله في الأخذ من هذه المصادر المتنوعة مع ما أضافه هو من إضافاته البديعة في مختلف المجالات ما جعل تفسيره موسوعة علمية ومعرفية كبيرة.

أهم مزايا الكتاب:

تميّز تفسير التحرير والتنوير بعدّة مميزات أكسبته شهرة كبيرة وأصبح ابن عاشور من أكثر المفسرين تناولاً في الدراسات والأبحاث العلمية نظرًا لما في التفسير من علوم وفنون، ومن أهم هذه المميزات:

---

[1] – يُنظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1، ص7.

[2] – من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، بلقاسم الغالي، ص 77.

[3] – يُنظر: أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، مشرف بن أحمد الزهراني، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1427/1426هـ ص98، مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد الغزالي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435/1434هـ ، ص 55، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية، جمال أبو حسان، رسالة ماجستير، ص 38.

– تفرده بذكر مباحث ونكت بلاغية لم يُسبق إليها، فهو يعدّ أحد أهم التفاسير البلاغية.

– إضافة مادة جديدة في كتب التفسير فإن كتابه لا يُعدّ تكرارًا لكتاب سابق.

– تنوع مصادر الكتاب وأصالتها فهو قد استقى في تفسيره من جميع أنواع العلوم الشرعية والعربية وعلوم التاريخ.

– تخيّر الإمام في المنقولات وعنايته بتمحيص ما يُورد من الأقوال والآراء.

– عنايته بعزو أحاديث السنة إلى مصادرها في مواطن كثيرة من التفسير وفي مواطن يكتفي بذكر الحديث دون ذكر مخرّجه.

– تميّز لغته بالفصاحة العالية وهي ميزة فريدة لا سيما في عصر مثل عصر الشيخ حيث فسد فيها الذوق وسقمت الألسنة.

– تبني المؤلف منهج الإصلاح في تفسيره فجعل التفسير لآيات القرآن أفضل الوسائل في دعوة الناس وهدايتهم.

– التزامه رحمه الله بما حدّده من منهج وطريقة في عرض الآيات وشرح ألفاظها بشكل كبير، وهذا يدل على مقدرته الواسعة في التنظيم والتصنيف[1].

[1] – مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد الغزالي، ص 68– 70.

المبحث الأول: تعريف غريب القرآن ونشأته وأهم المؤلفات فيه

قبل الحديث عن غريب القرآن عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير نتطرق في هذا المبحث للحديث عن غريب القرآن تعريفه، ونشأته وتطوره، ومعرفة مناهج المؤلفين فيه، وأهم مؤلفاته.

المطلب الأول: تعريف غريب القرآن لغةً واصطلاحًا:

نبيّن المقصود بالغريب في اللغة ثم المقصود باصطلاح غريب القرآن:

أولاً: معنى الغريب لغةً:

جاء في الصحاح[1]: غرب: الغُربة: الاغتراب، تقول منه: تغرب، واغترب، بمعنى، فهو غريب والجمع الغرباء. والغرباء أيضاً: الأباعد. واغترب فلانٌ، إذا تزوَّج إلى غير أقاربه. ومغرَب أيضا بفتح الراء أي بعيد. والتَّغْريبُ: النفيُ عن البلد.

وغرب: غاب،كغرب، وبعد، والغُربَة: البعدُ عن الوطن، يقال: غَرَبَت الدار، ومن هذا الباب: غُرُوب الشمس، كأنه بُعدها عن وجه الأرض. وشَأْوٌ مُغَرّب، أي بَعيدٌ...[2]

من خلال ما سبق يتبين أنّ أقرب المعاني التي تحملها مادة – غرب – هي ما جاء بمعنى البعد والإختفاء.

وكل ما ورد في معنى "غرب" يفيد البعد، وإن أُضيف إلى الكلام أفاد الغموض، وعدم القرب من الذهن[3].

---

[1] – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهريّ، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ج1، ط4، دار العلم للملايين، بيروت 1407هـ/ 1987م، ص191.

[2] – يُنظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ت: عبد السلام هارون، ج4، دار الفكر، 1399هـ/1979م، ص421 المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي،ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت 1412هـ، ص 604، ، تهذيب اللغة، الأزهري ، ت: محمد عوض مرعب، ج8، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2001م، ص 116-117 ، القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، ت: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص 119-120.

[3] – العمدة في غريب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، شرح وتعليق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م، مقدمة التحقيق، ص 13.

ثانيًا: أمّا المعنى الاصطلاحي للغريب:

هو الغامض من الكلام، وغربت الكلمة غرابة، وصاحبه مُغْرِبٌ...[1]

وتكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وتقول: فلان يعرب كلامه ويغرب فيه، وفي كلامه غرابة، وغرب كلامه، وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة، ومنه: مصنف الغريب[2].

وجاء في لسان العرب[3]: والغرباء: الأباعد، والغريب: الغامض من الكلام وكلمة غريبة، وقد غربت، وهو من ذلك، وأغرب الرجل: جاء بشيء غريب..

وقال الخطابي[4] في تعريفه: "الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس...

ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما أن يراد به بعيدُ المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر.

والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من شواذِّ قبائلِ العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنما هي كلام القوم وبياضهم، وعلى هذا ما جاء عن بعضهم وقال له قائل: أسألك عن حرف من الغريب، فقال: هو كلام القوم، إنما الغريب أنت وأمثالك من الدخلاء فيه"[5].

---

[1] – العين، الخليل بن أحمد، ت: د، مهدي المخزومي، د، إبراهيم السامرائي، ج4، دار ومكتبة الهلال، ص 411.

[2] – أساس البلاغة، الزمخشري ، ت: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1419هـ/1998م، ص697.

[3] – لسان العرب، ابن منظور، ج1، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص 640.

[4] – الخطابي أبو سليمان من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، أخذ العلم عن كثير أهله ورحل في طلب الحديث وألّف في فنون العلم وصنّف، توفي 388 هـ ، ينظر: معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ت: إحسان عباس، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1414هـ/1993م، ص486-488.

[5] – غريب الحديث، أبو سليمان الخطابي، ت: عبد الكريم الغرباوي ، ج1، دار الفكر، دمشق، 1402هـ/1982م، ص 70-71.

وبناءً على المعنى اللغوي فإنّ علم غريب القرآن الكريم هو العلم الذي يتناول تفسير الألفاظ عمومًا في القرآن؛ البعيدة عن الفهم وتوضيح معانيها بما جاء في المأثور وفي لغة العرب وكلامهم[1].

وقد لخّص الرافعي[2] هذا فقال:" وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب وليس المراد بغرابتها أنها مُنكرة أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربَة في التأويل؛ بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس"[3].

المطلب الثاني: نشأته وتطوره:

أول ما بدأ تدارس القرآن الكريم وتفسيره زمن الرسول ﷺ، فبالرغم من فصاحة لسان الصحابة الكرام ومعرفتهم بمواقع الخطاب الذي نزل بلغتهم، إلا أنهم قد تُشكل عليهم كلمة من كلمات القرآن، فيرجعون للنبي ﷺ، حيث كان عليه الصلاة والسلام يفسر ما عز فهمه من غريب القرآن عليهم ويوضح لهم بعض المعاني التي التبس فهمها أو غمُض معناها، فكان تفسيره عليه السلام يُعدّ المرحلة الأولى من مراحل تفسير غريب القرآن، واسْتمرَّ عصره ﷺ إلى حين وفاته على هذا السَّنَن المستقيم.

وجاء العصر الثاني- وهو عصر الصحابة- جاريا على هذا النَّمط سالكا هذا المَنهج، فكان اللسان العربي عندهم صحيحا مَحْرُوسا لا يَتَدَاخَلُهُ الخَلل، ولا يَتَطرَّقُ إليه الزَّلَل، فكان المسلمون يتجهون إلى كبار الصحابة يستفسرون عمّا خُفي عليهم من معاني ألفاظ القرآن إلى أن فُتحت الأمصار، وخالطَ العربُ غيرَ جنسهم من الأعاجم ففشي اللّحن وجهل جمهور الناس معظم اللغة، واختلطت الفرق وامتزجت الألسُن، وتداخَلتِ اللغاتُ ونشأ بينهم الأولاد، فتعلموا من اللسان العربي مالا بدّ لهم في الخطاب منه، وحفظوا من اللغة ما لا غنى لهم في المحاورة عنه، وتركوا ما عداه لعدم الحاجة إليه، وأهمَلوه لقلّة الرَّغبة...وتمادتِ الأيامُ والحالة هذه على ما فيها من التَّماسُك والثَّبَات واسْتَمرَّت على

---

[1] - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1376هـ/1957م، النوع:الثامن عشر، ص 291، تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم، مكي بن أبي طالب القيسي، دراسة وتحقيق: هدى الطويل المرعشلي، ط1، دار النور الإسلامية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م مقدمة التحقيق ، ص 51، العمدة في غريب القرآن، مكي بن أبي طالب،مقدمة التحقيق ص 14.

[2] - مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن عبد القادر الرافعي، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب ، أصله من طرابلس الشام توفي بمصر 1356هـ/1937م، ينظر: الأعلام، الزركلي، ج7 ، ط15، دار العلم للملايين، 2002م ، ص 235.

[3] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ط8، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ/2005م، ص53.

سَنَنٍ من الاستقامة والصلاح، إلى أن انقرض عصر الصحابة والشأنُ قريب، والقائمُ بواجب هذا الأمر لقلّته غريب.

وجاء التابعون لهم بإحسان فسلكوا سبيلهم لكنهم قلُّوا في الإتقان عددا، واقتفوا هديهم وإن كانوا مَدُّوا في البيان يَدَا، فما انقضى زمانُهم على إحسانهم إلاّ واللسانُ العربيُّ قد استحال أعجميا أو كاد، فلا ترى المُسْتَقِلَّ به والمحافظَ عليه إلاّ الآحاد... فلما أعضَلَ الدَّاء وعزَّ الدَّواء، ألهمَ الله عز وجل جماعة من أولِي المعارف والنُّهَى، وذوي البصائر والحِجَى، أن صرفوا إلى هذا الشأن طَرَفاً من عنَايتهم، وجانبا من رِعايَتهم، فشَرَّعوا فيه للناس موارِدًا، ومهَّدوا فيه لهم معاَهدا، حراسةً لهذا العلم الشريف من الضياَع، وحفظا لهذا المهِم العزيز من الاختلال[1].

فمن هنا دعت الحاجة إلى التأليف في شرح غريب القرآن وكانت المحاولات اللغوية لتفسير ألفاظ القرآن هي الخطوة الممهّدة للتأليف في التفسير ثم جاء القرن الثاني ونشطت الحركة العلمية عند المسلمين نشاطًا قويًا بارزًا، وكان القرآن الكريم هو المحور الذي تدور في فلكه العلوم، فنشأت هذه العلوم حول القرآن، أول الأمر حفظًا له ثم استقلت بعد ذلك واتخذت مناهج خاصة.

وهكذا استقل علم غريب القرآن وغدا علمًا بذاته وألّف فيه كبار الأئمة والمفسرين والمقرئين واللغويين، تيسيراً للناس كي يفهموا ما غمض عليهم من كلام الله عزّ وجلّ وتطور التصنيف فيه بما يلائم كلّ عصر، وما زال الناس إلى عصرنا هذا يضعون فيه المصنفات[2].

---

[1] – يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي ، محمود الطنّاحي، ج1، المكتبة العلمية بيروت، 1399هـ/1979م، ص 5 ، تفسير المشكل من غريب القرآن ، مكي بن أبي طالب، مقدمة التحقيق، ص 54-55، تحفة أريب بما في القرآن من الغريب، أبي حيان الأندلسي، ت: سمير المجذوب، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق، 1403هـ/1983م، مقدمة التحقيق، ص 21-22 ، الميسر في غريب القرآن الكريم، مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1433هـ ، ص 10.

[2] – العمدة في غريب القرآن، مكي بن أبي طالب ، مقدمة التحقيق ص 17.

المطلب الثالث: مناهج التأليف في علم غريب القرآن وأهم مؤلفاته:

أولاً: مناهج العلماء في تأليفهم في علم غريب القرآن:

بدأت حركة التأليف في غريب القرآن في وقت مبكرٍ وَاكب تدوين العلوم الإسلامية، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري[1]، ولقد انتهج العلماء المصنفون في هذا العلم في ترتيب كتبهم مناهج متباينة:

1_ فمن العلماء من صنّف فيه وفق ترتيب الألفاظ بحسب ترتيب سور القرآن الكريم مبتدأة بالفاتحة ومختتمة بالناس، ويغلب هذا المنهج على المحاولات الأولى إذْ يُعدّ أقدم منهج سُلك في مسيرة التصنيف في الغريب، وعليه درج أغلب المصنفين في علم غريب القرآن كأبي عبيدة معمر بن المثنى[2] في كتابه مجاز القرآن، وأهم ما يميّز هذا الإتجاه أنه يتمثل في معرفة الكلمة القرآنية الغريبة وموضعها ومعناها، وفيه تيسير على القارئ والباحث.

2_ ومنهم من ألّف بصورة معجمية أي بترتيب الألفاظ القرآنية على الحروف الهجائية، وأهم ما يميّز هذا الإتجاه أنه يتمثل في معرفة الكلمة ومعناها وتتبّع اشتقاقاتها ودورانها في القرآن.

وهذه الطريقة أخذت أشكالاً وطرائق:

_ الترتيب حسب الحرف الأول من الكلمة وحركته، دون النظر إلى الحروف الأصلية والزائدة، ويمثّل هذا الإتجاه كتاب السجستاني[3] المسمى نزهة القلوب، فكان ترتيبه معقدًا من حيث فصله بين المفتوح والمضموم والمكسور.

---

[1] – الميسّر في غريب القرآن الكريم، ص 15 ، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د، مساعد الطيار ، دار ابن الجوزي ص 332.

[2] – هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، كان من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب، وكان عالمًا بالشعر والغريب والأخبار والنسب توفي:207 هـ، وقيل 209، ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، كمال الدين الأنباري، ت:إبراهيم السامرائي، ج1 ط3، مكتبة المنار، الأردن،1405هـ/1985م ، ص 84-90.

[3] – الإمام أبو بكر محمد بن عزير السجستاني، المفسر مصنّف غريب القرآن، كان رجلاً فاضلاً خيّرا، وكان مقيمًا ببغداد توفي سنة : 330 هـ ، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج11، دار الحديث، القاهرة،1427هـ/2006م، ص456.

ـ ترتيب الكلمة وفق أوائل أصولها، ويمثّل هذا مفردات الراغب الأصفهاني[1]، حيث راعى فيها بعضهم جذر الكلمة، ومنهم من نظر إلى الشكل الخارجي للكلمة دون مراعاة لأصلها الإشتقاقي.

ـ ترتيب الكلمة وفق أواخر أصولها فيرتب على أساسه، ويمثّله تفسير غريب القرآن العظيم لأبي بكر الرازي[2].[3]

3ـ ومنهم من مزج مع الغريب غيره من العلوم كمن جمع بين غريبيْ القرآن والحديث ككتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي[4]، وكتاب المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني[5] ومنهم من جمعه مع الناسخ والمنسوخ كأبي جعفر الخزرجي[6] في كتابه نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه.

4ـ ومنهم من انتخب الغريب من كتب كبيرة لمفسرين أوغيرهم فيجمع الغريب من هذه الكتب ويصنفها في مصنف مستقل مثل ما فعل ابن صُمادح التجيبي[7] الذي استخرج غريب القرآن من تفسير

---

[1] – هو الحسين بن محمد الراغب أبو القاسم الأصبهاني، أحد أعلام العلم ومشاهير الفضل له تصانيف كثيرة منها كتاب المفردات من تفسير القرآن، توفي: 502هـ ، ينظر: معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ج3، ص 1156.

[2] – هو محمد بن عمر بن الحسين الإمام الرازي القرشي البكري، إمام وقته في العلوم العقلية له التفسير الكبير، توفي سنة: 606هـ ، ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي، ت: علي محمد عمر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1396هـ ، ص 115.

[3] – ينظر: الميسّر في غريب القرآن الكريم، ص 15-16 ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، ابن الهائم، ت:د، ضاحي عبد الباقي محمد ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، مقدمة التحقيق، ص 20-22 ، تفسير غريب القرآن، الصنعاني ، ت: محمد صبحي حلاّق، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1421هـ/2000م، مقدمة التحقيق، ص7-8 تحولات بنية الكلمة في غريب القرآن في ضوء علم اللغة المعاصر، محمد إسماعيل الملاحمة، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة عمادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2004م، ص 33.

[4] – أحمد بن عبد الرحمن أبو عبيد الهروي الباشاني، المؤدب صاحب غريبي القرآن والحديث، قرأ على جماعة منهم الخطابي مات سنة: 401هـ ، ينظر: معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ج2 ، ص491.

[5] – الإمام العلاّمة الحافظ الكبير أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصبهاني الشافعي ، صاحب التصانيف كان حافظ المشرق في زمانه، توفي: 581هـ ، ينظر: سير أعلام النبلاء، ج 15 ، ص345-347.

[6] – أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي، أبو جعفر، فقيه أندلسي، من أهل قرطبة، نزل بجاية وسكن غرناطة، توفي بفاس سنة: 582 هـ ، ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي، ت: عبد السلام الهراس، ج1، دار الفكر، لبنان 1415هـ/1995م، ص 76.

[7] – محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صمادح التجيبي من أهل سرقسطة، يكنى أبا يحي، كان مع رياسته من أهل العلم والأدب والفضل، هلك عطبًا في البحر وذلك سنة: 419هـ، ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ج1، 308.

الطبري[1] وابن الجوزي[2] في كتابه: تذكرة الأريب في تفسير الغريب[3].

واختلفت هذه المصنفات فيما بينها من حيث الإكثار من الشواهد اللغوية والشعرية، فمنهم من أطال في الشرح والاستشهاد بالأثر والشعر مثل ابن قتيبة[4]، ومنهم من مَال إلى الإختصار واكتفى ببيان اللفظة بمثلها كالمتأخرين مثل أبي حيان[5] في تحفة الأريب، ومنهم من كان يأخذ من المفسرين السلف، وسائرهم غلبت عليه النظرة اللغوية كما اعتمدوا على الشاهد الشعري[6].

ثانيًا: أهم المؤلفات فيه:

تتابع التأليف في غريب القرآن وكَثُرت المؤلفات فيه وكان القرنين الثالث والرابع الهجرين الأكثر تأليفًا، وبلغت المصنفات الموضوعة في هذا العلم كثرة لا تُحصى كما قال السيوطي[7]:" أفرده

[1] – هو الإمام الطبري أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من عصره، توفي سنة:310 هـ ، ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي، ص 95-97.

[2] - عبد الرحمن بن علي الإمام أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي الحنبلي الواعظ، له تصانيف مشهورة في أنواع العلوم من القرآن والفقه وغير ذلك، توفي سنة: 597 هـ ، ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي، ص 61.

[3] – الميسّر في غريب القرآن الكريم، ص 16-17.

[4] – عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري، سكن بغداد، روى عنه ابنه أحمد، وكان ثقة دينًا فاضلاً وهو صاحب التصانيف المشهورة، توفي سنة: 276هـ ، ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ت: بشار عواد معروف ج11، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ/2002م، ص 411.

[5] – محمد بن يوسف بن حيّان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ومؤرخه وأديبه، له يد طولى في التفسير والحديث، مات بالقاهرة سنة: 745هـ ودفن بمقابر الصوفية، ينظر: طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، راجع النسخة لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 287-291.

[6] – العمدة في غريب القرآن، مكي بن أبي طالب ، مقدمة التحقيق ص 19 ، جهود العلماء في غريب القرآن، د، عبد الرحمن الشهري، بحث ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن وعلومه، موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، أيام: 10-11-12- جمادى الأول 1432هـ ، الموافق لـ: 14-15-16-أبريل 2011م، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

[7] – عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر الخضيري السيوطي، حفظ القرآن صغيراً وشرع في الاشتغال بالعلم، لازم علم الدين البلقيني، البلقيني، ثم شرع في التصنيف وبلغت مؤلفاته الثلاثمائة، توفي:911 هـ ، ينظر: حسن المحاضرة، السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ص 335-344.

بالتصنيف خلائق لا يُحصوْن"[1].

ولقد اختلفت تسمية هذه المصنفات فسُميت بمعاني القرآن، وبمجاز القرآن، وسماها بعضهم إعراب القرآن، وهذه التسميات ترجع إلى مسمى واحد هو شرح اللفظ القرآني، ومن أهم هذه المصنفات:

ما عُرف من ذلك بما روي عن ابن عباس[2] في ما يسمى بإجاباته عن المسائل التي سأله عنها نافع بن الأزرق[3]، وقد جُمعت هذه الروايات وتمّ تحقيقها وتهذيبها، مثل غريب القرآن رواية عن ابن عباس بتهذيب عطاء بن رباح التابعي (114هـ).

غريب القرآن لأبان بن تغلب (141هـ) .

غريب القرآن لمحمد بن السائب الكلبي الكوفي (146هـ).

غريب القرآن لعلي بن حمزة الكسائي (182هـ).

كتاب معاني القرآن لقطرب محمد بن المستنير (206هـ).

معاني القرآن للفراء يحي بن زياد (207هـ).

كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ).

غريب القرآن لأبو عبيد القاسم بن سلام (223هـ)، وله كتاب في غريب الحديث.

تفسير غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري (276هـ).

---

[1] – الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ/1974م، النوع السادس والثلاثون، ص 3.

[2] – عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله ﷺ، كان يسمى البحر لسعة علمه ويسمى حبر الأمة، وترجمان القرآن، توفي سنة 68 هـ بالطائف، ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج3، دار الفكر، بيروت 1409هـ/1989م، ص 186.

[3] – هو نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج وإليه تنسب الطائفة الأزارقة، من أهل البصرة،كان يطلب العلم وله أسئلة عن عن ابن عباس ﷺ، توفي:65 هـ ، ينظر: لسان الميزان، بن حجر العسقلاني، ت: دائرة المعارف النظامية، الهند، ج6، ط2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ، 1390هـ/1971م، ص 144.

– لقد وردت هذه المسائل عن ابن عباس وقد جاوزت المائتين وخمسين مسألة فكان حول كثرتها شك.

ثم محمد بن عزيز أو – عزير– السجستاني (330هـ) كتابه غريب القرآن ويُسمى نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن الكريم.

ثم ألف أبو عبيد الهروي (401هـ) كتابه الغريبين في غريب القرآن وغريب الحديث، وما أُلف حوله من استدراكات وشروحات.

العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (437هـ)، وقد اختصر فيه كتابه المشكل من غريب القرآن. كتاب

المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (502هـ).

مفردات القرآن للسمين الحلبي (596هـ).

الأريب بما في القرآن من الغريب لابن الجوزي (597هـ). وفي طبعات يسمى تذكرة الأريب بما في القرآن من الغريب.

روضة الفصاحة في غريب القرآن للرازي (606هـ).

تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي (745هـ).

منظومة تفسير غريب القرآن للعراقي زين الدين (806هـ).

التبيان في غريب القرآن لابن الهائم (815هـ).

مفحمات الأقران في مبهمات القرآن لجلال الدين السيوطي (911هـ).

تفسير غريب القرآن لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني اليمني (1182هـ)... وغيرها من التآليف الكثيرة .

ولا تزال التآليف على مرّ العصور حيث توسعت مادتها وتنوعت مناهجها ولا تزال إلى يومنا هذا ومن أهم المصنفات في علم غريب القرآن في العصر الحديث نذكر مايلي:

تفسير غريب القرآن لإسماعيل باشا البغدادي (1339هـ/1920م).

كلمات القرآن تفسير وبيان لحسنين محمد مخلوف (1355هـ/1936م).

البيان في شرح غريب القرآن لقاسم بن حسن بن موسى (1376هـ/1956م).

تفسير غريب القرآن لمحمود إبراهيم وهبة.

قاموس قرآني جمع وتأليف حسن محمد موسى.

المدخل في غريب القرآن، نظم محمد الطاهر بلقاسم بن الأخضر التليلي (1424هـ/2003م).

الهادي إلى تفسير غريب القرآن تأليف: الدكتور، محمد سالم محيسن (1422هـ)، والدكتور شعبان محمد إسماعيل[1].

[1] – يُنظر: العمدة في غريب القرآن، مكي بن أبي طالب ، مقدمة التحقيق ص 21– 37 ، تفسير المشكل من غريب القرآن ، مكي بن أبي طالب، مقدمة التحقيق ص58–68 ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبي حيان الأندلسي، مقدمة التحقيق ص 23–26 ، تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1398هـ/1978م، ص 5–6 ، تفسير غريب القرآن ، الصنعاني ، مقدمة التحقيق ، ص 8–28، دراسة لغوية في أراجيز رؤبة والعجاج ، د، خولة تقي الدين الهلالي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، الجمهورية العراقية، 1982م، ص 66–68.

المبحث الثاني: غريب القرآن في تفسير التحرير والتنوير

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج ابن عاشور في عرض الغريب

المطلب الثاني: خصائص منهج الإمام في الغريب

المطلب الثالث: مصادره في غريب القرآن

المبحث الثاني: غريب القرآن في تفسير ابن عاشور

سبق التعرّف في المبحث السابق عن علم غريب القرآن ومعرفة مؤلفاته ومناهج التأليف فيه كمدخل عام إلى هذا العلم الجليل، وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن هذا العلم في تفسير الإمام ابن عاشور التحرير والتنوير، وهذا بالتعرّف على منهجه في عرض المفردة الغريبة، ومعرفة خصائص منهجه وإضافاته، كذلك معرفة موارده في غريب القرآن من كتب اللغة والتفسير.

المطلب الأول: منهج ابن عاشور في عرض الغريب:

ويكون الحديث في هذا المطلب عن منهج الإمام والتعرّف على طريقته في تناول الألفاظ الغريبة.

تمهيد: طريقة شرح ابن عاشور للألفاظ عمومًا:

لابن عاشور طريقة خاصة سار بها في تفسيره للألفاظ؛ حيث يتناول اللفظة الواحدة يبين معناها ومبناها وأصلها ويتعرض لاشتقاقها وما يتعلق بها من أمور لغوية من حيث ورودها في أساليب الفصحاء والاستشهاد على ذلك بأشعار العرب وأمثالهم، إلى غير ذلك، ودلالتها في السياق القرآني والمعنى الشرعي لها إن كانت من الألفاظ التي تتحمل ذلك، ثم يجمع بين كل كلمتين أو أكثر في الآية الواحدة يربط بين المراد منها جميعا، حيث يربط في ذلك بين المعنى اللغوي للفظة بالمعنى السياقي، وفي تفسيره هذا يحيط اللفظة الواحدة بكثير من الشواهد، ومهما كانت كثرة هذه الشواهد فإن جهوده اللغوية كانت ظاهرة، وكثيرا ما كان يستقل بهذه الجهود في تناول هذه المعاني[1].

أولاً: طريقته في تحليل اللفظة:

في أكثر الأحيان يبدأ ابن عاشور في شرح الغريب بتجريد الكلمة من حروف الزيادة، ويذكر الاشتقاق؛ اسم مفعول، مصدر، صيغة مبالغة، اسم فاعل، مصدر ميمي، ويذكر الميزان الصرفي للكلمة. كذلك يذكر أصل معناه في اللغة وحقيقة اللفظة، وهو يهتم بهذا المجال كثيرًا

[1]– ينظر: تفسير ابن عاشور، دراسة منهجية ونقدية، جمال أبو حسان، ص 81، منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير نبيل أحمد صقر، ط1، الدار المصرية، القاهرة، 1422هـ/2001م، ص 166.

قال في مقدمة تفسيره:" واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة.."[1]

قال في شرح لفظة- مذبذبين- في قوله تعالى:﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾ [النساء: 143]:" والمذبذب اسم مفعول من الذبذبة. يقال: ذبذبه فتذبذب. والذبذبة: شدة الاضطراب من خوف أو خجل، قيل: إن الذبذبة مشتقة من تكرير ذب إذا طرد، لأن المطرود يعجل ويضطرب، فهو من الأفعال التي أفادت كثرة المصدر بالتكرير، مثل زلزل وملم بالمكان وصلصل وكبكب، وفيه لغة بدالين مهملتين، وهي التي تجري في عاميتنا اليوم، يقولون: رجل مدبدب، أي يفعل الأشياء على غير صواب ولا توفيق. فقيل: إنها مشتقة من الدُبّة- بضم الدال وتشديد الباء الموحدة- أي الطريقة بمعنى أنه يسلك مرة هذا الطريق ومرة هذا الطريق"[2].

ذكر ابن عاشور اسم المفعول في شرح اللفظة ، وذكر اشتقاقها ومعناها اللغوي، ومعناها السياقي، وهذا غالب أحواله في شرح الغريب.

ثانيًا: منهجه في الاستدلال على تفسير الألفاظ الغريبة:

تحفل كتابات الشيخ ابن عاشور ولا سيما تفسيره بالشواهد القرآنية والشعرية والحديثية والأمثال السائرة والحكم النادرة، فما من إنتاج أنتجه إلا وكان زاخرًا بالشعر حافلاً بالقرآن والحديث مُحلى بالأمثال والحكم، وفي ذلك دلالة على الثقافة الأدبية التي يمتلك ناصيتها الشيخ، فكان الحجة الحافظ لعيون الشعر وجيّد الكلام.[3] وقد أجمل هذا رحمه الله فقال:" إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة، ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو والمعاني، والبيان. ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم، ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستئناس للتفسير من أفهام أهل اللسان أنفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين..."[4].

---

[1]- ينظر: التحرير والتنوير، 8/1.

[2] - التحرير والتنوير، 241/5.

[3]- من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، بلقاسم الغالي، ص223.

[4] - ينظر: التحرير والتنوير: المقدمة الثانية - في استمداد علم التفسير- 18/1.

وسأذكر بعضًا من استدلالاته في شرح الغريب:

- **استشهاده بالقرآن:**

من طريقة ابن عاشور في شرح اللفظة الغريبة الاستشهاد بآيات من القرآن العظيم، حيث اهتم رحمه الله بهذا المجال اهتمامًا بالغًا وهذا ما تجده مبثوثًا في تفسيره وذلك من أجل تأكيد تشابه المعاني القرآنية ومن أجل تتبع دلالة اللفظة القرآنية، ومثال استشهاده بالقرآن ما ذكره عند قوله تعالى:﴿ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ ﴾ [نوح: ٧] قال:" واستغشاء الثياب: جعلها غشاء، أي غطاء على أعينهم، تعضيدا لسد آذانهم بالأصابع لئلا يسمعوا كلامه ولا ينظروا إشاراته. وأكثر ما يطلق الغشاء على غطاء العينين، قال تعالى:﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ﴾ [البقرة: 7] والسين والتاء في استغشوا للمبالغة..."[1].

وهنا أورد رحمه الله الآية الكريمة في سورة البقرة من أجل تأكيد وبيان معنى أنّ الغشاء أكثر ما يطلق على غشاء العين والأبصار.

وغيرها من الأمثلة الواردة في تفسيره والتي أخذ ابن عاشور في شرحها من القرآن فاستشهد به في بيان الألفاظ وشرح المعاني وتوضيح الفنون البلاغية وما حواه من مجاز وتشبيه واستعارة.

- **استشهاده بالشعر:**

احتلّ الشعر مكانة بارزة في تفسير التحرير والتنوير، واحتج به ابن عاشور في تبيين الحرف الغريب في القرآن وبعض الاستعمالات اللغوية عند العرب[2]، وهذا من أجل الاستدلال على معنى اللفظة بالشاهد الشعري عند خفاء المعنى أوتوضيح معناها أو ترجيح معنى على معنى، وغيرها من الأغراض، قال رحمه الله:"...ولذلك- أي لإيجاد الذوق أو تكميله- لم يكن غنى للمفسر في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية ببيت من الشعر أو بشيء من كلام العرب لتكميل ما عنده من الذوق، عند خفاء المعنى، ولإقناع السامع والمتعلم الذين لم يَكْمُل لهما الذوق في المشكلات"[3].

[1]- التحرير والتنوير، 195/29.

[2] - منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر، ص 148.

[3] - ينظر: التحرير والتنوير: المقدمة الثانية- في استمداد علم التفسير- 21/1.

ومما احتج به الإمام أشعار كثير من فحول شعراء العرب ومنهم امرؤ القيس[1] نذكر مثالاً على ذلك:

قال ابن عاشور:"في قوله تعالى﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ ﴾[الحديد:20]: واللهو: اسم لفعل أو قول يقصد منه التذاذ النفس به وصرفها عن ألم حاصل من تعب الجسد أو الحزن أو الكمد، يقال: لها عن الشيء، أي تشاغل عنه. قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لهو بها غير معجل[2].

وقال النابغة [3]يذكر حجه:

حياك ربي فإنا لا يحل لنا ... لهو النساء وإن الدين قد عزما [4].

ويغلب اللهو على أحوال الشباب فطور الشباب طوره، ويكثر اللهو في أحوال الدنيا من تطلب اللذات والطرب"[5].

فهنا رحمه الله أورد الشاهد بالشعر العربي من أجل الاستدلال على معنى لفظة- اللهو- ولتوضيح معناها وتأكيده. وغيرها من الأمثلة والشواهد في تفسير ابن عاشور والتي عنده من الوسائل التي تكشف عن معنى الكلمة وبيان كيفية استعمالاتها وأحوالها المختلفة...

- **استشهاده بالحديث:**

استدل الإمام ابن عاشور بالأحاديث النبوية الشريفة على معنى الألفاظ الغريبة وتفسيرها وبيان المقصود منها، وكان اعتماده على بعض كتب الحديث كالصحيحين وموطأ مالك وغيره، نذكر مثالاً على ذلك: قال في تفسير لفظة- تدرسون- في قوله تعالى:﴿ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] "وتدرسون معناه تقرءون أي قراءة بإعادة وتكرير: لأن مادة درس في كلام العرب تحوم حول معاني التأثر من تكرر عمل يعمل في أمثاله، فمنه قولهم: درست الريح رسم الدار إذا عفته

---

[1]- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، شاعر جاهلي، أشهر الشعراء العرب على الإطلاق، كان أبوه ملك أسد وغطفان، قال الشعر وهو غلام، وفاته: 544م، ينظر: معجم الشعراء العرب، مجموع من الموسوعة الشعرية، ص 936.

[2]- ديوان امرئ القيس، : عبد الرحمن المصطاوي ، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1425هـ/2004م، ص 35.

[3] - زياد بن معاوية الذبياني الغطفاني، يكنى أبا أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو، وفاته: 605م، ينظر: معجم الشعراء العرب، 853.

[4]- ديوان النابغة الذبياني، ت: عباس عبد الساتر، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ/1996، البيت من البسيط، ص 112.

[5] - التحرير والتنوير، 402/27.

وأبلته، فهو دارس..وقالوا: درس الكتاب إذا قرأه بتمهل لحفظه، أو للتدبر، وفي الحديث "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة..."[1]. فعطف التدارس على القراءة فعلم أن الدراسة أخص من القراءة.

وسموا بيت قراءة اليهود مِدْرَاسا كما في الحديث[2]: " أنّ النبي ﷺ خرج في طائفة من أصحابه حتى أتى مدراس اليهود فقرأ عليهم القرآن ودعاهم..."[3].

استعان الإمام في هذه الآية بالأحاديث من أجل زيادة توضيح معنى هذه اللفظة، وغيرها من المواضع في تفسيره والتي استشهد بها بالحديث النبوي.

- **استشهاده بالأمثال:**

واعتمد رحمه الله على الأمثال والأقوال المشهورة أيضًا في تفسيره للألفاظ الغريبة، وذلك للاستئناس به في معنى لفظة من الألفاظ، قال عند قوله تعالى ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [النساء:١١٧]:"والمريد: العاصي والخارج عن الملك، وفي المثل:" تمرد مارد وعز الأبلق"[4]؛ اسما حصنين للسّموأل، فالمريد صفة مشبهة مشتقة من مرد- بضم الراء- إذا عتا في العصيان..."[5].

---

[1] – سنن أبي داود، ت: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، باب تفريع أبواب الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن، الحديث رقم: 1455، 71/2، قال الألباني:"إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقد أخرجه مسلم في صحيحه. وصححه الترمذي، ينظر: صحيح أبي داود-الأم- ناصر الدين الألباني، ج5، ط1، مؤسسة غراس، الكويت 1423هـ/2002م، ص 196.

[2] – نص الحديث:" عن أبي هريرة ﷺ ، قال: بينما نحن في المسجد، خرج النبي ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال: أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله"، أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، 99/4. وبيت المدْراس: البيت الذي يدرسون فيه التوراة وغيرها .

[3] – التحرير والتنوير، 295/3.

[4] – تَمَرَّدَ مارِدٌ وَعَزَّ الأَبْلَق: مارد: حِصْن دُومَة الجَنْدل، والأبلق: حصن للسموءل بن عَادِيا، قيل: وصف بالأبلَق لأنه بني من حجارة مختلفة الألوان بأرض تَيْماء، وهما حصنان قصدتهما الزباء ملكة الجزيرة فلم تقدر عليهما، فقالت: تمَرَّدَ مارِدٌ وعَزَّ الأبلق، فصار مثلا لكل ما يعز ويمتنع على طالبه..ينظر: مجمع الأمثال ، أبو الفضل الميداني، ت: محمد عبد الحميد، ج1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ، ص 126، و43/2.

[5] – التحرير والتنوير، 203/5.

- **وكذلك من طريقته في شرح الغريب ذكر القراءات المتواترة المتعلقة باللفظة:**

الإمام ابن عاشور من المفسرين الذين اهتموا بالقراءات، حيث يذكر رحمه الله عند شرحه للمفردة بعض القراءات القرآنية وتوجيهها، قال في المقدمة الثانية:" وأما القراءات فلا يحتاج إليها إلا في حين الاستدلال بالقراءة على تفسير غيرها، وإنما يكون في معنى الترجيح لأحد المعاني القائمة من الآية أو لاستظهار على المعنى، فذكر القراءة كذكر الشاهد من كلام العرب، لأنها إن كانت مشهورة، فلا جرم أنها تكون حجة لغوية، وإن كانت شاذة فحجتها لا من حيث الرواية، لأنها لا تكون صحيحة الرواية، ولكن من حيث أن قارئها ما قرأ بها إلا استنادا لاستعمال عربي صحيح.."[1].

قال ابن عاشور في شرح قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: 145] "والدرك: اسم جمع دركة، ضد الدرج اسم جمع درجة. والدركة المنزلة في الهبوط. فالشيء الذي يقصد أسفله تكون منازل التدلي إليه دركات، والشيء الذي يقصد أعلاه تكون منازل الرقي إليه درجات، وقد يطلق الاسمان على المنزلة الواحدة باختلاف الاعتبار وإنما كان المنافقون في الدرك الأسفل، أي في أذل منازل العذاب، لأن كفرهم أسوأ الكفر لما حف به من الرذائل. وقرأ الجمهور: في الدرك- بفتح الراء- على أنه اسم جمع دركة ضد الدرجة. وقرأه عاصم. وحمزة والكسائي، وخلف- بسكون الراء- وهما لغتان وفتح الراء هو الأصل، وهو أشهر"[2].

ذكر هنا الإمام في شرح هذه الكلمة قراءة الجمهور ورجحها وقراءة حمزة والكسائي وخلف من أجل زيادة بيان وتأكيد معنى اللفظة والاستدلال عليها بالقراءات.

- **ومن طريقته في تفسير الغريب الإتيان بلغات العرب في اللفظة.**

وقد ذكر ابن عاشور بعضًا من لغات العرب في تفسيره للكلمة الغريبة ومعناها، وهذا ما ذهب إليه في تفسير – الكنود- في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦] قال:" والكنود: وصف من أمثلة المبالغة من كند ولغات العرب مختلفة في معناه فهو في لغة مضر وربيعة: الكفور بالنعمة، وبلغة كنانة: البخيل، وفي لغة كندة وحضرموت: العاصي. والمعنى: لشديد الكفران لله"[3].

---

[1]- ينظر: التحرير والتنوير: المقدمة الثانية- في استمداد علم التفسير- 25/1.

[2] - المرجع نفسه، 244/5.

[3] - المرجع نفسه، 502/30.

المطلب الثاني: خصائص منهج الإمام في الغريب:

تميّز تفسير الإمام للغريب بعدة ميزات وخصائص واضافات جعلته يحتل مكانة عالية من كتب تفسير القرآن الكريم ومن أهم هذه الخصائص:

- **اعتماده على أقوال السلف في تفسير الغريب:**

استعان الإمام ابن عاشور بالأقوال والآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين في كثير من المواضع في شرح المفردة الغريبة وهو في ذلك مختار مناقش مرجح، نذكر مثال على ذلك: حيث قال في تفسيره قوله تعالى ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: ١ – ٣] "..ف المرسلات قال ابن مسعود وأبو هريرة ومقاتل وأبو صالح والكلبي ومسروق: هي الملائكة. وقال ابن عباس وقتادة: هي الرياح، ونقل هذا عن ابن مسعود أيضا ولعله يجيز التأويلين وهو الأوفق بعطفها بالفاء. والناشرات قال ابن عباس والضحاك وأبو صالح: الملائكة. وقال ابن مسعود ومجاهد: الرياح وهو عن أبي صالح أيضا...ومثله تكرر في القرآن... فالأرجح أن المرسلات والعاصفات صفتان للرياح، وأن ما بعدها صفات للملائكة..."[1].

وذكر في معنى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤] "ودهاق: اسم مصدر دهق من باب جعل أو اسم مصدر أدهق... والدهق والإدهاق ملء الإناء من كثرة ما صب فيه. ووصف الكأس بالدهق من إطلاق المصدر على المفعول كالخلق بمعنى المخلوق فإن الكأس مدهقة لا داهقة. ومركب–كأس دهاق– يجري مجرى المثل قال عكرمة: قال ابن عباس: سمعت أبي في الجاهلية يقول: اسقنا كأسا دهاقا، ولذلك أفرد " كأسا "، ومعناه مملوءة خمرا، أي دون تقتير لأن الخمر كانت عزيزة فلا يكيل الحانوي للشارب إلا بمقدار فإذا كانت الكأس ملأى كان ذلك أسر للشارب"[2].

- **المعاني التي تتحملها الألفاظ الغريبة تعتبر مرادة بها:**

سار ابن عاشور في تفسير الألفاظ على حمل المعاني المتعددة التي تتحملها اللفظة وهذا بناءًا على قاعدته والتي ذكرها في المقدمة التاسعة[3] ؛ وهي أنّ المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها ما لم يمنع من ذلك مانع ومادام أنه يسمح بها السياق، من ذلك ما ذكره في قوله تعالى

[1] – التحرير والتنوير، 420/29.

[2] – المرجع نفسه، 45/30.

[3] – المرجع نفسه، 93/1-97.

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [ص: 52] قال:" وقاصرات الطرف صفة لموصوف محذوف، أي نساء قاصرات النظر. وتعريف الطرف تعريف الجنس الصادق بالكثير، أي قاصرات الأطراف.

والطرف: النظر بالعين، وقصر الطرف توجيهه إلى منظور غير متعدد.

فيجوز أن يكون المعنى: أنهن قاصرات أطرافهن على أزواجهن. فالأطراف المقصورة أطرافهن. وإسناد قاصرات إلى ضميرهن إسناد حقيقي، أي لا يوجهن أنظارهن إلى غيرهم وذلك كناية عن قصر محبتهن على أزواجهن. ويجوز أن يكون المعنى: أنهن يقصرن أطراف أزواجهن عليهن فلا تتوجه أنظار أزواجهن إلى غيرهن اكتفاء منهم بحسنهن وذلك كناية عن تمام حسنهن في أنظار أزواجهن بحيث لا يتعلق استحسانهم بغيرهن، فالأطراف المقصورة أطراف أزواجهن"[1].

في تفسيره هذه الآية ذكر ابن عاشور قولين في معنى لفظة- قاصرات- وفصّل فيهما ولم يرجح أي من المعنيين وكأن الآية تتحملهما وتعتبر مرادة بهما.

وكذلك في تفسير قوله تعالى﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ [القلم:20] قال:" والصريم قيل: هو الليل والصريم من أسماء الليل ومن أسماء النهار لأن كل واحد منهما ينصرم عن الآخر كما سمي كل من الليل والنهار ملوا فيقال: الملوان، وعلى هذا ففي الجمع بين أصبحت و الصريم محسن الطباق.

وقيل الصريم: الرماد الأسود بلغة جذيمة أو خزيمة.

وقيل الصريم: اسم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئا.

وإيثار كلمة الصريم هنا لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تراد في الآية"[2].

وهنا صرّح ابن عاشور بقاعدته في شرح لفظة- الصريم-وذكر عدة معاني تتحملها هذه اللفظة

- **استدراكاته على العلماء في شرح الغريب:**

وكان الإمام إلى جانب علمه ومعرفته ناقدًا مستدركًا على من سبقه حيث نقل نقولات كثيرة عن العلماء في تفسيره وأقرّهم على كثير من آرائهم وأيدها واعترض عليهم في بعضها، وكانت اعتراضاته ذات قيمة علمية أضْفت على التفسير عمقًا في المعلومات وتحقيقًا في الأقوال وتمحيصًا. قال في تفسير قوله تعالى﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ ﴾ [محمد:37]: "والإحفاء: الإكثار وبلوغ النهاية في الفعل، يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح. وعن عبد الرحمن ابن زيد: الإحفاء أن

[1] - التحرير والتنوير، 282/23-283.

[2] - المرجع نفسه، 82/29.

تأخذ كل شيء بيديك، وهو تفسير غريب. وعُبّر به هنا عن الجزم في الطلب وهو الإيجاب، أي فيوجب عليكم بذل المال ويجعل على منعه عقوبة"[1].

وهنا استدرك رحمه الله على تفسير ابن زيد وقال بأنه تفسير غريب، وغيرها من الاستدراكات التي اعترض بها ابن عاشور على غيره من المفسرين.

- **ومن خصائص منهجه تفرده ببعض الاصطلاحات في تفسيره:**

تكررت بعض المصطلحات والإطلاقات والإضافات في تفسير ابن عاشور وكانت لها قيمة وفوائد لم يُسبق إليها رحمه الله، حيث يفسر اللفظة وإلى جانب ذلك يقول: وهذا اصطلاح شائع، وهذا من مبتكرات القرآن، ومن بديع تفنن القرآن، ومن بديع هذا الطي، ومن بديع معنى الآية ، ومن بديع الإيجاز ...[2]

ومن الخصائص أيضًا: ربط المعنى للمفردة القرآنية بالسياق الذي وردت فيه، وفي كثير من الأحيان يرجح ما دلّ عليه السياق، ولو خالف بذلك جمهور المفسرين أو أسباب النزول.

يجعل ابن عاشور اختيار بعض الألفاظ القرآنية وتحملها كثيراً من المعاني من باب الإعجاز القرآني الراجع إلى الإيجاز والدقة في اختيار الأبفاظ.

كذلك من خصائصه: التنبيه على أنّ في هذا اللفظ الغريب اشتراك، أو ترادف، أو حقيقة ومجاز...

[1] – التحرير والتنوير ، 135/26.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، 150/26 ، 250/12 ، 13/26 ، 30/26 ، 216/25 ، 204/9.

المطلب الثالث: مصادر ابن عاشور في غريب القرآن:

تنوعت موارد الإمام في تفسيره وتوسعت في مختلف العلوم والفنون ذات الصلة بالتفسير، وفي تنوع هذه المصادر دلالة على محصول الشيخ الثقافي وتنوع روافده،كما اعتمد وأفاد من أقوال السابقين. وأكثر المصادر ذكرًا كانت التفاسير وقد تحدث عنها في مقدمته، كذلك كان اعتماده على كتب اللغة حيث أفاد منها في تفسير معنى الكلمة والبحث عن اشتقاقها، وغيرها من المصادر التي استقى منها رحمه الله وأفاد واعتمد وانتقد وأجاد.

- **أقوال السلف من أهل التأويل وتوجيهها عند الاختلاف:**

اعتمد رحمه الله على أقوال السابقين من أهل التأويل ومن كانت له دراية بالتفسير في تفسير الغريب كابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي...قال في تفسير قوله تعالى ﴿ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةٖ ﴾ [المدثر: ٥١]" وقسورة قيل هو اسم جمع قسور وهو الرامي، أو هو جمع على خلاف القياس إذ ليس قياس فعلل أن يجمع على فعللة. وهذا تأويل جمهور المفسرين عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهما فيكون التشبيه جاريا على مراعاة الحالة المشهورة في كلام العرب. وقيل: القسورة مفرد وهو الأسد، وهذا مروي عن أبي هريرة وزيد بن أسلم وقال ابن عباس: إنه الأسد بالحبشية، فيكون اختلاف قول ابن عباس اختلافا لفظيا، وعنه: أنه أنكر أن يكون قسور اسم الأسد، فلعله أراد أنه ليس في أصل العربية..."[1].

- **ومن مصادره في شرح الغريب أقوال أهل التفسير:**

أشار ابن عاشور في مقدمته إلى مصادره من كتب التفسير، وقد سبق الكلام عليها في مبحث التعريف بتفسير التحرير والتنوير، وقد رجع إلى مصادر أخرى في التفسير وأفاد منها، لكنها لا تكون بالكثرة كالتي ذكرها في مقدمته، ومن هذه المصادر:

النكت والعيون للماوردي[2].

[1]- التحرير والتنوير، 330/29.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، 74/29، 208/29.

معالم التنزيل للبغوي[1].

لباب التأويل للخازن[2].

البحر المحيط لأبي حيان[3]. وغيره...

- **علماء اللغة:**

استقى ابن عاشور من علماء اللغة وكتبهم وتفسيره مليء بأسماء أصحاب المعاجم والغريب والبلاغة، هذا يدل على تفوقه ونبوغه في مختلف المجالات، وإلى جانب ذلك يوضح كلام الأئمة ويعقب عليه، ومن هؤلاء نذكر:

من أصحاب المعاجم: الخليل وابن دريد والأزهري والجوهري وابن منظور والفيروز آبادي...[4] ومن أصحاب المعاني والغريب: الفراء وأبو عبيدة وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة والزجاج والنحاس والراغب...[5]

ومن أصحاب البلاغة: كابن سنان الخفاجي والسكاكي...[6]

والكثير من أئمة النحو كسيبويه والمبرد، ومثل الأخفش وأبي علي الفارسي وابن جني...[7]

وغيرهم الكثير من العلماء، وقد يذكر الإمام ابن عاشور اسم العالم مع كتابه وأحيانًا يقتصر على اسم العالم فقط، أو على اسم الكتاب فقط.

---

[1] – ينظر: التحرير والتنوير، 103/5، 142/12.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، 212/8، 189/30.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، 745/1، 74/29.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، 134/30، 313/15، 359/26 ، 313/15 ، 131/29، 105/5، 138/30، 96/4.

[5] – ينظر: المرجع نفسه، 576/1، 234/2، 148/7، 118/5، 125/8.

[6] – المرجع نفسه،47/23، 148/22.

[7] – المرجع نفسه، 344/1، 91/4، 189/29.

هذا الفصل يشمل الجانب التطبيقي، وذلك بدراسة أبرز الألفاظ الغريبة البعيدة عن الفهم عند ابن عاشور ودراستها وموازنتها ومقارنتها بغيرها من كتب التفسير أو كتب معاني القرآن وغيرها من كتب اللغة ، وذلك بالترتيب حسب السور من سورة الأحقاف إلى سورة الذاريات.

سورة الأحقاف:

قال تعالى: ﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[الأحقاف:4]

المفردة: أثارةٍ.

قال الإمام ابن عاشور في تفسير هذه المفردة : "وأثارة بفتح الهمزة: البقيّة من الشيء. والمعنى: أو بقية بقيت عندكم تروونها عن أهل العلم السابقين غير مسطورة في الكتب، وهذا توسيع عليهم في أنواع الحجة ليكون عجزهم عن الإتيان بشيء من ذلك أقطع لدعواهم"[1].

وهنا ذكر رحمه الله في تفسيره لهذه اللفظة أنّ الأثارة بمعنى " البقية من العلم " أو البقية من الشيء.

وهذا المعنى جاء في كتب أهل اللغة:

قال الخليل[2]:" أثر: الأثر: بقية ما ترى من كل شيء وما لا يرى بعد ما يبقي علقة، والإثر: خلاص السمن. وأثر السيف: ضربته، وذهبت في إثر فلان، أي: استقفيته، لا يشتق منه فعل هاهنا... وأثر الحديث: أن يأثره قوم عن قوم، أي: يحدث به في آثارهم، أي: بعدهم، والمصدر: الأثارة. والمأثرة: المكرمة، وإنما أخذت من هذا، لأنها يأثرها قرن عن قرن، يتحدثون بها. ومآثر كل قوم: مساعي آبائهم...والمصدر: الإثرة. تقول : له عندنا إثرة"[3].

[1] – التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26، ص11.

[2] – هو أبو عبد الرحمن بن أحمد االبصري، سيد أهل الأدب، كان من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه، وهو أول من استخرج علم العروض وضبط اللغة، توفي: 160هـ، ينظر: نزهة الألباء للأنباري ، ص 45-47.

[3]– العين ، الخليل بن أحمد، ج8، ص 236-237.

"أثر: الأثْرُ: ما بقي من رسم الشيء ، وسنن النبي ﷺ : آثاره. فأما قوله عز وجل: ﴿ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ ﴾ فيقال: إنه الخط الذي يخطه الزاجر"[1].

"والأثارة: البقية من الشيء ، والجمع أثارات، ومنه قوله تعالى:﴿ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ ﴾..."[2].

ولقد نصّ على هذا المعنى أيضًا علماء غريب القرآن:

قال الفراء[3]: " قرأها العوام: أثارة،[4] أثارة، أو أثرة، أو أثره، المعنى فيهن كلهن: بقية من علم، أو شيء مأثور من كتب الأولين فمن قرأ: أثارة فهو كالمصدر مثل قولك : السماحة، والشجاعة. ومن قرأ: أَثَرة فإنه بناه على الأثر، كما قيل: قَتَرة .ومن قرأ :أَثْرة كأن أراد مثل قوله:

﴿ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ ﴾ [الصافات:10] ، والرّجفة"[5].

وقال ابن قتيبة :" أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ": أي بقية من علم تؤثرُ عن الأولين"[6].

قال أبو عبيدة في معناها : " أو أثارة من علم: أي بقية.

وقال راعى الإبل: وذات أثارة أكلت عليه ... نباتًا في أكمته قَفَارا [7].

أي بقية من شحم أكلت عليه، ومن قال أثرة فهو مصدر أثره يأثُره يذكره"[8].

---

[1] – مجمل اللغة، ابن فارس، ت: زهير عبد المحسن سلطان، ج1، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م ص 86-87.

[2] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص 55.

[3] – هو أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، من أهل الكوفة، أخذ عن الكسائي، كان إمامًا ثقة، وكان يُقال الفراء أمير المؤمنين في النحو، توفي: 207هـ في طريق مكة، ينظر: نزهة الألباء، الأنباري، ج1 ، ص 81-84.

[4] – قال الداني:" قرأ الجماعة أو أثارة من علم بغير ألف بعد الراء على التوحيد إلا ما حدّثناه أحمد بن عمر في الإجازة قال: نا هشام بإسناده عن ابن عامر أو أثارات بالألف والتاء على الجمع.ينظر: جامع البيان في القراءات السبع، الداني، ج4، ط1 جامعة الشارقة، الإمارات، 1428هـ/2007م، ص 1586.

[5] – معاني القرآن، الفراء ، ت: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار، عبد الفتاح الشلبي ، ج3، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ص 50.

[6] – تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة ، 406

[7] – البيت في: اللسان، ونسبه ابن منظور للشماخ، 7/4، وهناك من نسبه للراعي مدح به سعد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ينظر: مجاز القرآن، 212/2.

[8] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، تعليق: د، محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجى ، مصر، 1381هـ ، ص 212.

وقال مكي[1] :" أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ " : أي بقيّة "[2].

وذكر هذا المعنى أكثر المفسرين وأضاف بعضهم أنها بمعنى البقية من علم الخط نذكر منهم:

جاء في تفسير مجاهد[3]:" في قوله:﴿ أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ قال: يقول أو أحد يأثر علما"[4].

وقال الطبري :" وقوله: ﴿ أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق أو أثارة من علم، بالألف، بمعنى: أو ائتوني ببقية من علم وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يقرأه (أو أَثَرَةٍ من علم) بمعنى: أو خاصة من علم أوتيتموه، وأوثرتم به على غيركم، والقراءة التي لا أستجيز غيرها ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ بالألف، لإجماع قراء الأمصار عليها، واختلف أهل التأويل في تأويلها، فقال بعضهم: معناه: أو ائتوني بعلم بأن آلهتكم خلقت من الأرض شيئا، وأن لها شركا في السماوات من قبل الخط الذي تخطونه في الأرض، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قَوْل من قال: الْأَثَارَةُ: الْبَقِيَّةُ من علم،لأنّ ذلك هو الْمعْروف من كلامِ العرب، وهي مصدَر من قول القائل: أَثَرَ الشّيءَ أَثَارَةً مثل سَمُجَ سَمَاجَةً، وَقَبُحَ قَبَاحَةً، كما قَال راعِي الْإبل: وَذَاتِ أَثَارَةٍ أَكلَتْ عَلَيْهَا...

يَعْنِي: وذات بقية من شحم، فأما من قرأه (أَوْ أَثَرَةٍ) فإنهُ جعله أَثَرَةً مِنَ الْأَثَرِ، كما قيل: قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه:أو أثْرة بسكون الثاء، مثل الرجفة والخطفة، وإذا وجه ذلك إلى ما قلنا فيه من أنه بقية من علم، جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط، ومن علمٍ استثير من كتب الأولين، ومن خاصة علم كانوا أوثروا به ... فتأويل الكلام إذن: ائتوني أيها القوم بكتاب

[1] – مكي بن أبي طالب بن حمّوش القيسي، يُكنى أبا محمد، أصله من القيروان وسكن قرطبة، من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية وكثير التأليف فيهما، توفي: 437هـ، ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ج3، ط1، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1406هـ/1982م، ص 313-315.

[2] – تفسير المشكل من غريب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، ص 315.

[3]– مجاهد بن جبر، ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي، روى عن ابن عباس وعرض عليه القرآن، وله كتاب في التفسير، توفي بمكة سنة 103هـ، ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ت: إحسان عباس، ج5 ،ط1، دار صادر، بيروت 1968م، ص 466-467.

[4] – تفسير مجاهد، ت: محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، 1410هـ/1989م، ص 602.

من قبل هذا الكتاب، بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدعون لآلهتكم أو ببقية من علم يُوصَل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك.."[1].

بالنظر إلى ما ذكره ابن عاشور في معنى هذه اللفظة والمعاني التي ذكرها علماء اللغة وأصحاب الغريب والمفسرين نجد كل الأقوال متقاربة وهي راجعة إلى قولين: أنّ الأثارة من علم بمعنى البقيّة؛ من العلم، أو البقيّة من علم الخط.

قال تعالى:﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ ﴾[الأحقاف: 8]

المفردة: تفيضون.

قال ابن عاشور: "والإفاضة في الحديث: الخوض فيه والإكثار منه وهي منقولة من: فاض الماء ؛ إذا سال. ومنه حديث مستفيض مشتهر شائع، والمعنى: هو أعلم بحال ما تفيضون فيه"[2].

ذكر ابن عاشور في شرح المفردة أنها في سياق الإفاضة في الحديث أي: التقوّل والإكثار من الشيء والخوض فيه ، وهذا المعنى ذكره أيضًا أصحاب اللغة والغريب والمفسرين.

المعنى اللغوي للفظة:

قال الخليل:" فيض: فاض الماء والدمع والمطر والخير، يفيض فيضا أي: كثر. وفاضت عينه، تفيض فيضا أي: سالت... والحوض فائض أي ممتلئ فيضا وفيضوضة، وأفضته أنا. وأفاض إناءه حتى كاد ينصب. ويقال: ماؤها فيض وغيض. الفيض: الكثير... وأفاضوا في الحديث أي أخذوا فيه. وحديث مستفاض: مأخوذ فيه، قد استفاضوه أي أخذوا فيه"[3].

" فيض: فاض الخبر يفيض واستفاض، أي شاع، وهو حديث مستفيض، أي منتشر في الناس ..ويقال: استفاض الوادي شجرا، أي اتسع وكثر شجره. والمستفيض: الذي يسأل إفاضة الماء وغيره...وفاض الماء يفيض فيضا ، أي كثر حتى سال على ضفة الوادي... وكذلك فاضت نفسه أي خرجت روحه...ويقال: أفاض إناءه، أي ملأه حتى فاض...وأفاض الماء على نفسه،أي

[1] – جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ،ت: عبد الله التركي، ج21، ط1، دار هجر، 1422 هـ/ 2001م ص 112-116.

[2] – التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26، ص 15.

[3] – العين، الخليل بن أحمد، ج7، ص 65.

أفرغه...وأفاضوا في الحديث، أي اندفعوا فيه"[1].

أقوال علماء غريب القرآن في معنى تفيضون:

قال السجستاني في معنى تفيضون: " تفيضون فيه: أي تدفعون فيه بكثرة"[2].

وقال ابن الجوزي: " تفيضون فيه: أي تقولون في القرآن"[3].

وقال الصنعاني[4]: " تفيضون فيه: تدفعون فيه بكثرة"[5].

وجاء في الميسّر في غريب القرآن الكريم استكمالاً لهذا المعنى :" تفيضون فيه: وتكثرون القول فيه وتخوضون وتتوسعون"[6].

بعض أقوال المفسرين في تفسير هذه المفردة:

"﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ ﴾: هو أعلم، أي الله أعلم بما تفيضون فيه، تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر"[7].

"﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ ﴾ : أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى، والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى"[8].

[1] – الصحاح، الجوهري ، ج3، ص 1099.

[2] – غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ، السجستاني، عنى بتصحيحه لجنة من أفاضل العلماء ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، 1382هـ/1963م، ص 62.

[3] – تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي، ت : طارق فتحي السيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1425 هـ/ 2004 م، ص 352.

[4] – محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم، مجتهد من بيت الإمامة في اليمن، نشأ وتوفي بصنعاء سنة 1182هـ/1768م، ينظر: الأعلام للزركلي ، ج6 ، ص 38.

[5] – تفسير غريب القرآن ، الصنعاني، ص 130.

[6] – الميسّر في غريب القرآن الكريم، ص 503.

[7] – معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي ، ت : عبد الرزاق المهدي، ج4، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1420هـ ، ، ص 191.

[8] – الكشاف، الزمخشري، ج4، ط3، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1407هـ ، ص 297.

وقال البيضاوي[1]:" ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ ﴾: تندفعون فيه من القدح في آياته"[2].

نلاحظ هنا أن المفسرين لم يقتصروا على المعنى اللغوي فقط وإنما ذكروا وجوه الإفاضة في القرآن الكريم.

والمعنى الذي ذكره ابن عاشور يتوافق مع المعنى الذي نصّ عليه علماء اللغة والغريب والمفسرون، أي أنّ تفيضون بمعنى ما تقولون في القرآن و تكثرون في الحديث تخوضون وتدفعون فيه بالتكذيب والقدح.

قال تعالى:﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: 9]

المفردة: بدعًا.

قال ابن عاشور: "والبِدْع بكسر الباء وسكون الدال، معناه البديع مثل: الخِفّ يعني الخفيف قال امرؤ القيس: يُزل الغلام الخف عن صهواته[3].

ومنه: الخِلّ بمعنى الخليل. فالبِدْع: صفة مشبهة بمعنى البادع، ومن أسمائه تعالى: البديع، خالق الأشياء ومخترعها. فالمعنى: ما كنت محدثا شيئا لم يكن بين الرسل"[4].

ذهب رحمه الله في تفسير لفظة " البدع" بما وُضعت له في لغة العرب، حيث لم يخرج الإمام في شرحها عن كلام اللغويين وهي: أنّ بدع الشيء اخترعه وبدأه ، أي أول من أصابه، وأورد الشاهد الشعري للاستدلال عليها ولتوضيح معنى اللفظة اللغوي.

نصّ على هذا المعنى جمع من علماء اللغة، وأبرز ما جاء في كتبهم:

قال الخليل:" بدع: البَدْعُ: إحداث شيء لم يكن له من قبل خلقٌ ولا ذكرٌ ولا معرفة، والله ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [البقرة: ١١٧] ابتدعهما، ولم يكونا قبل ذلك شيئا يتوهمهما متوهم، وبدع الخلق. والبدع: الشيء الذي يكون أولاً في كل أمر، كما قال الله عز وجل:﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾،

[1] – هو عبد الله بن عمر قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي، كان إمامًا علامة عارفًا بالفقه والتفسير والعربية والمنطق، مات سنة:685 ه بتبريز، ينظر، طبقات المفسرين، الداوودي، ج1، ص 248-249.

[2] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ت: محمد المرعشلي، ج5، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418ه ص 112.

[3] – ديوان امرؤ القيس ، ص57. البيت: قال: يُزِلّ الغُلامَ الْخِفَّ على صَهَواتِهِ ... ويُلْوي بأثْواب العَنيفُ الْمُثَقَّلِ.

[4] – التحرير والتنوير، ابن عاشور، 26/16-17.

أي: لست بأول مرسل. والبدعة: اسم ما ابتدع من الدين وغيره. ونقول: لقد جئت بأمر بديع، أي: مبتدع عجيب. وابتدعت: جئت بأمر مختلف لم يعرف"[1].

" بدعت الشيء إذا أنشأته، والله عز وجل بديع السموات والأرض أي منشئها. وبدعت الركي[2] إذا استنبطتها، وركي بديع: حديثة الحفر ، وتقول العرب: لست ببدع في كذا وكذا أي لست بأول من أصابه هذا وهو من قوله عز وجل: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ والله أعلم بكتابه.وكل من أحدث شيئا فقد ابتدعه والاسم البدعة والجمع البدع. ويقال: أبدع بالرجل إذا كلت راحلته وانقطع به"[3].

وهذا الذي ذهب إليه علماء غريب القرآن في معنى بدعًا:

قال ابن قتيبة:" ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ :أي بَدْءًا منهم ولا أوَّلا "[4].

وقال الأخفش[5] :" ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ والبِدْع: البديع وهو: الأَوَّلُ "[6].

وقال الزّجاج[7] : " ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ أي : ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثيرون"[8].

---

[1] – العين ، الخليل بن أحمد، ج2، ص 54.

[2] – الركية: البئر تحفر، جمعها ركي وركايا، ينظر: الصحاح، الجوهري، ج 6، ص2361.

[3] – جمهرة اللغة، بن دريد الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي، ج1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م،ص 298. وينظر: مقاييس اللغة، 209/1، لسان العرب، 8/ 6 ،

[4] - تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة ، 406.

[5] – هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط سكن البصرة، قرأ النحو على سيبويه كان معتزلي، وكان أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل، مات سنة: 210وقيل 215هـ ، ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، المكتبة العصرية، لبنان، ص 590-591.

[6] – معاني القرآن، الأخفش، ت: الدكتورة هدى قراعة، ج2، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411 هـ /1990مص 519.

[7] – هو إبراهيم بن السّري بن سهل أبو إسحاق الزجّاج، صاحب كتاب معاني القرآن، كان من أهل الفضل والدين، وله مؤلفات مؤلفات حسان في الأدب، توفي: 311هـ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ج1 ، ص194-198.

[8] – معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج، ت: عبد الجليل شلبي، ج4، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ/1988م ص 439.

من أقوال المفسرين ما جاء موافقًا لهذا المعنى:

"﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ : لست بأول مرسل من الآدميين قد كان قبلي رسل "[1].

"﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ : قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ بديعا مثل نصف ونصيف، من الرسل، لست بأوّل مرسل، فلم تنكرون نبوّتي؟ هل أنا إلّا كالأنبياء قبلي؟ وجمع البدع: أبداع"[2].

"وقولُه ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾: أي: لست بأول رسول طرق العالم، بل قد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتى تستنكروني وتستبعدوا بعثتي إليكم، فإنه قد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم "[3].

مما سبق يتبين أن بدع الشيء بمعنى اخترعه وبدأه وهي هنا في سياق معنى ما كنت أول الرسل وهذا المعنى محل إجماع من علماء اللغة والغريب والمفسرين وهو يتوافق مع ما قاله ابن عاشور.

قال تعالى:﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا ﴾[الأحقاف: 12]

المفردة: إمامًا.

قال ابن عاشور: "والإمام: حقيقته الشيء الذي يجعله العامل مقياسا لعمل شيء آخر ويطلق إطلاقا شائعا على القدوة:قال تعالى:﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: 74]. وأصل هذا الإطلاق استعارة صارت بمنزلة الحقيقة، واستعير الإمام لكتاب موسى لأنه يرشد إلى ما يجب عمله فهو كمن يرشد ويعظ، وموسى إمام أيضا بمعنى القدوة"[4].

ذكر هنا الإمام ابن عاشور بعض الإطلاقات التي تطلق على لفظ الإمام؛ وقد بدأ في تفسير هذه اللفظة بذكر معناها في اللغة، وبيّن أنه يطابق إطلاقا آخر شائع على سبيل الاستعارة، ثم بيّن معناها في السياق.

وقد ذكر هذه المعاني أصحاب اللغة والغريب، حيث ذكر بعضهم هذه المعاني وزاد بعضهم على هذه المعاني معاني أخرى.

---

[1] – تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمع الفيروز آبادي ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ص 423.

[2] – الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي ، ت: أبي محمد بن عاشور، ج9، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ، 1422هـ/2002م ، ص 7.

[3] – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ت: سامي سلامة، ج7، ط2، دار طيبة للنشر، 1420هـ/1999م، ص 276.

[4] - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 24/26.

مما جاء في كتب اللغة في شرح هذه اللفظة ما شمل هذه المعاني وزاد عليها:

قال الخليل:" .. والإئتمام: مصدر الإمة.. ائتم بالإمام إمة، وفلان أحق بإمة هذا المسجد، أي: بإمامته، وإماميته.. وكل من اقتدي به، وقدم في الأمور فهو إمام، والنبي عليه السلام إمام الأمة والخليفة: إمام الرعية.. والقرآن: إمام المسلمين ... والمصحف الذي يوضع في المساجد يسمى الإمام... والجميع: الأئمة على زنة الأعمة. إلا أن من العرب من يطرح الهمزة ويكسر الياء على طلب الهمزة، ومنهم من يخفف يومئذ فأما في الأئمة فالتخفيف قبيح. والإمام: الطريق، قال تعالى﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر: 79] وفلان يؤم القوم، أي: يقدمهم..."[1].

وقال أبو هلال العسكري [2]:"الإمَام أصله القصد، وسمي الإمام إماما؛ لأنك تقصد قصده في أفعاله وقيل للخليفة: إمام؛ لأنك تقصد قصد أوامره، أو لأنه يتقدم، فتتبع أثره...والإمام في القرآن على أربعة أوجه:

أولها: بمعنى القائد، قال الله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[البقرة: 124] أي: قائدا في الخير مقتدى بك. ونحوه قوله تعالى:﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا ﴾ يعني: التوراة يقتدى بها.

الثاني: الكتاب، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[الإسراء: 71] أي: بكتابهم الذي فيه أعمالهم. وقيل: بداعيهم الذي دعاهم إلى الهدى أو الضلالة. وقيل بدينهم.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: 12] يعني: اللوح المحفوظ، والشاهد قوله: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾[يس: ١٢] أي: نكتب ما سلف من أعمالهم، وما أثروه في الدنيا من سنن الخير أو الشر.

الرابع: الطريق، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بطريق واضح تمرون عليها في أسفاركم يعني: القريتين المهلكتين؛ قرية قوم : لوط وأصحاب الأيكة "[3].

ما جاء في كتب غريب القرآن ممن تعرّض لهذه اللفظة:

قال ابن قتيبة في شرح هذه اللفظة :" الإمام: أصله ما ائتممت به، قال الله تعالى لإبراهيم:

---

[1] – العين، الخليل، ج8، ص 428-430.

[2] – الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري، كان موصوفًا بالعلم والفقه والغالب عليه الأدب والشعر، له تصانيف مختلفة، توفي:395 هـ، ينظر: بغية الوعاة للسيوطي، ج1 ، ص 506.

[3] – الوجوه والنظائر، أبي هلال العسكري، ت: محمد عثمان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ/2007م ص 27-29، وينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ، ص 126.

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾. أي: يؤتمّ بك، ويقتدى بسنّتك. ثم يجعل الكتاب إماما يؤتم بما أحصاه. قال الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾ أي: بكتابهم الذي جمعت فيه أعمالهم في الدنيا. وقد يجعل الطريق إماما، لأنّ المسافر يأتم به ويستدل. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بطريق واضح"[1].

وقال السجستاني:" وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ أي يأتم بك النَّاس، وبهذا سمي الإمام إماما؛ لأن الناس يؤمون أفعاله؛ أي يقصدونها ويتبعونها. ويقال للطريق إمام؛ لأنه يُؤم، أي يُقصد، ويُتبع، ومنه قوله:﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾؛ أي لبطريق واضح. يعني القريتين المهلكتين قريتي قوم لوط، وأصحاب الأيكة، لبطريق واضح يمرون عليهما في أسفارهم ويرونهما. ويعتبر بهما من خاف وعيد الله جل وتعالى... والإمام كل ما ائتممت به، واهتديت به"[2].

وقد ذكر جمع من المفسرين هذه المعاني:

قال البغوي[3]:" ومن قبله، أي من قبل القرآن، كتاب موسى، يعني التوراة، إماما، يقتدى به ورحمة، من الله لمن آمن به"[4].

قال الزمخشري[5]: " ومعنى إماماً: قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه، كما يؤتم بالإمام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى، أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب"[6].

---

[1] – تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، ط2، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1393هـ/1973م ص 459.

[2] – غريب القرآن ، السجستاني، ص 32 ، وينظر: تفسير غريب القرآن ، الصنعاني، ص 91.

[3] – هو الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، يُعرف بابن الفراء، ويُلقب محي السنة، وكان إمامًا في التفسير، مات سنة: 516 هـ، ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي، ص 49-50.

[4] – تفسير البغوي ، ج4، ص 194.

[5] – محمود بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري، النحوي اللغوي المعتزلي، كان علاّمة الأدب له تصانيف بديعة في التفسير والبلاغة، توفي سنة: 538 هـ ، ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي، ص120-121، وإنباه الرواة للقفطي3/ 265-266.

[6] – الكشاف، الزمخشري، ج 4، ص 301.

قال ابن عطية[1] :" والإمام: خيط البناء، وكل ما يهتدى ويقتدى به فهو إمام، ونصب إمامًا على الحال، ورحمة عطف على إمام، والإشارة بقوله: وهذا كتاب إلى القرآن. و: مصدق معناه للتوراة التي تضمنت خبره وأمر محمد، فجاء هو مصدقا لذلك الإخبار"[2].

مما سبق يتبين أن المعاني التي ذكرها ابن عاشور في معنى لفظة الإمام صحيحة من حيث إطلاقها في اللغة، فلفظ الإمام مشترك يُطلق على المقتدى به وعلى المرشد والمتَبع والكتاب واللوح المحفوظ وعلى الطريق الواضح، وهنا الإمام جاء في سياق كل ما يهتدى ويقتدى به كما نصّ عليه ابن عاشور والمفسرون.

قال تعالى:﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾[الأحقاف: 15]

المفردة: كرهًا.

قال ابن عاشور: " والكره: بفتح الكاف وبضمها مصدر أكره، إذا امتعض من شيء، أي كان حمله مكروها لها، أي حالة حمله وولادته لذلك، وقرأ الجمهور كَرها في الموضعين بفتح
الكاف، وقرأه عاصم وحمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب بضم الكاف في الموضعين[3]. وانتصب كرها على الحال، أي كارهة أو ذات كَره.

والمعنى: أنها حملته في بطنها متعبة من حمله تعبا يجعلها كارهة لأحوال ذلك الحمل. ووضعته بأوجاع وآلام جعلتها كارهة لوضعه، وفي ذلك الحمل والوضع فائدة له هي فائدة وجوده الذي هو كمال حال الممكن وما ترتب على وجوده من الإيمان والعمل الصالح الذي به حصول النعم الخالدة"[4].

ضبط ابن عاشور وزن هذه الكلمة وذكر معناها في أصل اللغة، والقراءات ، ووافق فيها علماء اللغة وأصحاب الغريب ، أي أنّ الكره بالضم والفتح لغتان بمعنى التعب والمشقة والشيء المكرَه عليه الإنسان .

---

[1] – عبد الحق بن غالب بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين ، حدّث عن أبيه الحافظ أبي بكر، وكان فقيهًا عارفًا بالأحكام والحديث والتفسير، توفي سنة: 541 هـ ، ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي، ص 60-61.

[2] – المحرر الوجيز ، ابن عطية ، ت: عبد السلام عبد الشافي ، ج5، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1422هـ. ص 95.

[3] – ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 248. (الموضعين: النساء: 19 ، الأحقاف: 15).

[4] – التحرير والتنوير، ابن عاشور، 29/26.

ما قاله أهل اللغة في معنى كرهًا:

جاء في الصحاح:"كره: كرهت الشيء أكرهه كراهة وكراهية، وهو شيء كريه ومكروه. والكريهة: الشدة في الحرب. وذو الكريهة: السيف الماضي في الضريبة.. الكره بالضم: المشقة. يقال: قمت على كره، أي على مشقة. قال: ويقال أقامني فلان على كره بالفتح، إذا أكرهك عليه...وأكْرهتُه على كذا: حملته عليه كرها. وكرهت إليه الشيء تكريها: نقيض حببته إليه. واستكرهت الشيء..."[1].

وقال ابن فارس[2]:"كره: الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد، يدل على خلاف الرضا والمحبة.والكره الاسم. ويقال: بل الكره: المشقة، والكره: أن تكلف الشيء فتعمله كارها. ويقال من الكره الكراهية والكراهية...ويقولون: إن الكره: الجمل الشديد الرأس،كأنه يكره الانقياد"[3].

وهذا الذي ذهب إليه علماء الغريب أيضًا في معنى كرها:

قال ابن قتيبة:" ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ﴾أي مشقة. ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي مشقة"[4].

وقال الزّجاج: " حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَ — كَرْهاً –، وقد قرئ بهما جميعاً. المعنى حملته أمه على مشَقَّة ووضعته على مشَقَّة"[5].

قال السجستاني:"كره وكره: لغتان. يقال: كره بالضم، أي مشقة، وكره: إكراه، يعني أن الكره ما حمل الإنسان نفسه عليه والكره ما أكره عليه"[6].

---

[1] – الصحاح، الجوهري ، ج 6 ، ص 2247.

[2] –هو أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، من أعيان أهل العلم وأفراد الدهر، له كتب بديعة من أحسنها في اللغة ومجملها توفي بالري سنة: 395هـ ، ينظر: إنباه الرواة للقفطي، ج1 ، ص 127.

[3] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5 ، ص 172–173، وينظر: العين، 376/3، تهذيب اللغة للأزهري،10/6 –11، مجمل اللغة، 782/1 ، القاموس المحيط، ص 1252.

[4] – تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة ، 407.

[5] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، ص 442.

[6] – غريب القرآن، السجستاني ، ص 168، وينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم، ص 106.

وهذا المعنى نصّ عليه جمع من المفسرين أيضًا:

"﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾: يعني حملته في مشقة ووضعته في مشقة"[1].

و قال الطبري:" ..والكره" بالضم: هو ما حمل الرجل نفسه عليه من غير إكراه أحد إياه عليه،"والكره" بفتح"الكاف"، هو ما حمله غيره، فأدخله عليه كرها. وممن حكي عنه هذا القول معاذ بن مسلم قال: الكره المشقة، والكره الإجبار. وقد كان بعض أهل العربية يقول:" الكره والكره" لغتان بمعنى واحد، مثل:"الغسل والغسل" و"الضعف والضعف"، و"الرهب والرهب". وقال بعضهم:"الكره" بضم"الكاف" اسم "الكره" بفتحها مصدر"[2].

"﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾: أي ذاتَ كُرهٍ أو حملاً ذَا كره وهو المشقة وقرئ بالفتحِ وهما لغتان كالفَقْر والفُقْر وقيل المضموم اسمٌ والمفتوح مصدر"[3].

والذي ذهب إليه ابن عاشور في شرح هذه اللفظة بمعنى التعب والمشقة يتوافق مع أقوال اللغويين وأقوال علماء غريب القرآن وأقوال المفسرين، ومن العلماء من فرق بين الكره بالضم والفتح ومنهم من لم يفرق بينهما، وأضاف هنا رحمه الله لفتة في أنّ الحمل والوضع فائدة للإنسان هي فائدة وجوده.

قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾[الأحقاف: 15]

المفردة: أوزعني.

في تفسير هذه المفردة يقول الإمام ابن عاشور:" وأوزعني: ألهمني وأغرني، وأصل فعل أوزع الدلالة على إزالة الوَزْع، أي الانكفاف عن عمل ما، فالهمزة فيه للإزالة، أي أزال الوزع ، أي الكف"[4].

ولم يخرج رحمه الله في شرح هذه اللفظة على كلام من قبله على أنّ أوزعني بمعنى ألهمني وقد ذكر أنها تأتي بمعنى التحريض والإغراء ، وقد ذكر هذا المعنى جلّ العلماء واللغويين والمفسرين.

[1]- تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله محمود شحاتة، ج4، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1423هـ ص 20.

[2]- جامع البيان، الطبري، 646/3، 137/21 ، وينظر الكشاف: 302/4.

[3] - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، ج8، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 82.

[4] - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 26/ 33. النمل 243/19 -244.

وقد ذكر غير واحد من أهل اللغة هذا المعنى في شرح لفظة أوزعني:

" يقال: وزعته أزعه وزعا. وفي الحديث:"لا بد للناس من وزعة" [1]: أي من سلطان يزع بعضهم من بعض. والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم بغير أمره. وقال الله جل وعز: ﴿ يُوزَعُونَ فَهُمْ بِآيَاتِنَا ﴾ [النمل: 83] أي يكفون..وأما قوله:﴿ أَوْزِعْنِي رَبِّ قَالَ ﴾: فمعنى:رب ألهمني. وتأويله في اللغة: كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك، وكفني عما يباعدني عنك"[2].

وجاء في لسان العرب:" وزع: الوَزْعُ: كَفُّ النفس عن هواها. وزَعَه وبِهِ يَزَعُ ويَزِعُ وزْعاً: كفَّه فاتَّزَعَ هو أي كفَّ... وقد أُوزِعَ بالشَّيء يُوزَعُ إذا اعتادَه وأَكثر منْه وأُلْهم. والوَزُوعُ: الوَلُوعُ. وقد أوزع به وزوعًا: كأولع به ولوعًا. وفي التنزيل:﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ أَوْزِعْنِي رَبِّ قَالَ ﴾ ومعنى أوزعني ألهمني وأولعني به"[3].

وقد ذكر هذه المعاني أصحاب الغريب أيضًا:

قال أبو عبيدة:" أوزعني: ألهمني، أصلها من وزعت أنا دفعته وأوزعني أي ألهمني.."[4].

وقال ابن قتيبة:"﴿ أَوْزِعْنِي رَبِّ قَالَ ﴾ أي ألهمْني. والأصل في "الإيزاع": الإغراء بالشيء؛ يقال: أوزعته بكذا أي أغريته به ، وفلان مُوزَعٌ بكذا ومُولَعٌ"[5].

وقال الراغب:" يقال: وَزَعْتُهُ عن كذا: كففته عنه.. يقال: أَوْزَعَ اللهُ فلاناً: إذا ألهمه الشّكر وقيل: هو من أُوْزِعَ بالشيء: إذا أُولِعَ به، كأن الله تعالى يُوزِعُهُ بشكره، وقوله: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ أَوْزِعْنِي رَبِّ ﴾ [النمل: 19] قيل: معناه: ألهمني ، وتحقيقه: أولعني ذلك، واجعلني بحيث أَزِعُ نفسي عن الكفران"[6].

الكفران"[6].

[1] – ينظر: النهاية في غريب الحديث، ج5، ص 180، وينظر: معاني القرآن للزجاج، 383/4، وتفسير الثعلبي، 195/7.

[2] – تهذيب اللغة للأزهري ، ج3، ص 64 ، وينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، 106/6.

[3] – لسان العرب، ابن منظور، ج8، ص 390-391.

[4] – مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، ج2، ص 213.

[5] – غريب القرآن ، ابن قتيبة، ص 323- النمل – 407 .

[6] – المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ، ص 868.

وهذا المعنى قال به أهل التفسير:

قال ابن عطية:" وقوله: أوزعني معناه: ادفعني عن الموانع وازجرني عن القواطع لأجل أن أشكر نعمتك، ويحتمل أن يكون أوزعني بمعنى اجعل حظي ونصيبي، وهذا من التوزيع والقوم الأوزاع ومن قوله توزعوا المال.."[1].

وقال أبو حيان: "﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾: أي اجعلني أزع شكر نعمتك وآلفه وأرتبطه، حتى لا ينفلت عني، حتى لا أنفك شاكرا لك"[2].

بالنظر إلى أقوال علماء أهل اللغة والغريب وأقوال المفسرين في أصل لفظة أوزعني يتبين أن أصل هذا الفعل الوزْع بمعنى الكف عما لا يُراد، وهذا يوافق ما ذهب إليه ابن عاشور، وقد وردت هذه اللفظة في مواضع في القرآن، فهناك من فسرها بمعنى ألهمني كما في هذا السياق، وهناك من فسرها بمعنى كُفّني عن ما يباعده عن شكران النعمة، وقيل في شرحها أولعني وقيل أمنعني عن الكفران وكل هذه التعبيرات من باب التفسير باللازم[3].

قال تعالى:﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾[الأحقاف: 21]

المفردة: الأحقاف.

قال ابن عاشور:" والأحقاف: جمع حِقْف بكسر فسكون، وهو الرمل العظيم المستطيل وكانت هذه البلاد المسماة بالأحقاف منازل عاد وكانت مشرفة على البحر بين عمان وعدن، وفي منتهى الأحقاف أرض حضرموت"[4].

وإلى هذا المعنى ذهب علماء اللغة وغريب القرآن وجمع من المفسرين، أي أصل مادة حقف تدل على ميل الشيء وعوجه ومنه: الرمل العظيم المستطيل.

---

[1] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5 ، ص 97-98.

[2]– البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، ج8، دار الفكر ، بيروت، 1420هـ ، ص 222.

[3]– المقصود باللازم ما يلزم من اللفظ من جهة اللغة أو من جهة اللفظ في ذلك السياق، ويشير المفسر للتنبيه على أنه المراد من الخطاب وإن لم ينص عليه بعينه وهذا سلوك المفسر لخفاء اللازم على المتعلم . ينظر: التحرير في أصول التفسير، مساعد الطيار، ط1، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، 1435هـ/2014م، ص 133.

[4] – التحرير والتنوير، ابن عاشور، 26/ 45، وحضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، ص 270.

ما جاء في كتب اللغة في معنى هذه المفردة:

قال ابن فارس:" حقف: الحاء والقاف والفاء أصل واحد، وهو يدل على ميل الشيء وعوجه: يقال احقوقف الشيء، إذا مال، فهو محقوقف وحاقف.. ولهذا قيل للرمل المنحني حقف.."[1]

" الحِقْفُ: الرمل المعوج. وقيل: الرمل المستطيل المرتفع كالدكاوات[2]. وجمعه أحقاف وحقوف وحقاف وحقفة وأحقفة، الأخيرة اسم للجمع فعلا لا يجمع على أفعلة.. فأما قوله تعالى ﴿ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾ فقيل: هي من الرمل، أي أنذرهم هنالك، وقيل: الأحقاف هاهنا جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء تلتهب يوم القيامة فتحشر الناس من كل أفق، فإن كان ذلك فإنما معناه: خوفهم بالتهاب ذلك الجبل...وظبي حاقف، فيه قولان: أحدهما أن معناه صار في حقف والآخر أنه ربض فاحقوقف ظهره وكل موضع دخل فيه فهو حقف..."[3].

وهذا المعنى ذكره علماء غريب القرآن:

نصّ الفراء على هذا المعنى فقال:" وقوله: ﴿ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾ : أحقاف الرمل، واحدها: حِقفٌ، والحِقفُ: الرملة المستطيلة المرتفعة إلى فوق"[4].

وقال مكي:" ﴿ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾: واحدها حِقْف وهو من الرمل ما أشرف من كُثْبانه واستطال وانحنى"[5].

وقال أبو حيان:" حقف: – بالأحقاف– : واحدها حِقْف وهو الرمل المعوج المشرف"[6].

أقوال المفسرين في معنى الأحقاف:

قال الزمخشري:" الأحقاف: جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء، من احقوقف الشيء إذا اعوج، وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها

[1] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2، ص 90، وينظر: الصحاح 4/1345–1346.

[2] – الدكاوات: تلال خلقة لا يفرد له واحد..، ينظر: العين، الخليل بن أحمد، ج5، ص 274.

[3] – المحكم والمحيط الأعظم ، بن سّيده ، ت: عبد الحميد هنداوي ، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ /2000م ، ص 17–18.

[4] – معاني القرآن ، الفراء ، ج3، 54.

[5] – تفسير المشكل من غريب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، ص 315.

[6] – تحفة الأريب ، أبي حيان الأندلسي ، ص106.

الشّحر من بلاد اليمن. وقيل: بين عمان ومهرة"[1].

وقال البيضاوي:" ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾:جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج، وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشّحر من اليمن"[2].

وافق ابن عاشور في تفسير لفظة الأحقاف ما ذكره علماء اللغة وأهل الغريب والمفسرون وهو أن الأحقاف بمعنى الرمال المستطيلة المشرفة، أو ما اعوجّ منه واستطال. واختلفوا في مكان الأحقاف فقال بعضهم هي بين عمان وعدن كقول ابن عاشور، وهناك من قال هي واد بين عمان ومهرة، وقيل هي جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء...وهذا الأخير ضعيف جدًّا.

أما أكثر أهل الغريب فقد اقتصروا على المعنى اللغوي للكلمة ولم يتطرقوا لموضع الأحقاف.

والقاعدة في مثل هذا أنه لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لا طائل منها في تعيينها أو بيانها، ولا دليل عليها من القرآن أو من السنة.

كما قال الإمام الطبري:"... وجائز أن يكون ذلك جبلا بالشام وجائز أن يكون واديا بين عمان وحضرموت وجائز أن يكون الشّحْر وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوما منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة"[3].

قال تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾[الأحقاف:22]

المفردة: لتأفكنا.

قال ابن عاشور في شرح هذه المفردة :" والأَفك بفتح الهمزة: الصرف، وأرادوا به معنى الترك أي لنترك عبادة آلهتنا. وهذا الإنكار تعريض بالتكذيب فلذلك فرع عليه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فصرحوا بتكذيبه بطريق المفهوم"[4]. أي مفهوم الموافقة.

ووافق رحمه الله في هذا المعنى علماء اللغة وأصحاب غريب القرآن أي أنّ الأفك بمعنى كل أمر صُرف عن وجهه ، ووردت هنا بمعنى الترك والصرف عن عبادة الآلهة.

---

[1] – الكشاف، الزمخشري ، ج 4، ص 306، ومهرة: قبيلة تنسب إليهم الإبل المهريّة وباليمن لهم مخلاف وبينه وبين عمان نحو شهر، ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج5، ص 234.

[2] – تفسير البيضاوي ، ج5 ، ص 115.

[3] – جامع البيان، الطبري، ج21، ص 153.

[4] – التحرير والتنوير، ابن عاشور، 26/ 46.

المعنى اللغوي للفظة:

جاء في الصحاح في معنى الأفك: " والأَفْكُ بالفتح: مصدر قولك أفكه يأفكه أفكا، أي قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا ﴾..."[1].

وقال ابن فارس:" أفك: الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته. يقال: أفك الشيء. وأفك الرجل: إذا كذب. والإفك الكذب. وأفكت الرجل عن الشيء إذا صرفته عنه. قال الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا ﴾.."[2].

أقوال علماء غريب القرآن:

قال أبو عبيدة:" ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا ﴾ : لتصرفنا عن آلهتنا"[3].

وقال النحاس[4] " وقوله عزّ وجلّ ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا ﴾ معنى : لتأفكنا- لتصرفنا "[5].

وقال الراغب:" الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. وقوله تعالى: ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [التوبة:30] أي: يصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ﴾ [الذاريات: 9] ..وقوله تعالى: ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا ﴾ فاستعملوا الإفك في ذلك لما اعتقدوا أنّ ذلك صرف من الحق إلى الباطل..."[6].

وبهذا المعنى قال أهل التفسير:

قال البغوي:" ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا ﴾، لتصرفنا، عن آلهتنا، أي عن عبادتها، فأتنا بما تعدنا، من العذاب، إن كنت من الصادقين، أن العذاب نازل بنا"[7].

---

[1] – الصحاح، الجوهري ، ج4، ص 1572-1573.

[2] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص 118. وينظر: مجمل اللغة، 99/1.

[3] – مجاز القرآن ، أبو عبيدة، ص 213. وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ، 445/4.

[4] – هو أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس النحوي المصري كان من أهل العلم بالفقه والقرآن له مصنفات في القرآن، منها كتاب الإعراب والمعاني، توفي سنة: 337هـ ، ينظر: إنباه الرواة للقفطي، ج1 ، ص136.

[5] – معاني القرآن ، النحاس، ت: محمد علي الصابوني، ج6، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ ، ص 452.

[6] – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني، ص 79.

[7] – تفسير البغوي ، ج4 ، ص 200.

وقال الرازي:" ثم حكى تعالى عن الكفار أنهم ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا ﴾ الإفك الصرف، يقال أفكه عن رأيه أي صرفه، وقيل بل المراد لتزيلنا بضرب من الكذب عن آلهتنا وعن عبادتها فأتنا بما تعدنا معاجلة العذاب على الشرك إن كنت من الصادقين في وعدك"[1].

بالنظر إلى أقوال العلماء المتقدمة نجد أنّ الذي ذهب إليه ابن عاشور في أصل لفظة الأفك بأنه الصرف هو قول جمهور العلماء من اللغويين وأصحاب الغريب والمفسرين.

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [الأحقاف: 24]

المفردة: عارضًا.

قال ابن عاشور:" والعارض: السحاب الذي يعترض جو السماء أي رأوه كالعارض. وليس المراد عارض المطر لأنه ليس كذلك وكيف قد أبطل قولهم:" هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ " بقوله:"بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ"، والعارض في قولهم: " هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ ": السحاب العظيم الذي يعرض في الأفق كالجبل، وممطرنا نعت لـ: عارض"[2].

وعلى هذا المعنى نصّ العلماء بأنّ المقصود بالعارض في هذا السياق هو السحاب الذي يعرض في أفق السماء.

وهذا المعنى ذكره أصحاب اللغة وأهم ما جاء في كتبهم:

" والعارض: سحاب يعترض في الأفق. وقد سمت العرب عارضا وعريضا ومعرضا ومعترضا.."[3].

وقال الجوهري[4]:" ...والعارض: السحاب يعترض في الأفق. ومنه قوله تعالى:" هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ أي ممطر لنا، لأنه معرفة لا يجوز أن يكون صفة لعارض وهو نكرة ، والعرب إنما تفعل مثل هذا في الأسماء المشتقة من الأفعال دون غيرها"[5].

---

[1]- مفاتيح الغيب ، الرازي ، ج 28، ط3، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 1420هـ ، ص 24.

[2]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 26/49-50.

[3] - جمهرة اللغة ، بن دريد ، ج2 ، ص 748.

[4] - إسماعيل بن حماد الجوهري الإمام أبو نصر الفارابي، أصله من فاراب من بلاد الترك، كان من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة وعلمًا، من أحسن تصانيفه وأجود تآليفه الصحاح، وعليه اعتماد الناس، توفي سنة:393 هـ ، ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ج2 ، ص656.

[5] - الصحاح، الجوهري ، ج3، ص1085.

وهذا المعنى قال به أهل الغريب:

قال الزجّاج:" أي فلما رأَوُا السحاب الذي نشأت منه الريح التي عُذِبُوا بِها قد عَرضت في السماء، قالوا الذي وَعَدْتَنا به سحابٌ فيه الغيث والحياة والمطر، فقال اللَّه عزَّ وجلّ:﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾وكانت الريح من شدتها ترفع الراعي مع غَنمِه، فأهلك اللَّه قوم عَادٍ بتلك الريح. وقوله: مُّمْطِرُنَا لَفظه لفظ معرفة، وهو صفة للنكرة، المعنى عَارِضٌ مُمطِرٌ إيَّانَا "[1].

ونصّ على هذا المعنى أيضًا ابن الهائم[2] فقال:"﴿ عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾: أي سحابٌ مُمطرنا"[3].

وقاله أهل التفسير أيضًا:

قال الزمخشري:" والعارض: السحاب الذي يعرض في أفق السماء. ومثله: الحبي والعنان، من حبا وعنّ: إذا عرض..."[4].

وقال البيضاوي:"﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا ﴾فلما رأوه عارضا سحابا عرض في أفق السماء. مستقبل أوديتهم متوجه أوديتهم، والإضافة فيه لفظية وكذا في قوله: قالوا هذا عارض ممطرنا أي: يأتينا بالمطر"[5].

مجمل ما ورد عن أهل العلم من اللغويين وأصحاب الغريب والمفسرين في قوله تعالى:

﴿ عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ بأنه سحاب ممطرنا، أي أنّ العارض بمعنى السحاب الذي يعرض في أفق السماء وهو يتوافق مع قول ابن عاشور.

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ [الأحقاف: 26]

المفردة: مكناهم.

قال ابن عاشور:" إعطاء المَكِنة (بفتح الميم وكسر الكاف) وهي القدرة والقوة. يقال: مكن من كذا وتمكن منه، إذا قدر عليه. ويقال: مكنه في كذا، إذا جعل له القدرة على مدخول حرف الظرفية فيفسر بما يليق بذلك الظرف قال تعالى:

---

[1] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، ص 445.

[2] – أحمد بن محمد بن عماد الدين أبو العباس شهاب الدين ابن الهائم، من كبار علماء الرياضيات، مصري المولد والنشأة انتقل إلى القدس واشتهر ومات فيه سنة: 815هـ/1412م، ينظر: الأعلام للزركلي، ج1 ، 226.

[3] – التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص 294.

[4] – الكشاف، الزمخشري ، ج4 ، ص 307.

[5] – تفسير البيضاوي ، ج5، ص 115.

﴿ مَكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ في سورة [الأنعام : 6] .

فالمعنى: جعلنا لهم القدرة في الذي لم نمكنكم فيه، أي من كل ما يمكن فيه الأقوام والأمم، ومعنى مكناكم فيه: مكناكم في مثله أو في نوعه فإن الأجناس والأنواع من الذوات حقائق معنوية لا تتغير مواهبها وإنما تختلف بوجودها في الجزئيات"[1].

وقال في تفسيرها في سورة الأنعام:"قال تعالى:﴿ مَكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ۝٦ ﴾: ومعنى: مكّناهم في الأرض ثبّتناهم وملكناهم، وأصله مشتق من المكان. فمعنى مكّنه ومكّن له، وضع له مكانًا، قال تعالى:﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[القصص:57] ومثله قولهم أرّض له، ويكنى بالتمكين عن الإقدار وإطلاق التصرف، لأن صاحب المكان يتصرف في مكانه وبيته، ثم يطلق على التثبيت والتقوية والاستقلال بالأمر. ويقال: هو مكين بمعنى مُمَكّن، فعيل بمعنى مفعول... والتمكين في الأرض تقوية التصرف في منافع الأرض والاستظهار بأسباب الدنيا، بأن يكون في منعة من العدو وفي سعة في الرزق وفي حسن حال..."[2].

فسّر رحمه الله المكِنة بمعنى القدرة والقوة، ومعنى التمكين في الأرض التثبيت بجعل مكان له وذهب إلى أنّ مكّنه ومكّن له بمعنى واحد أي وضع له مكانًا، واختلف العلماء فهناك من جعلها بمعنى واحد وهناك من فرّق بين مكّنه ومكّن له.

أقوال اللغويين في شرح هذه اللفظة:

قال الخليل:" مكن: المكن و المكن: بيض الضب ونحوه... والواحدة: مَكِنة والمكانُ في أصل تقدير الفعل: مفعل، لأنه موضع للكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفعال فقالوا: مكناً له، وقد تمكن، وليس بأعجب من تمسكن من المسكين، والدليل على أن المكان مفعل: أن العرب لا تقول: هو مني مكان كذا وكذا إلا بالنصب"[3].

وقال الجوهري:" مكن: مكنه الله من الشيء وأمْكَنَهُ منه، بمعنًى. واسْتَمْكَنَ الرجل من الشيء وتمكن منه، بمعنى... وقولهم: ما أمْكَنَهُ عند الأمير، شاذٌّ... والمكنة بكسر الكاف: واحدة المكِنِ والمكِناتِ...ويقال: الناس على مكناتهم، أي على استقامتهم"[4].

---

[1] – التحرير والتنوير، 26/ 52.

[2] – المرجع نفسه، 7/137-138.

[3] – العين ، الخليل بن أحمد ، ج5 ، ص 387.

[4] – الصحاح، الجوهري ، ج6، ص 2205-2206.

وقال الزمخشري:" مكن: مكنته من الشيء وأمكنته منه، فتمكّن منه واستمكن. ويقول المصارع لصاحبه: مكّني من ظهرك، وأما أمكنني الأمر فمعناه أمكنني من نفسه. وهو مكينٌ عند السلطان وهم مكناء عنده، وقد مكن عنده مكانة، وهو أمكن من غيره. وضبّة مكونٌ: بيوض، وقد مكنت وأمكنت... ومن المجاز:" أقرّوا الطير على مكناتها ": استعيرت من الضّباب للطير، ثم قيل: الناس على مكناتهم: على مقارّهم"[1].

وكذلك أورد أصحاب الغريب هذه المعاني:

قال أبو عبيدة في هذا :"﴿ مَكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾: أي: جعلنا لهم منازل فيها وأكالا[2]، وتثبيتا ومكناهم مكّنتك ومكنت لك واحد، يقال: أكل وأكال وآكال واحدها أكل"[3].

وقال السجستاني:" مكناهم في الأرض: ثبّتناهم، وأسكناهم فيها وملكناهم. يقال: ملكتك ومكنتك ومكنت لك بمعنى واحد"[4].

وقال الراغب:" المِكَان عند أهل اللّغة: الموضع الحاوي للشيء، وعند بعض المتكلّمين أنّه عرض وهو اجتماع جسمين حاو ومحويّ، وذلك أن يكون سطح الجسم الحاوي محيطا بالمحويّ، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين. قال: ﴿ مَكَانٗا سُوٗى ﴾ [طه: 58].. ويقال: مَكَّنْتُه ومكّنت له فتمكّن، قال: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف:10] ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ ﴾ ...وأمكنت فلانا من فلان، ويقال: مكان ومكانة وقوله ﴿ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير:20] أي: متمكّن ذي قدر ومنزلة. ومَكِنَات الطّيرِ ومَكُنَاتها: مقارّه، ﴿ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴾[الصافات:49] ...فقيل: تمكّن وتمسكن، نحو: تمنزل"[5].

أقوال المفسرين في تفسير هذه اللفظة:

قال الزمخشري:" مكن له في الأرض: جعل له مكانا فيها. ونحوه: أرّض له. ومنه قوله

[1]– أساس البلاغة، الزمخشري ، ج2، ص 223.

[2] – آكالا: يقال وأكلتك فلاناً: أمكنتك منه، ينظر: مجمل اللغة، ابن فارس، ج1، ص 100، وأساس البلاغة، 31/1.

[3] – مجاز القرآن ، أبو عبيدة، ج1، ص 186.

[4] – غريب القرآن ، السجستاني، ص 176 ، ومثله في تفسير غريب القرآن للصنعاني، ص 275.

[5] – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، ص372-373.

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف:84]، ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ ﴾ وأما مكنته في الأرض فأثبته فيها. ومنه قوله ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله ﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾..."[1].

وقال ابن عطية:" ثم خاطب تعالى قريشا على جهة الموعظة بقوله:﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ فـ: (ما) ، بمعنى الذي، وإن نافية وقعت مكان (ما) ليختلف اللفظ، ولا تتصل (ما) بـ: (ما) ، لأن الكلام كأنه قال: في الذي ما مكناكم فيه. ومعنى الآية: ولقد أعطيناهم من القوة والغنى والبسيط في الأموال والأجسام ما لم نعطكم، ونالهم بسبب كفرهم هذا العذاب، فأنتم أحرى بذلك إذا كفرتم"[2].

ولقد جعل الراغب مكّن له ومكّنه بمعنى واحد وجعل الزمخشري مكّن له بمعنى جعل له مكانًا ومكّنه بمعنى أثبته، وتعقّب ابن عاشور على هذا الرأي واختار قول الراغب فقال:" قال تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وقال:﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الحج:41]،

فمعنى مكّنه: جعله متمكّنًا ومعنى مكن له: جعله متمكنا لأجله، أي رعيا له، مثل حمده وحمد له فلم تزده اللام ومجرورها إلا إشارة إلى أن الفاعل فعل ذلك رغبة في نفع المفعول، ولكن الاستعمال أزال الفرق بينهما وصير مكّنه ومكّن له بمعنى واحد...ودليل ذلك قوله تعالى: هنا ﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ فإن المراد بالفعلين هنا شيء واحد لتعين أن يكون معنى الفعلين مستويا، ليظهر وجه فوت القرون الماضية في التمكين على تمكين المخاطبين، إذ التفاوت لا يظهر إلا في شيء واحد، ولأن كون القرون الماضية أقوى تمكنا من المخاطبين كان يقتضي أن يكون الفعل المقترن بلام الأجل في جانبهم لا في جانب المخاطبين، وقد عكس هنا. وبهذا البيان نجمع بين قول الراغب باستواء فعل مكنه ومكن له، وقول الزمخشري بأن: مكّن له بمعنى جعل له مكانا ومكّنه بمعنى أثبته.

[1] – الكشاف، الزمخشري، ج2، ص6.

[2] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص 103.

وكلام الراغب أمكنُ عربيةً. وقد أهملت التنبيه على هذين الرأيين كتب اللغة، واستعمال التمكين في معنى التثبيت والتقوية كناية أو مجاز مرسل[1] لأنه يستلزم التقوية. وقد شاع هذا الاستعمال حتى صار كالصريح أو كالحقيقة"[2].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الأحقاف: 27]

المفردة: صرّفنا.

قال ابن عاشور:" وتصريف الآيات تنويعها باعتبار ما تدل عليه من الغرض المقصود منها وهو الإقلاع عن الشرك وتكذيب الرسل، وأصل معنى التصريف التغيير والتبديل لأنه مشتق من الصرف وهو الإبعاد. وكنّي به هنا عن التبيين والتوضيح لأن تعدد أنواع الأدلة يزيد المقصود وضوحا. ومعنى تنويع الآيات أنها تارة تكون بالحجة والمجادلة النظرية، وتارة بالتهديد على الفعل، وأخرى بالوعيد، ومرة بالتذكير بالنعم وشكرها"[3].

ابن عاشور رحمه الله بيّن في شرح هذه اللفظة أن أصل معنى التصريف في اللغة التبديل والتحويل والتغيير، وذكر أنّ المقصود بها في هذا السياق هو التبيين والتوضيح، وإلى هذا المعنى ذهب أهل اللغة وأهل غريب القرآن وزاد بعضهم معاني أخرى.

أقوال بعض اللغويين في شرح هذه اللفظة:

قال الخليل:" صرف: الصرف: فضل الدرهم في القيمة، وجودة الفضة، وبيع الذهب بالفضة ومنه الصيرفي لتصريفه أحدهما بالآخر. والتصريف: اشتقاق بعض من بعض. وصيرفيات الأمور متصرفاتها أي تتقلب بالناس. وتصريف الرياح: تصرفها من وجه إلى وجه، وحال إلى حال... والصرف: أن تصرف إنسانا على وجه يريده إلى مصرف غير ذلك"[4].

---

[1] – الكناية: هي ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك، ينظر: مفتاح العلوم السكاكي، ت: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص 402. والمجاز المرسل: هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المشابهة، ينظر: علوم البلاغة "البيان،المعاني،البديع" أحمد بن مصطفى المراغي، ص 249.

[2] – التحرير والتنوير، 7 / ص138.

[3] – المرجع نفسه ، 26/54- 55.

[4] – العين ، الخليل بن أحمد ، ج7 ، ص 109-110

"الصرف رد الشيء عن وجهه صرفه يصرفه صرفا فانصرف وصارف نفسه عن الشيء صرفها عنه وقوله تعالى﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ﴾ [التوبة:127] أي رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه...صرف الله قلوبهم أي أضلهم الله مجازاة على فعلهم... وصرف الشيء أعمله في غير وجه كأنه يصرفه عن وجه إلى وجه وتصرف هو وتصاريف الأمور تخاليفها ومنه تصريف الريح والسحاب والصرف حدثان الدهر اسم له لأنه يصرف الأشياء عن وجوهها"[1].

وجاء في لسان العرب موافقًا لهذا المعنى :" صرف: الصرف: رد الشيء عن وجهه..

و﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ ﴾ أي بيناها. وتصريف الآيات تبيينها. والصرف: أن تصرف إنسانا عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك..."[2].

وذكر هذه المعاني أصحاب الغريب أيضًا:

قال الراغب:" الصرف: رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، يقال: صرفته فانصرف.. والتصريف كالصرف إلا في التكثير، وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة، ومن أمر إلى أمر. وتصريف الرياح هو صرفها من حال إلى حال. قال تعالى: ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ ﴾[3].

قال ابن الجوزي: ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ ﴾: أي بيّناها"[4].

وقال السمين الحلبي[5]:" يقال: صرفه عن كذا: إذا عدل به عنه ونحاه. وقيل: وأصل الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة وإبدال غيره به. وقيل: هو التقليب والتحويل. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ﴾ [البقرة: 164] أي تقليبها من جهة إلى أخرى تكون شمالاً فتصير جنوبًا ثم دبورًا ثم نكباء. والتصريف الاصطلاحي من ذلك لأنه يقلب اللفظ من بينةٍ إلى بينةٍ نحو: ضاربٍ ومضروبٍ..وقوله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ ﴾ [الأنعام: 105] أي نبينها تبيين من يقلب

[1] – المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ، ج8 ، ص 301-302.

[2] – لسان العرب، ابن منظور، 189/9.

[3] – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، ص 482.

[4] – تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي، ص 353.

[5] – أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي شهاب الدين المقرئ النحوي نزيل القاهرة، تعانى النحو فمهر فيه ولازم أبي حيان، وله تفسير القرآن سماه الدر المصون، مات سنة: 752 هـ ، ينظر: الدرر الكامنة، ابن حجر، ت: محمد عبد المعيد ضان، ج1، ط2، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1392هـ/1972م، ص 402-403.

الشيء. هذا إن أريد بها آيات القرآن وإن أريد بها ما أرسله من الآيات والدلالات. فالتصريف على حاله أي يشيعها ويقلبها ويرددها بين الناس، إما بالمشاهدة وإما بالسماع ليرتدعوا[1].

﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ ﴾... بينا لهم أنواع الحجج، وكررناها لهم"[2].

ووافقه في هذا جمع من المفسرين نذكر منهم:

قال الطبري:" وقوله: ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ ﴾ يقول: ووعظناهم بأنواع العظات، وذكرناهم بضروب من الذكر والحجج، وبينا لهم ذلك"[3].

وقال أبو حيان:" ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ ﴾ أي الحجج والدلائل والعظات لأهل تلك القرى، لعلهم يرجعون عن ما هم فيه من الكفر إلى الإيمان، فلم يرجعوا "[4].

وقال ابن كثير[5]:" وقوله: ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ ﴾ أي: بيناها ووضحناها"[6].

بالرجوع إلى كتب اللغة نجد أنّ أصل الصرف بمعنى ردّ الشيء عن وجهه وتقليبه كما ذكر ابن عاشور، وفعل صرف من المشترك اللفظي يأتي بمعنى وجّه وبمعنى عدل وتأتي بمعنى البلوى والتقليب، وأضاف أصحاب اللغة لهذه المعاني معاني أخرى حسب سياق الكلمة، وهنا جاءت هذه اللفظة بمعنى التبيين والتوضيح بالحجج والعظات كما ذكر أهل التفسير وهو قول ابن عاشور أيضًا.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ [الأحقاف: 33]

المفردة: يعيَ.

قال ابن عاشور:" وقوله: وَلَمْ يَعْىَ : مضارع عَيِيَ من باب رضي، ومصدره العِيّ بكسر العين وهو العجز عن العمل أو عن الكلام، ومنه العيّ في الكلام، أي عسر الإبانة. وتعديته بالباء هنا بلاغة

---

[1] – عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، ت: محمد باسل عيون السود، ج2، ط1، دار الكتب العلمية 1417هـ/1996، ص 332-333.

[2] – السراج في بيان غريب القرآن، محمد بن عبد العزيز الخضيري، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية 1429هـ/2008م، ص 287.

[3] – جامع البيان، الطبري، ج21، ص161.

[4] – البحر المحيط ، أبو حيان، ج 9 ، ص 448.

[5] – إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء، كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، توفي سنة:774 هـ ، ودُفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية، ينظر: طبقات المفسرين، الداوودي، ج1، ص111.

[6] – تفسير ابن كثير، ج8 ، ص 288.

ليفيد انتفاء عجزه عن صنعها وانتفاء عجزه في تدبير مقاديرها ومناسباتها، فكانت باء الملابسة صالحة لتعليق الخلق بالعي بمعنييه. وكثير من أيمة اللغة يرون أن العِيّ يطلق على التعب وعن عجز الرأي وعجز الحيلة.

وعن الكسائي[1] والأصمعي[2]: العِيُّ خاص بالعجز في الحيلة والرأي. وأما الإعياء فهو التعب من المشي ونحوه، وفعله أعيا، وهذا ما درج عليه الراغب وصاحب القاموس[3].

وظاهر الأساس: أن أعيا لا يكون إلا متعديا، أي همزته همزة تعدية فهذا قول ثالث[4].

وزعم أبو حيان أن مثله مقصور على السماع[5]. قلت: وهو راجع إلى تنازع العاملين.

وعلى هذا الرأي يكون قوله تعالى هنا ولم يعي دالا على سَعة علمه تعالى بدقائق ما يقتضيه نظام السماوات والأرض ليوجدهما وافيين به... أو يكون إيكال أمر قدرته على خلقهما إلى علم المخاطبين، لأنهم لم ينكروا ذلك، وإنما قصد تنبيههم إلى ما في نظام خلقهما من الدقائق والحكم ومن جملتها لزوم الجزاء على عمل الصالحات والسيئات. وعليه أيضا تكون تعدية فعل يَعْيَ بالباء متعينة"[6].

ذكر ابن عاشور في شرح هذه المفردة أقوال علماء اللغة والغريب وما ذكروا من معاني لهذه اللفظة تُحمل عليها كمعنى الإعياء والعجز والتعب.

وذكر هذا المعنى جمع من أهل اللغة:

قال الجوهري:" عيى: العِيُّ: خلاف البيان. وقد عيَّ في منطقه وعيِيَ أيضاً، فهو عيي على فعيل وعى أيضا على فعل... ويقال أيضاً: عيَّ بأمره وعيِيَ، إذا لم يهتد لوجهه. والإدغام أكثر... وعييت بأمري، إذا لم تهتد لوجهه... وأعيا الرجل في المشي فهو مُعْيٍ؛ ولا يقال عَيَّانُ. وأعياه الله كلاهما

[1]- أبو الحسين علي بن حمزة الكسائي،كان أحد أئمة القراء السبعة، تعلم النحو في الكبر وأخذ عنه الفراء، توفي سنة 189هـ ، ينظر: نزهة الألباء ، الأنباري، ص 58-63.

[2] - الأصمعي عبد الملك بن قريب ويُكنى أبا بكر وكان صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح، توفي سنة: 213هـ وقيل 217هـ في خلافة المأمون، ينظر: نزهة الألباء ، الأنباري، ص 90-100.

[3] - قال الراغب:" عيي: الإعياء: عجز يلحق البدن من المشي، والعي. عجز يلحق من تولي الأمر والكلام...ينظر: المفردات ، الراغب الأصفهاني، ص 600، وينظر: القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ص 1316.

[4] - ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ج1، ص 691.

[5] - ينظر: البحر المحيط، أبي حيان ، ج9، ص 451.

[6]- التحرير والتنوير 26/ 64-65.

بالألف. وأعيا عليه الأمر وتعيا وتعايا، بمعنى..وداء عياء، أي صعبٌ لا دواء له، كأنه أعيا الأطباء. والمعاياة: أن تأتى بشيء لا يهتدى له. وجمل عياياء، إذا لم يهتد للضراب. ورجل عياياء إذا عي بالأمر والمنطق"[1].

" عيي : ي عي، الرجل بالأمر، بالإدغام؛ وعيي، كرضي، بفكه: عجز به؛ ولا يقال: أعيا به. وعيي عن حجته وعي يعيا عيا، وأعيا عليه الأمر. و تعايا واستعيا وتعيا: إذا لم يهتد لوجه مراده أو وجه عمله، أو عجز عنه ولم يطق إحكامه؛ وهو عيان..."[2].

أقوال علماء غريب القرآن في شرح هذه اللفظة:

قال السمين الحلبي:" ع ي ي: قوله تعالى:﴿ وَلَمۡ يَعۡيَ ﴾، أصل الإعياء عجز يلحق البدن من المشي. والعي يلحق من تولي الأمر والكلام، ويقال: هو عيي بمنطقة، استعارة من ذلك. وعيي الأمر: ضاق به.

وقال الشاعر: مجزوء الكامل: عيوا بأمرهم كما ... عيت ببيضتها الحمامة[3].

..ويقال: العجز والعجيز والحريك والعياياء من الإبل: الذي لا يضرب..وقيل: رجل عياياء طباقاء، إذا عيي بالأمر والكلام، وداء عياء: لا دواء له"[4].

"﴿ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ ﴾... لم يعجز عن خلقهن، ولم يتعب به"[5].

أقوال المفسرين :

قال البيضاوي:" ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز، والمعنى أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبد الآباد. بقادر على أن يحيي الموتى أي قادر"[6].

وفي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي قال:" قوله: (ولم يتعب ولم يعجز) هذا بناء على أنّ العيّ في التعب، والعجز على حد واحد، وفيه خلاف لأهل اللغة فقال الكسائي: يقال أعييت

---

[1] – الصحاح، الجوهري، ج6، ص2442. وينظر: مجمل اللغة لابن فارس: 1/ 611. والمحكم لابن سيّده: 569/10.

[2] – تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ، ت: مجموعة من المحققين ، ج39، دار الهداية، ص 135.

[3] – ديوان عبيد بن الأبرص، ت: حسين نصار، ط1، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1377هـ/1957م، ص 126. هذه الرواية في بعض المراجع، وهناك رواية أخرى في مراجع : برمت بنو أسد كما ... برمت ببيضتها الحمامة.

[4] – عمدة الحفاظ ، السمين الحلبي، ج3 ، ص 149.

[5] – السراج في بيان غريب القرآن، محمد بن عبد العزيز الخضيري، ص 288.

[6] – تفسير البيضاوي، ج5 ، ص117.

من التعب، وعييت من انقطاع الحيلة، والعجز والتحير في الأمر، ومنهم من لم يفرق بينهما، وفي جمع المصنف رحمه الله بين التعب، والعجز إشارة إلى عدم الفرق بينهما"[1].

وقال أبي السعود[2]:" ﴿وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ﴾ : أي لم يتعبْ ولم ينصَبْ بذلك أصلاً أو لم يعجزْ عنهُ يقالُ عييتُ بالأمرِ إذا لم يُعرفْ وجَههُ"[3].

وقال الألوسي[4]:﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ﴾ أي لم يتعب بذلك أصلا أصلا من عيي كفعل بكسر العين، ويجوز فيه الإدغام بمعنى تعب كأعيا، وقال الكسائي: أعييت من التعب وعييت من انقطاع الحيلة والعجز والتحير في الأمر وأنشدوا: عيوا بأمرهم كما ...

أي لم يعجز عن خلقهن ولم يتحير فيه..."[5].

ذكر ابن عاشور في شرح هذه المفردة أن العيّ يرجع إلى أقوال ثلاثة تتحملها اللفظة: وهي العي بمعنى العجز عن العمل أو عن الكلام، وقول أئمة اللغة بأنّ العي يطلق على التعب وعن عجز الرأي وعجز الحيلة كقول الكسائي والأصمعي، وقول معنى الإعياء التعب من المشي كما ذكر رحمه الله في هذا عن الراغب الأصفهاني وصاحب القاموس الفيروز آبادي[6]، وظاهر شرح ابن عاشور لهذه الكلمة الكلمة صحيح لما ذكره من أقوال تتوافق مع أقوال اللغويين والمفسرين.

---

[1] – حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، شهاب الدين بن عمر الخفاجي، ج8 ، دار صادر، بيروت، ص 36-37.

[2] – المولى الأعظم أبو السعود العماديّ، من علماء الترك المستعربين، سلطان المفسرين، مقدمة جيش المتأخرين، مفتي الأنام صنّف إرشاد العقل السليم في التفسير وكان من أكمل التفاسير، توفي سنة: 982هـ ، ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي ت: سليمان بن صالح الخزي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 1417هـ/1997م، ص 398-399.

[3] – تفسير أبي السعود، ج8 ، ص89.

[4] – محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي شهاب الدين أبو الثناء، مفسر محدث أديب، من المجددين، من أهل بغداد، كان سلفي الاعتقاد مجتهد، توفي ببغداد: 1270هـ/1854م، ينظر: الأعلام للزركلي، ج7 ، ص 176.

[5] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، ج13، ط1، دار الكتب العلمية، العلمية، بيروت، 1415هـ ، ص 190.

[6] – محمد بن يعقوب بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي العلاّمة مجد الدين أبو الطاهر صاحب القاموس، وُلد بكارزين– قرية من من شيراز– وتفقّه ببلاده ونظر في اللغة، توفي سنة: 817هـ ، ينظر: بغية الوعاة للسيوطي، ج1، ص 273-274.

سورة محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد: 1]

المفردة: أضل.

قال ابن عاشور في شرحها:" والإضلال: الإبطال والإضاعة، وهو يرجع إلى الضلال. وأصله الخطأ للطريق المسلوك للوصول إلى مكان يُراد وهو يستلزم المعاني الأخر. وهذا اللفظ رشيق الموقع هنا لأنه الله أبطل أعمالهم التي تبدو حسنة، فلم يشبهم عليها من صلة رحم، وإطعام جائع، ونحوهما ولأن من إضلال أعمالهم أن كان غالب أعمالهم عبثا وسيئا، ولأن من إضلال أعمالهم أن الله خيّب سعيهم فلم يحصلوا منه على طائل فانهزموا يوم بدر وذهب إطعامهم الجيش باطلا، وأفسد تدبيرهم وكيدهم للرسول ﷺ فلم يشفوا غليلهم يوم أحد، ثم توالت انهزاماتهم في المواقع كلها قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَ ﴾ [الأنفال: 36]"[1].

وردت هذه المادة باشتقاقاتها في مواضع كثيرة من القرآن، فهي مشتقة من عدم الاهتداء للطريق وضياع الشيء وذهابه في غير حقه، وذكر ابن عاشور أنّ هذه اللفظة في هذا الموضع تعني الإبطال والإضاعة لأنّ الله أبطل أعمال الذين كفروا في الخير وأضلها، فهو قد شرحها بدلالة السياق التي تدل عليه هذه المفردة.

وهذا المعنى الذي ذكره رحمه الله في شرح هذه المفردة محلّ إجماع من علماء اللغة والغريب والمفسرين بمعنى أنّ أضلّ في سياق أبطل وأحبط أعمالهم.

أقوال اللغويين في شرحها:

قال أبو هلال العسكري:" ...والإضلال؛ أيضا الإحباط في قوله: ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.. والإضلال؛ الصرف عن القصد في قوله: ﴿ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه: ٧٩] وقال بعضهم: الضلال والهلاك من قولهم: ضلت الناقة إذا أهلكت بضياعها، وضل الكافر إذا هلك بكفره"[2].

[1] – التحرير والتنوير، 74/26.

[2] – الوجوه والنظائر، أبي هلال العسكري، ص 299.

وقال ابن سيّده[1]:"..وكل شيء مقيم لا تهتدي له وضل هو عني ضلالا وضلالة وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ [غافر:25] أي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى...وقوله تعالى﴿ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾...هذا كما تقول للذي عمل عملا لم يعد عليه نفعه قد ضل سعيك... ضل الشيء يضل ضلالا ضاع والضلالة من الإبل التي تبقى بمضيعة لا يعرف لها رب الذكر والأنثى في ذلك سواء ووقع في وادي تضلل ويضلل أي الباطل.."[2].

ما جاء من أقوال علماء غريب القرآن موافقًا لهذا المعنى:

قال ابن قتيبة:"﴿ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾أبطلها و أصل "الضَّلال": الغَيْبُوبة، يقال: ضل الماء في اللبن؛ إذا غاب ، وغُلب عليه؛ فلم يُتبيَّن"[3].

وقال الزجّاج:" قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ أحبطها فلا يرون في الآخرة لها جزاء، والمعنى أن حبط ما كان من صدقاتِهم وصلتهم الرحِم وأبواب البر بكفرهم.."[4].

وقال السجستاني:" أضل أعمالهم: أبطل أعمالهم"[5].

أقوال المفسرين في تفسير المفردة:

قال الطبري في تفسيرها:" ﴿ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ يقول: جعل الله أعمالهم ضلالا على غير هدى وغير رشاد؛ لأنها عملت في سبيل الشيطان وهي على غير استقامة"[6].

وقال الزمخشري:" ﴿ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ أبطلها وأحبطها. وحقيقته: جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها، كالضالة من الإبل التي هي بمضيعة لا ربّ لها يحفظها ويعتني بأمرها. أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها، كما يضل الماء في اللبن. وأعمالهم: ما عملوه في

[1] – إمام اللغة أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسيّ صاحب كتاب المحكم، وأحد من يُضرب بذكائه المثل، توفي سنة: 458هـ ينظر: سير أعلام النبلاء، ج13 ، ص 353.

[2] – المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج8 ، ص 154.

[3] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 409.

[4] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص 5.

[5] – غريب القرآن، السجستاني، ص 22، ومثله في التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم، ص 295.

[6] – جامع البيان ، الطبري، ج21 ، ص 180.

كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم: من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف وحفظ الجوار وقيل: أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله ﷺ "[1].

فهذه بعض الأقوال في شرح كلمة – أضلّ – وكلها تحمل معنى أبطل أعمالهم وأحبطها.

قال تعالى:﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: 2]

المفردة: بالهم

قال ابن عاشور:" والبال: يطلق على القلب، أي العقل وما يخطر للمرء من التفكير وهو أكثر إطلاقه ولعله حقيقة فيه، قال امرؤ القيس:

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... وكان عداء الوحش منّي على بال[2].

وقال: عليه القَتَامُ سيء الظن والبال[3].

ومنه قولهم: ما بالك؟ أي ماذا ظننت حين فعلت كذا، وقولهم: لا يبالي، كأنه مشتق منه، أي لا يخطر بباله، ومنه بيت العُقيلي في الحماسة:

ونبكي حين نقتلكم عليكم ... ونقتلكم كأنا لا نبالي[4]. أي لا نفكر.

وحكى الأزهري[5] عن جماعة من العلماء، أي معنى لا أبالي: لا أكره اهـ. وأحسبهم أرادوا تفسير حاصل المعنى ولم يضبطوا تفسير معنى الكلمة. ويطلق البال على الحال والقدر.

وفي الحديث " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر" [6].

---

[1]– الكشاف، الزمخشري ، ج4 ، ص 314- 315.

[2] – ديوان امرؤ القيس، ص 139.

[3] – المرجع نفسه، ص 138، البيت: فأصبحت معشوقًا وأصبح بعلها ... عليه القَتَامُ سيء الظن والبال

[4] – شرح ديوان الحماسة، أبو علي بن الحسن المرزوقي،ت: غريد الشيخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1424هـ/2003م، ص 147.

[5] – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، أخذ عن المنذري، وأخذ عنه أبو عبيد الهروي، صنّف كتابه المشهور في اللغة تهذيب اللغة اللغة وهو أكبر كتاب صُنّف في اللغة وأحسنه، توفي: 370هـ، ينظر: نزهة الألباء، الأنباري، ص 237-238.

[6] – السنن الكبرى للنسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1421هـ/2001م، كتاب عمل اليوم والليلة، باب: ما استحب من الكلام عند الحاجة، الحديث رقم:10255 9/184- 185.

قال الوزير البطليوسي[1] في شرح ديوان امرئ القيس: قال أبو سعيد: كنت أقول للمعري: كيف أصبحت؟ فيقول: بخير أصلح الله بالك . وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن، ومنه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبس بها أهل الشرك، وحكاها عنهم القرآن في مواضع كثيرة والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحا ولا يتدبرون إلا ناجحا"[2].

ذهب رحمه الله في شرح اللفظة إلى أنها تطلق في هذا السياق على القلب والخاطر والحال والقدر واستشهد بالشواهد الشعرية لتوضيح حقيقتها و معناها في اللغة، وقد ذكر علماء اللغة هذه المعاني وزاد بعضهم بعض الإطلاقات الأخرى التي تطلق على هذه الكلمة غير التي ذكرها ابن عاشور.

أقوال بعض اللغويين في معنى هذه المفردة:

قال ابن سيّده:".. والبال الحال والبال الخاطر والبال المر الذي يعتمد به في أرض الزرع. والبال رخاء العيش وقوله تعالى﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴾ [محمد:5] أي يصلح أمر معاشهم في الدنيا مع ما يجازيهم به في الآخرة وإنما قضينا على هذه الألف بالواو لأنها عين مع كثرة – ب ول – وقلة – ب ي ل– والبالة القارورة والجراب وقيل وعاء الطيب فارسي أصلها باله.."[3]

وقال الفيروز آبادي :".. والبال: الحال، والخاطر، والقلب، والحوت العظيم، والمر الذي يعتمل به في أرض الزرع، وبهاء: القارورة، والجراب، ووعاء الطيب.."[4].

أقوال علماء الغريب في شرح اللفظة:

قال مكي:" بالهم: أي حالهم"[5].

وقال المديني أبو موسى:".. يقال: ما باليتُ به مبالاةً وباليَةً وبالةً، وقيل: هو اسم من بَالَى يُبالِي حذفت ياؤُه بِناء على قولهم: لم أُبَلْ به، فأما قولُهم: لا أصبتُك بِبَالَّة. فهو بالتَثقيل: أي بخير.

---

[1] – عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، إمام في اللغة والآداب، وكان ثقة مأمون على ما قيد، وروى ونقل وضبط، كانت وفاته عام: 521هـ ، ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967م، ص 337.

[2] – التحرير والتنوير، 75/26.

[3] – المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيّده، ج10، ص 435، وينظر: تهذيب اللغة، 280/15، ومجمل اللغة، 141/1.

[4] – القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 969.

[5] – تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي، ص 316، ومثله في غريب القرآن لابن قتيبة، ص 409.

ويقال: ما ألقى لقولك بالاً: أي ما أُبالِي به...وأصل البالِ: الحالُ. ومنه الحديث: "كُلُّ أَمرٍ ذي بَالِ لم يُبَدأ فيه بحمد اللهِ تعالى فَهُوَ أَقْطَع". قال الله تعالى: ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ أي: حَالَهم ، وما بَالُ فلانٍ: أي حالُه.."[1].

أقوال أهل التفسير في تفسير المفردة:

قال الطبري في تفسيرها:" ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ يقول: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه"[2].

وقال الزمخشري:" ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد"[3].

وقال ابن عطية:" وأصلح بالهم.. وتحرير التفسير في اللفظة أنها بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب، فإذا صلح ذلك صلحت حاله، فكأن اللفظة مشيرة إلى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع، فقولك: خطر في بالي كذا، وقولك: أصلح الله بالك: المراد بهما واحد. والبال: مصدر كالحال والشأن... وقد جاء مجموعا لكنه شاذ، فإنهم قالوا بآلات"[4].

بعد ذكر أقوال العلماء نجد أنها تتوافق مع قول ابن عاشور في شرحها حيث ذكر أهل اللغة عدة معاني تطلق على هذه اللفظة، واقتصر أصحاب الغريب والتفسير على معنى حالهم في هذا السياق أي: بمعنى أصلح أمرهم وحالهم وشأنهم، وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة وتدخل في إصلاح ما تعلق بدنياهم.

قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾ [محمد: 4]

المفردة: أثخنتموهم.

قال الإمام ابن عاشور في تفسير المفردة:" والإثخان: الغلبة لأنها تترك المغلوب كالشيء المثخن وهو الثقيل الصُلب الذي لا يخف للحركة ويوصف به المائع الذي جمد أو قارب الجمود بحيث لا يسيل بسهولة، ووصف به الثوب والحبل إذا كثرت طاقاتهما بحيث يعسر تفككها.وغلب إطلاقه على

[1] – المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، المديني أبو موسى ، ت: عبد الكريم العزباوي ، ج1، ط1، دار المدني، جدة المملكة العربية السعودية، 1406هـ/1986م، ص 189-190.

[2] – تفسير الطبري، ج21، ص 180.

[3] – الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 315.

[4] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج 5، ص 109-110.

التوهين بالقتل، وكلا المعنيين في هذه الآية. فإذا فسر بالغلبة كان المعنى حتى إذا غلبتم منهم من وقعوا في قبضتكم أسرى فشدوا وثاقهم وعليه فجواز المنّ والفداءِ غيرُ مقيّد. وإذا فسر الإثخان بكثرة القتل فيهم كان المعنى حتى إذا لم يبق من الجيش إلا القليل فأسروا حينئذ، أي أبقوا الأسرى وكلا الاحتمالين لا يخلو من تأويل في نظم الآية إلا أن الاحتمال الأول أظهر"[1]. وتقدم بيانه في سورة الأنفال في قوله:﴿ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴿٦٧﴾ ﴾ قال:"..والإثخان الشدة والغلظة في الأذى. يقال أثخنته الجراحة وأثخنه المرض إذا ثقل عليه، وقد شاع إطلاقه على شدة الجراحة على الجريح. وقد حمله بعض المفسرين في هذه الآية على معنى الشدة والقوة. فالمعنى: حتى يتمكن في الأرض أي يتمكن سلطانه وأمره"[2].

ذكر رحمه الله في هذه المفردة معنيين تحتملهما الآية وقد شبّه المثخن المغلوب بالشيء الثقيل الصلب، وقد ذكر هذه المعاني أصحاب اللغة والغريب والتفسير.

وقد مال جمع من اللغويين في معنى الإثخان بأنه الشيء الثقيل وأقوالهم متقاربة في شرحها:

قال الخليل:" ثخن: ثخن الشيء ثخانة والرجل الحليم الرزين: ثخين. والثوب المكتنز اللحمة والسدى- من جودة نسجه-: ثخين. وقد أثخنته أي: أثقلته. وأثخن الرجل إذا اتخذ شيئا ثخينا أو ما به ثخانة وثخن"[3].

" وثخن الشيء ثخانة وثخونة إذا كثف وغلظ.وأثخن في العدو إذا أوجع فيهم.وتركت فلانا مثخنا إذا تركته وقيذا "[4].

وقال ابن فارس:" ثخن: الثاء والخاء والنون يدل على رزانة الشيء في ثقل. تقول ثخن الشيء ثخانة...وقد أثخنته أي أثقلته، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ ، وذلك أن القتيل قد أثقل حتى لا حراك به.. وقال قوم: يقال للأعزل الذي لا سلاح معه: ثخين؛ وهو قياس الباب، لأن حركته تقل، خوفا على نفسه"[5].

---

[1] – التحرير والتنوير، 79/26.

[2] – المرجع نفسه، 75/10.

[3] – العين ، للخليل بن أحمد، ج4، ص 248.

[4] – جمهرة اللغة، ابن دريد، ج1، ص 418، وينظر:تهذيب اللغة ،144/7. والوقيذ: من الوقذ: الإيلام بالضرب بالخشب. ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6، ص 132.

[5] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص 372.

أماّ أصحاب الغريب فقد مال أكثرهم إلى المعنى الثاني الذي تحتمله الآية والتي ذكرها ابن عاشور وهو معنى أكثرتم فيهم القتل:

قال الزجّاج:"﴿ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ ﴾: أكثرتم فيهم القتل[1]. ومثله قاله السجستاني:" أي: أكثرتم القتل فيهم"[2].

وجاء في كتاب الغريبين للهروي:" قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ أي حتى يكثر القتلَ والإيقاع بالعدو، وقال بعضهم حتى يُقهر ويُقتل.. يُقال: أوقع بهم فأثخن فيهم: إذا أكثر القتل ومنه قوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ ﴾.."[3].

وقال ابن الجوزي:"﴿ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ ﴾: أكثرتم فيهم القتل"[4].

وأمّا أقوال أهل التفسير في تفسيرها فمنهم من ذهب إلى أنّ معنى الإثخان الغلبة وهو اختيار ابن عاشور:

قال الطبري:" ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ ﴾ قول: حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم فصاروا في أيديكم أسرى"[5].

وقال الثعلبي[6]:" ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ ﴾ أي غلبتموهم، وقهرتموهم، وصاروا أسرى في أيديكم"[7].

وذكر جمع منهم أنها بمعنى أكثرتم قتلهم وهو المعنى الذي ذكره أصحاب الغريب:

قال ابن عطية:" و: أثخنتموهم معناه: بالقتل، والإثخان في القوم: أن يكثر فيهم القتلى والجرحى"[8].

---

[1] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص6.

[2] – غريب القرآن، السجستاني، ص 22.

[3] – الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، ت: أحمد فريد المزيدي، ج1، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، 1419هـ/1999م، ص 275.

[4] – تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي، ص 355. ومثله في تحفة الأريب لأبي حيان، ص 82.

[5] – تفسير الطبري، ج21، ص 182.

[6] – هو أحمد بن محمد الأستاذ أبو إسحاق الثعالبي ويقال الثعلبي، المقرئ المفسّر الواعظ الأديب الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الإعراب والقراءات، توفي سنة: 427هـ، ينظر: أنباه الرواة للقفطي، ج1، ص 154.

[7] – تفسير الثعلبي، الكشف والبيان، ج9، ص 29.

[8] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص 110.

وقال البيضاوي:" ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ ﴾ : أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الثخين وهو الغليظ. فشدوا الوثاق فأسروهم وأحفظوهم"[1].

وقال القرطبي[2] :" قوله تعالى:" ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ ﴾ : أي أكثرتم القتل"[3].

بعد ذكر أقوال العلماء في شرح هذه المفردة نجد أنّها ترجع لقولين ذكرهما العلماء وهو أنّ الإثخان بمعنى: الغلبة، أو معنى أكثرتم القتل، وهذا ما ذكره ابن عاشور رحمه الله واختار القول أنها بمعنى الغلبة ورأى أنه الاحتمال الأظهر. وطبّق هنا الإمام قاعدة المعاني التي تتحمله جمل القرآن تعتبر مرادة بها ، فالقولين يمكن حمل المعنى عليها لأنّ الآية تحتملهما، والاختلاف بينها من باب اختلاف التنوع.

قال تعالى:﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ [محمد:4]

المفردة: أوزارها.

قال رحمه الله:" الأوزار: الأثقال، ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمّال أو المسافر أثقاله، وهذا من مبتكرات القرآن[4]. وأخذ منه عبد ربه السُلمي

أو سُلَيم الحنفي قوله:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرّ عينا بالإياب المسافر[5].

فشبه حالة المنتهي من كلفة بحالة السائر يلقي عصاه التي استصحبها في سيره"[6].

---

[1] – تفسير البيضاوي، ج 5، ص 120.

[2] – محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله القرطبي، مصنّف التفسير المشهور، كان من العلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، روى عنه ولده شهاب الدين، كان مستقرًا بمنية بني خصيب من الصعيد وبها توفي سنة: 671هـ ، ينظر: طبقات المفسرين ، الداوودي ، ج2 ، 69-70.

[3] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ج16، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة 1384هـ/1964م، ص 226.

[4] – الابتكار عند ابن عاشور في عنوته وما اندرج تحته هو الإبداع الذي لم يكن معهودً عند العرب ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة. ينظر: مبتكرات القرآن عند الطاهر بن عاشور– دراسة بلاغية – هاني بن عبيد الله الصاعدي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع الأدب والبلاغة والنقد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1434هـ/2013م، ص 88.

[5] – نسب ابن عاشور هذا البيت للسُلمي أو سليم الحنفي، وهناك من العلماء من نسب البيت لمضرّس الأسدي، ينظر:البيان والتبيين، الجاحظ، ج3، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1423هـ ، ص 27، وينظر: لسان العرب، 65/15.

[6] – التحرير والتنوير، 82/26.

فسّر رحمه الله هذه اللفظة – الأوزار– في اللغة حيث ذكر أنّ معناها الأثقال وهي في هذا السياق بمعنى انتهاء الحرب حيث شبّه انتهاء القتال بحالة من وضع الأثقال، وقد ذكر أهل اللغة هذا المعنى، وأصحاب الغريب والتفسير.

أقوال اللغويين في معنى الأوزار:

"..والوَزَر: الملجأ. والوِزْر: الإثم، والوِزْر: الثقل. ووازر الرجل الرجل موازرة، أعانه، وكذلك آزره. وسمي الوزير وزيرا لأنه يحمل وزر صاحبه، أي ثقله... وجمع وزر أوزار. وفي التنزيل:

﴿ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ ﴾ [الأنعام: 31]، أي أثقالهم ووضعت الحرب أوزارها، إذا وضع القوم السلاح عنهم فجعل الفعل للحرب وإنما هو لأهلها..."[1].

وقال ابن فارس:" وزر: الواو والزاء والراء أصلان صحيحان: أحدهما الملجأ، والآخر الثقل في الشيء. الأول الوَزَرُ: الملجأ. قال الله تعالى:﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ [القيامة: 11] ..والوزر: حمل الرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع وحمله، ولذلك سمي الذنب وزرا. وكذا الوزر: السلاح، والجمع أوزار. قال الأعشى[2]:

وأعددت للحرب أوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا[3].

والوزير سمي به لأنه يحمل الثقل عن صاحبه... ووزرته: غلبته..."[4].

وقال ابن سيّده:" وزر: الوَزَرُ: الجبل المنيع، وكل معقل وزر.. والوزر: الذنب لثقله، وجمعهما: أوزار. وأوزار الحرب وغيرها: الأثقال والآلات...والأوزار: السلاح، قال الأعشى: وأعددت للحرب أوزارها ...، ووضعت الحرب أوزارها: أي أثقالها من سلاح وغيره، وفي التنزيل:﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ﴾ وقيل: يعني أثقال الشهداء؛ لأنه عز وجل يمحصهم من الذنوب..."[5].

---

[1] – جمهرة اللغة، ابن دريد، ج2، ص 712 ، وينظر: الصحاح، 845/2.

[2] – الأعشى ميمون بن قيس بن جندل، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، عاش عمرًا طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، لقب بالأعشى لضعف بصره، توفي: 628م، ينظر: معجم الشعراء العرب، ص 544.

[3] – ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ت: محمد حسين، مكتبة الآداب، البيت من المتقارب، ص 99.

[4]– مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6، ص 108.

[5]– المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيّده، ج 9، ص 103، وينظر: لسان العرب، 282/5-283.

أقوال علماء الغريب في معنى المفردة:

قال الفراء:" وقوله :﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ آثامها وشركها حتَّى لا يبقى إلّا مُسلِم، أَو مسالم. والهاء التي في أوزارها تكون للحرب وأتت بمعنى: أوزار أهلها، وتكون لأهل الشرك خاصةً كقولك: حَتَّى تنفي الحرب أوزار المشركين"[1].

وقال ابن قتيبة:" ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ : أي يضعَ أهل الحرب السلاح. قال الأعشى:

وأعْدَدْتُ للحرب أوْزَارَها ... رِماحًا طِوالا وَخَيْلا ذُكُورَ

ومِن نَسْجِ داودَ يُحْدَى بها ... على أثَرِ الحيِّ عِيرًا فعِيرَا .

وأصل "الوِزْر" ما حملته؛ فسمي السلاح " أوزارا " لأنه يُحمل"[2].

وقال السجستاني:"﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ أَي حتَّى يضع أهل الحرب السِّلاح. وأصل الْوزر ما حمله الإنسان، فسُمي السِّلَاح أوزارا؛ لأَنهُ يحمل وقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى. ولم يسمع لأوزار الحرب بواحد، إلا أنه على هذا التأويل وزر. وقد فسر الأعشى أوزار الحرب بقوله: وأعددت للحرب أوزارها ...أي تُحْدَى بها الإبل"[3].

أقوال المفسرين في تفسير اللفظة:

قال الثعلبي:" ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ أثقالها وأحمالها فلا تكون حرب، وقيل: حتّى تضع الحرب آثامها، وأجرامها، فيرتفع، وينقطع، لأنّ الحرب لا تخلو من الإثم في أحد الجانبين والفريقين. وقيل: معناه حتّى يضع أهل الحرب آلتها وعدّتها أو آلتهم وأسلحتهم فيمسكوا عن الحرب.

والحرب القوم المحاربون كالشرب والركب، وقيل حتّى يضع الأعداء المتحاربون أوزارها وآثامها بأن يتوبوا من كفرهم ويؤمنوا بالله ورسوله...ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل، والأسر حتّى يظهر الإسلام على الأديان كلّها، ويدخل فيه أهل كلّ ملّة طوعا أو كرها ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾[الأنفال: ٣٩] فلا نحتاج إلى قتال وجهاد، وذلك عند نزول عيسى عليه السلام "[4].

---

[1] – معاني القرآن، الفراء ، ج3، ص 57-58.

[2] – غريب القرآن، ابن قتيبة ، ص 409.

[3] – غريب القرآن، السجستاني، ص 10. ومثله في غريب القرآن للصنعاني، ص 58.

[4] – تفسير الثعلبي ، ج9، ص 30.

وقال البغوي:" قوله تعالى﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾، أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح ، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر، ما يحمله الإنسان فسمى الأسلحة أوزارا لأنها تحمل.. وقيل: الأوزار الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام"[1].

اتفق قول ابن عاشور مع أقوال علماء اللغة والغريب والمفسرين في معنى الأوزار بأنه أثقال الحرب وأحمالها وأضاف بأنها من مبتكرات القرآن لتشبيه حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمّال أثقاله، ولكن اختلفت الأقوال في الغاية التي عندها تضع الحرب أوزارها وقيل فيها عدة أقوال.

وقد فصّل ابن عاشور في هذا فقال:" والغاية المستفادة من حتى في قوله: ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ للتعليل لا للتقييد، أي لأجل أن تضع الحرب أوزارها، أي ليكف المشركون عنها فتأمنوا من الحرب عليكم وليست غاية لحكم القتال. والمعنى يستمر هذا الحكم بهذا ليهِن العدوَّ فيتركوا حربكم، فلا مفهوم لهذه الغاية، فالتعليل متصل بقوله:﴿ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد:4] وما بينهما اعتراض. والتقدير: فضرب الرقاب، أي لا تتركوا القتل لأجل أن تضع الحرب أوزارها، فيكون واردا مورد التعليم والموعظة، أي فلا تشتغلوا عند اللقاء لا بقتل الذين كفروا لتضع الحرب أوزارها فإذا غلبتموهم فاشتغلوا بالإبقاء على من تغلبونه بالأسر ليكون المنّ بعد ذلك أو الفداء[2].

قال تعالى: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾[محمد: 6]

المفردة: عرّفها

قال رحمه الله:" ومعنى عرفها لهم أنه وصفها لهم في الدنيا فهم يعرفونها بصفاتها، فالجملة حال من الجنة ، أو المعنى هداهم إلى طريقها في الآخرة فلا يترددون في أنهم داخلوها، وذلك من تعجيل الفرح بها. وقيل: عرفها جعل فيها عرْفا، أي ريحا طيبا، والتطييب من تمام حسن الضيافة"[3].

ذكر الإمام ابن عاشور في شرح الكلمة ثلاثة أقوال ولم يرجّح أي معنى، وكأنّ هذه المعاني كلها محتملة في الآية ومرادة بها، حيث مزج في معناها بين تفسير اللفظة وبين معناها في اللغة.

[1] – تفسير البغوي ، ج4، ص 210.

[2] – التحرير والتنوير، 82/26.

[3] – التحرير والتنوير ، 84/26.

وقد شرح جمع من علماء اللغة هذه اللفظة بمعنى طيّبها:

قال الخليل:"... والعَرْفُ: ريح طيب، تقول: ما أطيب عَرْفَه، قال الله عز وجل:﴿ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ أي: طيبها.."[1].

وقال الأزهري في التهذيب:"...وأما قول الله جل وعز:﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ فإن الفراء قال: يعرّفون منازلهم إذا دخلوها، حتى يكون أحدهم أعرف بمنزله في الجنة منه بمنزله إذا رجع من الجمعة إلى أهله. وقلت: وهذا قول جماعة من المفسرين، وقد قال بعض اللغويين: إن معنى:الجنة عرفها: أي طيبها، يقال: طعام معرَّف أي مطيَّب"[2].

وقال ابن سيّده:"... قد يكون من المعروف الذي هو ضد المنكر، ومن المعروف الذي هو الجود. والعَرْفُ: الرائحة الطيّبَة والمنتنة، قال:

ثناءٌ كعرْف الطِّيبِ يُهْدَي لأهلِه ... وليس لهُ إلا بني خالدٍ أهلُ[3].

وقال البريق الهذلي[4] في النتن:

فلَعمْرُ عرْفِك ذي الصُّمَاحِ كمَا ... عَصَبَ السَّفَارُ بغضْبَة اللَّهْمِ[5].

وعرَّفَه: طيّبه وزيَّنه، وفي التنزيل﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾. وعرَّف طعامه: أكثر أدْمَه..."[6].

أما علماء الغريب فقد حكى أكثر من تعرّض لهذه اللفظة قولان: أنها بمعنى عرفهم منازلهم فيها وبيّنها، وعرّفها لهم بمعنى طيّبها لهم من العرْف وهو الطِّيبِ.

قال أبو عبيدة:" ﴿ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ بيّنها لهم وعرفهم منازلهم"[7].

---

[1] – العين، الخليل بن أحمد، ج2، ص 122.

[2] – تهذيب اللغة، الأزهري، ج2، ص 208، وينظر: معاني القرآن، الفراء، ج3، ص 58.

[3] – ديوان صريع الغواني – مسلم بن الوليد – البيت من الطويل، ص 101.

[4]– عياض بن خويلد الهذلي، يُلقب بالبُريق، شاعر حجازي مخضرم، له مع عمر بن الخطاب ﷺ حديث، وله شعر. ينظر: معجم الشعراء ، المرزباني، ت: ف.كرنكو، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982، ص 268.

[5]– ينظر: شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن السكري، ت: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، البيت من الكامل، ص 324.

[6] – المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج2، ص 111.

[7] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 214.

وقال ابن قتيبة:"﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ يقال في التفسير : "بيَّنها لهم، وعرَّفهم منازلهم منها". وقال أصحاب اللغة ﴿ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾: طيَّبَها. يقال: طعام معرَّف؛ أي مطيَّب. قال الشاعر:

فَتَدْخُلُ أيْدٍ فِي حَنَاجِرَ أُقْنِعَتْ ... لِعَادتِهَا من الخَزِيرِ المعَرَّفِ "[1].

وقال الهروي:" وقوله تعالى: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ يقال طيّبها، وحُكي عن العرب: طيّب الله عرْفك: أي ريحك، ويقال عرّفها لهم وصفها لهم في الدنيا فإذا دخلوه عرَفوها بتلك الصفة، ويقال عرّفها جعلهم يعرفون فيها منازلهم إذا دخلوها كما كانوا يعرفون منازلهم في الدنيا"[2].

ومال أكثر أهل التفسير لمعنى أنه عرَّفهم منازلهم فيها فلا يستدِلُّون عليها ولا يُخطِئونها:

جاء في تفسير مجاهد:" في قوله:﴿ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ قَالَ:" يَمْشِي أَهْلُهَا إِلَى بُيُوتِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، وَمَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ فِيهَا لَا يُخْطِئُونَ شَيْئًا مِنْهَا كَأَنَّهُمْ سَاكِنُوهَا مُنْذُ خُلِقُوا، لَا يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهَا أَحَدًا "[3].

وقال مقاتل[4]:" ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ يعني عرفوا منازلهم في الجنة، كما عرفوا منازلهم في الآخرة، يذهب كل رجل إلى منزله"[5].

وقال الطبري:" : ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ قول: ويدخلهم الله جنته عرفها، يقول: عرفها وبينها لهم، حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا، لا يشكل عليه ذلك"[6].

---

[1] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 409-410، والبيت من الطويل، للأسود بن يعفر يهجو عقال بن محمد، ينظر: ديوان الأسود بن يعفر، ت: نوري حمودي القيسي، مديرية الثقافة العامة، بغداد، 1390هـ/1970م، ص 50.

[2] – الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، ج4، ص 1260، وينظر: المفردات للراغب، ص 561.

[3] – تفسير مجاهد، ص 604-605.

[4] – مقاتل بن سليمان أبو الحسن البلخي قدم بغداد، وحدّث بها عن عطية العوفي، وروى عنه شبابة بن سوار، كان له معرفة بتفسير القرآن، مات في سنة 150هـ، ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج15، ص 207.

[5] – تفسير مقاتل بن سليمان، ج4، ص 45.

[6] – تفسير الطبري، ج21، ص 191.

وقال البيضاوي:" ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا إليها فعملوا ما استحقوها به، أو بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه كأنه كان ساكنه منذ خلق أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة، أو حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة"[1].

قال الإمام ابن عاشور في معنى هذه اللفظة ثلاثة أقوال: عرّفها لهم أنّه وصفها لهم في الدنيا أو هداهم إلى طريقها في الآخرة، وعرفها جعل فيها عرْفًا أي ريحًا طيّبًا وهذا القول لأكثر أهل اللغة والمعاني الثلاثة التي ذكرها رحمه الله واردة عند العلماء ووافق فيها من حكاها من أصحاب اللغة أو الغريب أو المفسرين ، وأضاف أصحاب الغريب ومن وافقهم معنى يعرفون منازلهم إذا دخلوها، وقول عامة المفسرين بمعنى عرّفهم منازلهم فيهتدون إليها من غير استدلال ولا سؤال، ولا مانع من الحمل على هذه المعاني كلها.

قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾ [محمد:8]

المفردة: تعسًا.

قال ابن عاشور:" والتعس : الشقاء ويطلق على عدة معان: الهلاك، والخيبة، والانحطاط، والسقوط، وهي معان تحوم حول الشقاء، وقد كثر أن يقال: تعسا له، للعاثر البغيض، أي سقوطا وخرورا لا نهوض منه. ويقابله قولهم للعاثر: لعًا لهَ، أي ارتفاعا، قال الأعشى:

بذات لَوث عفرناةٍ إذا عَثرت ... فالتعسُ أولى لها من أن أقول لَعَا[2].

وفي حديث الإفك: فعثرت أم مسطح في مِرطها فقالت: تعِس مسطح[3]، لأن العِثار تعْس.

ومن بدائع القرآن وقوع فتعسا لهم في جانب الكفار في مقابلة قوله للمؤمنين:﴿ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: 7]، والفعل من التعس يجيء من باب مَنَع وباب سَمِع، وفي " القاموس" إذا خاطبْتَ قلت: تعسْتَ كمَنَعَ، وإذا حكيْتَ قلتَ: تعِسَ كسمع[4].

وانتصب فتعسا على المفعول المطلق بدلا من فعله. والتقدير: فتعسوا تعسهم، وهو من إضافة المصدر إلى فاعله مثل تبًا له، وويحًا له. وقصد من الإضافة اختصاص التعس بهم، ثم أدخلت على الفاعل لام

[1] – تفسير البيضاوي، ج5، ص 120.

[2] – ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، البيت من البسيط، ص 103.

[3] – صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، الحديث رقم: 2661، 173/3.

[4]– ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، ص 535.

التبيين فصار فتعسا لهم. والمجرور متعلق بالمصدر، أو بعامله المحذوف على التحقيق ويجوز أن يكون فتعسا لهم مستعملا في الدعاء عليهم لقصد التحقير والتفظيع، وذلك من استعمالات هذا المركب مثل سقيًا له ورعيًا له وتبًا له وويحًا له وحينئذ يتعين في الآية فعل قول محذوف تقديره: فقال الله: تعسا لهم، أو فيقال: تعسا لهم. ودخلت الفاء على فتعسا وهو خبر الموصول لمعاملة الموصول معاملة الشرط"[1].

ذكر رحمه الله في شرح اللفظة عدة معاني تطلق عليها، وقد استدل على ذلك بالشاهد الشعري وأورد الحديث،كما ربط اللفظ بمحسن بديعي وهو المقابلة، وهذه المعاني التي تطلق على التعس والتي ذكرها ابن عاشور ذكرها علماء اللغة والغريب والتفسير.

أقوال اللغويين في معنى التعس:

قال الجوهري:" تعس: التَعْسُ: الهلاكُ؛ وأصله الكَبُّ، وهو ضدُّ الانتعاش. وقد تَعَسَ بالفتح يتعس تعسا، وأتعسه الله. قال مجمّع بن هلال[2]:

تَقُولُ وقد أَفْرَدْتُها من حَليلِها ... تَعِسْتَ كما أَتْعَسْتَني يا مُجَمِّعُ.

يقال: تَعْساً لفلان، أي ألزمَه الله هلاكا"[3].

وقال ابن سيّده:" التَّعْسُ: العَثْرُ. والتَّعْسُ: أَلا ينتعش العاثر من عثرته. وقيل: التَّعْس: الانحطاط والعثور. قال الْأَعْشى: بذاتِ لَوْثٍ عَفَرْناةٍ إِذا عَثَرَتْ ... فالتَّعْسُ أدنى لَهَا من أَن قولَ لَعا.

والتَّعْس أَيْضا: الْهَلَاك. تَعِس تَعَسا، وتَعَس يَتْعَس تَعْسا..ومِنْهُ. وَفِي الدُّعَاء: " تَعْسا لَهُ، وتَعَسَه الله وأَتْعَسَه ..."[4].

وإلى هذا المعنى ذهب أصحاب الغريب أيضًا:

قال السجستاني:": ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾أي عثارًا وسقوطا. ويقال التعس أن يخر على وجهه، والنكس أن يخر على رأسه"[5].

---

[1]- التحرير والتنوير، 26/85-86.

[2] - مجمع بن هلال بن مالك بن خالد بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة، جاهلي. ينظر: معجم الشعراء، ص 469. والبيت من الطويل، ينظر: شرح ديوان الحماسة، أبو علي المرزوقي، ص 508.

[3] - الصحاح، الجوهري، ج3، ص 910.

[4] - المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج1، ص 473، وينظر: لسان العرب، 32/6.

[5] - غريب القرآن ، السجستاني، ص 58، ومثله في التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص 295.

وقال ابن الجوزي:"﴿ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾: التعس الانحطاط والعثور"[1].

وقال السمين الحلبي:" التعس: السقوط والعثار. يقال: أتعسه الله أي كبه. وتعس هو يتعس تعسًا وإذا عثر واحدٌ فدعي له قيل: لعًا له أي انتعاشًا. وإذا دُعي عليه قيل: تعسًا لك.. فمعنى تعسًا لهم أي انكبابًا وعثارًا وسقوطًا ونحو ذلك..."[2].

أقوال أهل التفسير في تفسير اللفظة:

قال الزمخشري:" ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فَتَعْساً لَهُمْ كأنه قال: أتعس الذين كفروا. فإن قلت: علام عطف قوله وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ؟ قلت: على الفعل الذي نصب تعسا، لأنّ المعنى فقال: تعسا لهم، أو فقضى تعسا لهم. وتعسا له: نقيض لعًا له، قال الأعشى: فالتّعس أولى لها من أن أقول لعا. يريد: فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت..."[3].

وقال ابن عطية:" وقوله تعالى: ﴿ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾ معناه: عثارا وهلاكا فيه، وهي لفظة تقال للعاثر إذا أريد به الشر، وقال الأعشى: البسيط: بذات لوت عفرناة إذا عثرت ... ومنه قول أم مسطح لما عثرت في مرطها: تعس مسطح.. و: تعسا: مصدر نصبه فعل مضمر"[4].

وقال أبي السعود:" ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾ التعسُ الهلاكُ والعِثارُ والسقوطُ والشرُّ والبعدُ والانحطاطُ ورجلٌ تاعسٌ وتَعِسٌ وانتصابُه بفعلِه الواجبِ حذفُه سماعاً أي فقالَ تعساً لهم أو فقضى تعساً لهم"[5].

ومجمل ما ورد عن أهل العلم من اللغويين وأصحاب الغريب والمفسرين في قوله تعالى ﴿ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾ أنها بمعنى الهلاك والكب والعثار والسقوط والانحطاط وهي من باب الدعاء عليهم وهذه الإطلاقات في معنى التعس تحوم كلها حول الشقاء كما قال ابن عاشور فهي من المترادف لكلمة الشقاء.

[1] – تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي، ص 355.

[2] – عمدة الحفاظ ، السمين الحلبي، ج1، ص 264.

[3] – الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 318-319.

[4] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص 112.

[5] – تفسير أبي السعود، ج 8، ص 93.

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾[محمد: 12]

المفردة: مثوًى

قال الإمام في معناها:" والمثوى: مكان الثواءِ، والثواءُ: الاستقرار، والمثوى: اسم مكان من ثوى بالمكان إذا أقام به إقامة سكنى أو إطالة مكث، وعدل عن الإضافة فقيل مثوى لهم بالتعليق باللام التي شأنها أن تنون في الإضافة ليفاد بالتنوين معنى التمكن من القرار في النار مثوى، أي مثوى قويا لهم لأن الإخبار عن النار في هذه الآية حصل قبل مشاهدتها، فلذلك أضيفت في قوله ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [الأنعام: 128] لأنه إخبار عنها وهم يشاهدونها في المحشر"[1].

فسّر رحمه الله اللفظة بمعنى المكان والمقام والسكن مع إضافة العدول عن الإضافة أي: لم يقل مثواهم النار وقال: النار مثوًى لهم، وتعليل هذا العدول.

ما ذكره أهل اللغة في معنى هذه المفردة:

قال الجوهري:" ثوى: ثَوى بالمكان: أقام به، يثوى ثواء وثويا، مثل مضى يمضى مضاء ومضيا. يقال: ثويت البصرة، وثَوَيت بالبصرة. وأَثْوَيْتُ بالمكان لغة في ثويت..وثويت غيرى تثوية. والثوى، على فعيل: الضيف. وأبومَثْوى الرجُل: صاحب منزله..."[2].

وقال ابن فارس:" ثوي: الثاء والواو والياء كلمة واحدة صحيحة تدل على الإقامة... والثوية: مكان. وأم مثوى الرجل: صاحبة منزله..."[3].

وقال ابن منظور[4]:" ثوا: الثواء: طول المقام...وأثويت به: أطلت الإقامة به.. وثوى بالمكان: نزل فيه، وبه سمي المنزل مثوى. والمثوى: الموضع الذي يقام به..والمثوى: مصدر ثويت أثوي ثواء ومثوى..."[5].

---

[1]- التحرير والتنوير ، الأنعام: 70/8، 90/26.

[2] - الصحاح، الجوهري، ج6، ص 2296.

[3] - مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص 393 ، وينظر: مجمل اللغة، 164/1.

[4] - هو محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي، جمال الدين أبو الفضل، صاحب لسان العرب في اللغة، وليَ قضاء طرابلس، فاضلاً في الأدب، روى عنه السُّبكي والذهبي، مات سنة: 711هـ، ينظر: بغية الوعاة للسيوطي،ج1، ص 248.

[5] - لسان العرب، ابن منظور، ج14، ص 125-126.

وجاء في القاموس:" ثوى المكان..وأثوى به: أطال الإقامة به، أو نزل. وأثويته: ألزمته الثواء فيه..والمثوى: المنزل، ج: المثاوي..والضيف. والثوي، كغني: البيت المهيأ له، والضيف، والأسير والمجاور بأحد الحرمين"[1].

وهذا المعنى ذكره علماء الغريب أيضًا أي بمعنى المنزل والمقام:

قال ابن قتيبة:"﴿ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ أي منزلٌ لهم"[2].

وقال السجستاني:" مثوى لهم: منزل لهم"[3].

وقال الراغب:" ثوى : الثواء: الإقامة مع الاستقرار، يقال: ثوى يثوي ثواء، قال عز وجل: ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ﴾[القصص:45].. قال الله تعالى:﴿ فَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡۖ ﴾ [فصلت:24].. وقيل: من أم مثواك؟ كناية عمن نزل به ضيف، والثوية: مأوى الغنم "[4].

وقال الصنعاني قولاً مخالفًا :" ﴿ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ أي ممرّ لهم"[5].

وفسّرها جمع من أهل التفسير بمعنى المنزل والمقام أيضًا:

قال الطبري:" ﴿ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ قول جل ثناؤه: والنار نار جهنم مسكن لهم، ومأوى، إليها يصيرون من بعد مماتهم"[6].

وقال الزمخشري:"﴿ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ منزل ومقام"[7].

وقال الخازن[8]:" ﴿ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ يعني مقام الكفار في الآخرة. والثواء: المقام في المكان مع الاستقرار الاستقرار فيه، فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم"[9].

---

[1] – القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، ص 1268.

[2] – غريب القرآن، ابن قتيبة، 410.

[3] – غريب القرآن، السجستاني، ص 181.

[4] – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، ص 181.

[5] – غريب القرآن، الصنعاني، ص 279.

[6]– تفسير الطبري، ج21، ص 197.

[7] – الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 320.

[8] – علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ، نسبة إلى شيحة قرية من حلب، البغدادي الصوفي، علاء الدين المشهور بالخازن، كان حسن السّمت والبشر والتودد، توفي 741هـ بحلب، ينظر: طبقات المفسرين للداوودي، ج1، ص 426.

[9]– لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ ص 142.

مما سبق يتبين أنّ معنى مثوى هو المنزل والمقام وهو قول أهل العلم من اللغة والغريب وجمع من المفسرين، والأبلغ في معناها أنها بمعنى الإقامة في المكان مع الاستقرار فيه كما قال ابن عاشور ووافق فيها رحمه الله من قال بهذا القول من العلماء.

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ [محمد: 15]

المفردة: ءاسنٍ.

قال الإمام ابن عاشور:" والآسن: وصف من أسَن الماء من باب ضرب ونصر وفرح، إذا تغير لونه. قرأه ابن كثير أَسِنٍ[1] بدون ألف بعد الهمزة على وزن فعِلٍ للمبالغة "[2].

ما ذكره رحمه الله في معنى اللفظة هو قول علماء اللغة والغريب والمفسرين.

ما ذكره علماء اللغة في معنى ءاسن:

قال الخليل:" أسن: أَسَنَ الماء يأْسِنُ أَسْناً وأُسُوناً فهو آسِنٌ، أي: متغير الطَّعم. وأَسِنَ الرَّجُلُ أَسَناً فهو أسِنٌ، إذا دخل بئرا فأصابه ريحُ الماءِ الآسن فغُشِيَ عليه أو مات، وأسِنَ، إذا دار رأسه من ريحٍ تصيبه..."[3].

وقال ابن فارس:" أسن: الهمزة والسين والنون أصلان، أحدهما تغير الشيء، والآخر السبب. فأما الأول فيقال: أسَنَ الماء يأسن : إذا تغير، هذا هو المشهور، وقد يقال: أسِن. قال الله تعالى:﴿ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾.. وهاهنا كلمتان معلولتان ليستا بأصل، إحداهما الأُسُنُ وهو بقية الشحم، وهذه همزة مبدلة من عين، إنما هو عُسُن، والأخرى قولهم تأسَّن تأسُّنًا: إذا اعتل وأبطأ "[4].

أسن: الآسن من الماء : مثل الآجن . يقال: أسن الماء يأسن ويأسن أسنا وأسونا وأسن، بالكسر أسنا: تغير غير أنه شروب. وفي التنزيل العزيز: ﴿ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ قال الفراء: غير متغير ولا آجن[5]..وأسن الرجل، كفرح: دخل البئر فأصابته ريح منتنة منها فغشي عليه"[6].

---

[1] – قرأ ابن كثير بغير مد بعد الهمزة، وقرأ الباقون بالمد، ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ج2، ص 374.

[2] – التحرير والتنوير، 96/26.

[3] – العين ، الخليل بن أحمد، ج7، ص 307.

[4] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص 104.

[5] – معاني القرآن، الفراء، ج3، ص 60.

[6] – تاج العروس ، الزبيدي ، ج34، ص 176، والآجن: الماء المتغير الطعم واللون ، ينظر: الصحاح، 2067/5.

وهذا المعنى ذكره أصحاب الغريب أيضًا بمعنى غير متغير الريح:

قال أبو عبيدة:" ﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ الآسن المتغير الريح يقال: قد أسن ماء ركيّتك"[1].

وقال ابن قتيبة:" ﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ أي غير متغيِّر الريح والطعم و "الآجن" نحوه"[2].

وقال مكي:" ﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ غير متغير الريح"[3].

أقوال المفسرين:

قال الثعلبي:" ﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ آجن متغيّر منتن، يقال: آسن الماء يأسن، وأسن يأسن ويأسن وأجن يأجن، ويأجن، أسونا، وأجونا، إذا تغيّر، ويقال: أسن الرجل: بكسر السين لا غير، إذا أصابته ريح منتنة، فغشي عليه.."[4]. وقال

البغوي:"﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ آجن متغير منتن، قرأ ابن كثير آسن بالقصر، والآخرون بالمد وهما لغتان يقال: أسن الماء يأسن أسنا" [5].

وقال الألوسي:"﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ أي غير متغير الطعم والريح لطول مكث ونحوه، وماضيه أسن بالفتح من باب ضرب ونصر وبالكسر من باب علم.."[6].

اتفق علماء اللغة والغريب والمفسرين على معنى هذه اللفظة- ءاسن – حيث جاءت أقوالهم بتعبيرات متقاربة، أي بمعنى تغير الماء سواء لونه أو ريحه أو طعمه ونفى الله تعالى في الآية أن يكون ذلك.

قال تعالى:﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ﴾ [محمد:16]

المفردة: ءانفًا.

قال ابن عاشور:" ومعنى آنفا: وقتا قريبا من زمن التكلم، ولم ترد هذه الكلمة إلا منصوبة على

[1] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 215، ماء الركية: ماء البئر، أي تغير لون وطعم ماء البئر .

[2] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 410.

[3] – تفسير المشكل من غريب القرآن، مكي بن أبي طالب، ص 316.

[4] – تفسير الثعلبي، ج9، ص 32.

[5] – تفسير البغوي ، ج4، ص 212.

[6] – روح المعاني، الألوسي، ج13، ص 204.

الظرفية. قال الزجاج: هو من استأنف الشيء إذا ابتدأه اهـ[1]. يريد أنه مشتق من فعل مزيد ولم يسمع له فعل مجرد، وظاهر كلامهم أن اشتقاقه من الاسم الجامد وهو الأَنْفُ، أي جَارحة الشم وكأنهم عنوا به أنف البعير لأن الأنف أول ما يبدو لراكبه فيأخذ بخطامه، فلوحظ في اسم الأنْف معنى الوصف بالظهور، وكني بذلك عن القرب، وقال غيره: هو مشتق من أُنُف بضم الهمزة وضم النون يوصف به الكأس التي لم يشرب منها من قبل، وتوصف به الروضة التي لم تُرْع قبلُ، كأنهم لا حظوا فيها لازم وصف عدم الاستعمال وهو أنه جديد، أي زمن قريب، فـ آنفا زمانا لم يبعد العهد به. قال ابن عطية: «والمفسرون يقولون: آنفا معناه: الساعة القريبة منا وهذا تفسير المعنى» اهـ. وفي كلامه نظر لأن أهل اللغة فسروه بوقت يقرب منا. وصيغ على زنة اسم الفاعل وليس فيه معنى اسم الفاعل، فهذا اسم غريب التصريف ولا يحفظ شيء من شعر العرب وقع فيه هذا اللفظ...ومعناه: أنه يقول ذلك في حال أنه شديد الأَنفة، أي التكبر إظهارا لترفعه عن وعي ما يقوله ﷺ وينتهي الكلام عند ماذا... وسياق الكلام يدل على ذم هذا السؤال لقوله عقبه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فهو سؤال ينبئ عن مذمة سائليه، فإن كان سؤالهم حقيقة أنبأ عن قلة وعيهم لما يسمعونه من النبي ﷺ فهم يستعيدونه من الذين علموه فلعل استعادتهم إياه لقصد أن يتدارسوه إذا خلوا مع إخوانهم ليختلقوا مغامر يهيئونها بينهم، أو أن يجيبوا من يسألهم من إخوانهم عما سمعوه في المجلس الذي كانوا فيه. ويجوز أن يكون السؤال على غير حقيقته ناوين به الاستهزاء يظهرون للمؤمنين اهتمامهم باستعادة ما سمعوه ويقولون لإخوانهم: إنما نحن مستهزئون، أو أن يكون سؤالهم تعريضا بأنهم سمعوا كلاما لا يستبين المراد منه لإدخال الشك في نفوس من يحسون منهم الرغبة في حضور مجالس النبي ﷺ تعريضا لقلة جدوى حضورها. ويجوز أن تكون الآية أشارت إلى حادثة خاصة ذكر فيها النبي ﷺ المنافقين وأحوالهم وعلم الذين كانوا حاضرين منهم أنهم المعنيون بذلك، فأرادوا أن يسألوا سؤال استطلاع هل شعر أهل العلم بأن أولئك هم المعنيون.."[2].

في تفسير هذه المفردة يظهر جليًا تبحر الإمام ابن عاشور في علم اللغة العربية واطلاعه على معاني هذه اللفظة واشتقاقاتها إضافة لاستدراكاته وتعقبه على من سبقه.

[1] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص 10.

[2] – التحرير والتنوير، 26/100-101.

أقول أهل اللغة في معنى ءانفًا:

جاء في التهذيب:"...وكأس أنف: لم يشرب بها قبل ذلك؛ كأنه استؤنف الشرب بها.. ويقال: هاج البهمى حتى آنفت الراعية نصالها، وذلك أن ييبس سفاها فلا ترعاها الإبل ولا غيرها، وذلك في آخر الحر، فكأنها جعلتها تأنف رعيها، أي تكرهه. ويقال: ائتنفت الأمر، واستأنفته، إذا استقبلته. وهو من: أنف الشيء. وأنف كل شيء: أوله. يقال: هذا أنف الشد، أي أوله. وأنف البرد: أوله. وأنف المطر: أول ما أنبت. وأنف البرد: أشده. وأنف الشد: أشده..وقال في قول الله جل وعز:﴿ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾، أي: مذ ساعة.

وقال الزجاج: أي: ماذا قال الساعة. قال: ومعنى آنفا ، من قولك: استأنفت الشيء، إذا ابتدأته. فالمعنى: ماذا قال في أول وقت يقرب منا"[1].

وجاء في اللسان:"... وأنف الناب: حرفه وطرفه حين يطلع...قال وهذا أنف عمل فلان أي أول ما أخذ فيه. وأنف خف البعير: طرف منسمه. وفي الحديث:"لكل شيء أنفة، وأنفة الصلاة التكبيرة الأولى"[2]، أنفة الشيء: ابتداؤه...الأنف، بضم الهمزة والنون: الكلأ الذي لم يرع ولم تطأه الماشية. واستأنف الشيء وأتنفه: أخذ أوله وابتدأه، وقيل: استقبله...وفعلت الشيء آنفا أي في أول وقت يقرب مني. واستأنفه بوعد: ابتدأه من غير أن يسأله إياه"[3].

أقوال أصحاب الغريب:

قال السجستاني:" آنفا: أي: الساعة من قولك: استأنفت الشيء إذا ابتدأته. وقوله تعالى: ﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ ﴾ أي الساعة، أي في أول وقت يقرب منا"[4].

وقال السمين الحلبي:" قوله تعالى ﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ ﴾ أي الساعة. وحقيقته ما قدمته أنه من استأنفت الشيء أي ابتدأته. والمعنى: ماذا قال في أول وقتٍ يقرب من وقتنا؟ وروض أنف: لم ترع قبل ذلك"[5].

---

[1] – تهذيب اللغة، الأزهري، ج 15، ص 346، وينظر: الصحاح للجوهري، 1332/4.

[2]– مصنف ابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ كتاب الصلوات، في فضل التكبيرة الأولى، الحديث رقم: 3109، 1/ 271.

[3] – لسان العرب، ابن منظور، ج9، ص 13-14-15.

[4] – غريب القرآن، السجستاني، 21، وينظر: الغريبين لأبو عبيد الهروي، 114/1.

[5] – عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ج1، ص 132.

أقوال المفسرين:

قال البغوي:"..ومنهم، يعني من هؤلاء الكفار، من يستمع إليك، وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا، حتى إذا خرجوا من عندك، يعني فإذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم، من الصحابة، ماذا قال، محمد، آنفا، يعني الآن، وهو من الائتناف ويقال: ائتنفت الأمر أي ابتدأته، وأنف الشيء أوله.."[1].

وقال ابن عطية:" ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾يعني بذلك المنافقين من أهل المدينة، وذلك أنهم كانوا يحضرون عند النبي عليه السلام فيسمعون كلامه وتلاوته، فإذا خرجوا قال بعضهم لمن شاء من المؤمنين الذين عملوا وانتفعوا ماذا قال آنفا فكان منهم من يقول هذا استخفافا، أي ما معنى ما قال وما نفعه وما قدره؟ ومنهم من كان يقول ذلك جهالة ونسيانا، لأنه كان في وقت الكلام مقبلا على فكرته في أمر دنياه وفي كفره، فكان القول يمر صفحا، فإذا خرج قال: ماذا قال آنفا، وهذا أيضا فيه ضرب من الاستخفاف، لأنه كان يصرح أنه كان يقصد الإعراض وقت الكلام، ولو لم يكن ذلك بقصد لم يبعد أن يجري على بعض المؤمنين... وهذا كما جرى فقير على افتقر ولم يستعمل فقر، وهذا كثير، والمفسرون يقولون: "ءَانِفًا" معناه: الساعة الماضية القريبة منا، وهذا تفسير بالمعنى"[2]. ويقصد ابن عطية أنه ليس تفسير اللفظ باللفظ.

في تفسير هذه الكلمة نقل ابن عاشور قول ابن عطية عن المفسرين بمعنى أنّ ءانفًا الساعة الماضية القريبة منا مستدركًا عليه وقال: وفي" كلامه نظر" لأن أهل اللغة فسروه بوقت يقرب منا وذكر رحمه الله أنّ معناها زمانًا لم يبعد العهد به أي وقتا قريبا من زمن التكلم، واستدراكه على ابن عطية يفهم منه أن قول المفسرين مخالف للمعنى اللغوي، وما ذكره ابن عاشور هو الصحيح فقد فسرها أهل اللغة بذلك، ومنهم: الأزهري والزجاج وابن فارس وابن منظور ...

[1] – تفسير البغوي ، ج4، ص 213.

[2] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص 114-114.

وكل من فسّرها بذلك من أهل اللغة والغريب وأهل التفسير ينقل ذلك عن الزجاج حيث اعتمدوا على قوله في معنى هذه اللفظة [1].

قال تعالى:﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ [محمد:35]

المفردة: يتركم.

قال ابن عاشور:" ولن يتركم أعمالكم وعد بتسديد الأعمال ونجاحها عكس قوله في أول السورة ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ ﴾ فكني عن توفيق الأعمال ونجاحها بعدم وترها، أي نقصها للعلم بأنه إذا كان لا ينقصها فبالحري أن لا يبطلها، أي أن لا يخيبها، يقال: وتره يتره وترا وترة كوعد، إذا نقصه، وفي حديث «الموطأ» " من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتر أهله ومالَه" [2].

ويجوز أيضا أن يراد منه صريحه، أي ينقصكم ثوابكم على أعمالكم، أي الجهاد المستفاد من قوله ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ ﴾[محمد:35] فيفيد التحريض على الجهاد بالوعد بأجره كاملا"[3].

ربط ابن عاشور المعنى اللغوي للفظة بالمعنى السياقي، واستشهد لمعناها بالحديث النبوي الشريف.

وقد حمل رحمه الله معاني مفردة الوتر على معنيين مع مراعاة السياق.

أقوال اللغويين في معنى اللفظة:

قال الجوهري:" وتر: الوِتْرُ بالكسر: الفَرد والوَتْرُ بالفتح: الذَحْلُ- الحقد والعداوة- هذه لغة أهل العالية[4]. فأمَّا لغة أهل الحجاز فبالضدِّ منهم. وأمَّا تميم فبالكسر فيهما. والوَترُ بالتحريك: واحد أوْتار القوس...وكذلك الوتيرة. ووترة كل شئ: حِتارُهُ ، والوتيرَةُ: الطريقة. يقال: ما زال على وتيرة واحدة...والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يُدرك بدمِهِ. تقول منه: وَتَرَهُ يَتِرُهُ وَتْراً وَتِرَةً. وكذلك وتَرَهُ

[1] – ينظر: استدراكات ابن عاشور على الطبري وابن عطية في تفسيره التحرير والتنوير، لخالد بن زريق الشهراني، رسالة دكتوراة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430/1431هـ ص454-455.

[2]– موطأ الإمام مالك، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ/1985م، كتاب وقوت الصلاة، بابُ جامِعِ الوقوت ، الحديث رقم: 21، ص 11-12.

[3] – التحرير والتنوير، 132/26.

[4] – العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة فهي العالية.. ينظر: معجم البلدان ياقوت الحموي، ج4، ص 71.

حقَّه، أي نقصه. وقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ أي لن يتنقَّصكم في أعمالكم. كما تقول: دخلت البيت وأنت تريد دخلت في البيت"[1].

" وت ر: الوتر للقوس جمعه أوتار مثل سبب وأسباب وأوترت القوس بالألف شددت وترها ووترة الأنف بفتح الكل حجاب ما بين المنخرين ... ووترت زيدا حقه أتره من باب وعَد أيضا نقصته ومنه "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله"..شبه فقدان الأجر لأنه يعد لقطع المصاعب ودفع الشدائد بفقدان الأهل لأنهم يعدون لذلك.."[2].

وأورد المعاني المذكورة في هذه اللفظة أصحاب الغريب أيضًا:

قال أبو عبيدة:" ﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ لن ينقصكم لن يظلمكم وترتني حقي ظلمتي"[3].

وقال الزجاج:" وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ أي لن ينقصكم شيئا من ثوابكم"[4].

وقال الهروي:"...وقوله تعالى:﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ أي لن يُنقِصَكم شيئًا من ثواب أعمالكم وفي الحديث" من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله" أي نقُص، يقال وترتُه: أي نقصته"[5].

وقال ابن الهائم:"﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ يقال: وترني حقّي: أي ظلمني حقّي، والمعنى: لن ينقصكم شيئا من ثوابكم، ويقال: وترت الرجل، إذا قتلت له قتيلا، أو أخذت له مالا بغير حقّ، وفي الحديث:"من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله"[6].

وإلى هذا المعنى ذهب أهل التفسير:

قال الطبري:" ﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ يقول: ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها، من قولهم: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا، فأخذت له مالا غصبا"[7].

وقال الرازي:" وقوله ﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ وعد آخر وذلك لأن الله لما قال إن الله معكم، كان فيه أن النصرة بالله لا بكم فكان القائل يقول لم يصدر مني عمل له اعتبار فلا أستحق تعظيما فقال هو

---

[1] – الصحاح، الجوهري، ج2، ص 842-843.

[2] – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن علي الفيومي، ج2، المكتبة العلمية، بيروت، ص 647.

[3] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 216، ومثله: غريب القرآن لابن قتيبة. يقال: وتَرْتَني حقي؛ أي بخَستنِيه. ص 411.

[4] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص 16.

[5] – الغريبين، أبو عبيد الهروي، ج6، ص 1967.

[6] – التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، ص 296.

[7] – تفسير الطبري، ج21، ص 229.

ينصركم ومع ذلك لا ينقص من أعمالكم شيئا، ويجعل كأن النصرة جعلت بكم ومنكم فكأنكم مستقلون في ذلك ويعطيكم أجر المستبد، والترة النقص، ويقول عند القتال إن قتل من الكافرين أحد فقد وتروا في أهلهم وعملهم حيث نقص عددهم وضاع عملهم، والمؤمن إن قتل فإنما ينقص من عدده ولم ينقص من عمله، وكيف ولم ينقص من عدده أيضا، فإنه حي مرزوق فرح بما هو إليه مسوق"[1].

هذه اللفظة تُفسّر على وجوه فهي بمعنى ينقص ويظلم في هذا السياق ، وتطلق على وتر القوس، ويقال أنّ الوتر أصله الجناية التي يجنيها الرجل على الرجل من قتل حميمه أو أخذ ماله.. وما ذكره الإمام ابن عاشور في تفسيره لكلمة- يتركم- بمعنى أنّه ينقصكم هو قول أكثر أهل العلم من اللغويين وأصحاب الغريب وأهل التفسير.

قال تعالى:﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾ [محمد:37]

المفردة: يحفكم.

قال رحمه الله في معنى هذه اللفظة:" والإحفاء: الإكثار وبلوغ النهاية في الفعل، يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح. وعن عبد الرحمن بن زيد[2]: الإحفاء أن تأخذ كل شيء بيديك، وهو تفسير غريب. وعُبّر به هنا عن الجزم في الطلب وهو الإيجاب، أي فيوجب عليكم بذل المال ويجعل على منعه عقوبة"[3].

فسر رحمه الله اللفظة بمعنى الإلحاح في المسألة، وهذا المعنى أورده أصحاب اللغة.

ما جاء عن أهل اللغة في معنى اللفظة:

قال ابن سيده:" حَفِي بِهِ حِفايَة فهو حافٍ وحَفِيٌّ، وتَحَّفى واحتَفى: لطف بِهِ وأظهر السرُور والفرح بِه وأكثر السّؤال عن حاله. وأحْفاه: برَّح بِه فِي الإلحاح عليه أو سأله فأكثر عليه فِي الطّلب. وأحفى السُّؤال، كذلك"[4].

---

[1] – مفاتيح الغيب، الرازي، ج28، ص 62.

[2] – عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، روى عن أبيه، وروى عنه مالك بن مغول، قيل كان كثير الحديث وضعيف جدًا، ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج6، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326هـ ص 177-179.

[3] – التحرير والتنوير، 135/26.

[4] – المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج3، ص 450.

وقال الزمخشري:" وهو حاف بين الحفوة والحفاء، وهم حفاة. وهو أفضل من كل حاف وناعل..ومن المجاز: أحفى في السؤال: ألحف، وسائل محف مجحف: ملح ملحف. وأحفيت إليه في الوصية: بالغت. وهو حفيٌّ عن الأمر: بليغ في السؤال عنه... وتحفي بي فلان، وحفي بي حفاوة إذا تلطف بك، وبالغ في إكرامك...وفلان وفيٌّ حفيٌّ "[1].

وقال ابن منظور:" وحافى الرجل محافاة: ماراه ونازعه في الكلام..وتحفى واحتفى: لطف به يقال: أحفى فلان بصاحبه وحفي به وتحفى به أي بالغ في بره والسؤال عن حاله... والحفاوة بالفتح: المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في أمره... الفراء في قوله عز وجل:﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ﴾ أي يجهدكم. وأحفيت الرجل إذا أجهدته..."[2].

أقوال أصحاب الغريب في معنى اللفظة:

قال ابن قتيبة:" ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ ﴾ أي إن يُلحَّ عليكم بما يوجبه في أموالكم. تَبْخَلُوا يقال: أحفاني بالمسألة وألْحَف وَأَلحَّ "[3].

وقال الزجاج:"﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ ﴾أي إن يجهدكم بالمسألة تبخلوا ويخرج أضغانكم"[4].

وقال السجستاني:" يحفكم: يلح عليكم. يقال: أحفى بالمسألة، وألحف وألح كله بمعنى واحد"[5].

ما ذكره أهل التفسير في تفسير اللفظة:

قال مقاتل:" ﴿ فَيُحْفِكُمْ ﴾ ذلك يعني كثرة المسألة "[6].

وقال القرطبي:" ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ ﴾ يلح عليكم، يقال: أحفى بالمسألة وألحف وألح بمعنى واحد. والحفي المستقصي في السؤال، وكذلك الإحفاء الاستقصاء في الكلام والمنازعة"[7].

مما سبق يتبين أنّ معنى- يحفكم- المبالغة في المسألة والإلحاح عليها، وقيل معناها الإجهاد في المسألة وهذين المعنيين محتملان في الآية، أي: فيجهدكم بالمسألة ويلحّ عليكم بطلبها منكم وهو ما

---

[1] – أساس البلاغة، الزمخشري ، ج1، ص 201-202.

[2] – لسان العرب، ابن منظور، ج14، ص 188. وينظر: معاني القرآن، الفراء، ج3، ص 64.

[3] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 411.

[4] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص 16-17.

[5] – غريب القرآن، السجستاني، ص 234.

[6] – تفسير مقاتل بن سليمان، ج4، ص 54.

[7] – تفسير القرطبي، ج16، ص 257.

يتوافق مع ما ذكره ابن عاشور، وقد ضعّف رحمه الله قول بن زيد بمعنى الإحفاء أن تأخذ كلّ شيء بيدك وقال بأنه تفسير غريب.

سورة الفتح:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح:9]

المفردة: تعزّروه.

قال ابن عاشور:" والتعزيز: النصر والتأييد، وتعزيزُهم الله كقوله:﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[محمد: 7] .

والتوقير: التعظيم"[1].

ذكر رحمه الله في تفسير اللفظة أنها بمعنى النصر والتأييد وهو قول لجمع من أهل اللغة والغريب وأصحاب التفسير، ومال جمع من أهل العلم إلى القول أنها بمعنى التعظيم والتوقير، وهناك من جمع بين القولين، أي ذكر المعنيين دون ترجيح، فقال بمعنى نصرتموه وعظمتموه.

ما ذكره أهل اللغة في معنى المفردة:

قال الجوهري:" عزر: التَعْزير: التعظيم والتوقير. والتعزير أيضاً: التأديب، ومنه سمِّي الضرب دون الحدّ تَعْزيراً. وعَزَّرْتُ الحمار: أو قرته"[2].

وقال ابن فارس:" عزر: العين والزاء والراء كلمتان: إحداهما التعظيم والنصر، والكلمة الأخرى جنس من الضرب. فالأولى النصر والتوقير، كقوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾. والأصل الآخر التعزير، وهو الضرب دون الحد.."[3].

وجاء في لسان العرب:"...وعزره عزرا وعزره: أعانه وقواه ونصره. قال الله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ [المائدة:12] ، جاء في التفسير أي لتنصروه بالسيف ومن نصر النبي ﷺ ، فقد نصر الله عز وجل. وعزرتموهم: عظمتموهم، وقيل: نصرتموهم...والتعزير في كلام العرب: التوقير، والتعزير: النصر باللسان والسيف... التعزير هاهنا: الإعانة والتوقير والنصر مرة

[1] – التحرير والتنوير، 156/26.

[2] – الصحاح، الجوهري، ج2، ص 744.

[3] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج4، ص 311، وينظر: مجمل اللغة،667/1.

بعد مرة، وأصل التعزير: المنع والرد، فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه، ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحد: تعزير، لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب"[1].

أقوال أصحاب الغريب في معنى هذه اللفظة:

قال الفراء:" وقوله:﴿وَتُعَـزِّرُوهُ ﴾ تنصروه بالسيف"[2].

وقال أبو عبيدة:" ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ وَتُوَقِّـرُوهُ ﴾﴿وَتُعَـزِّرُوهُ ﴾: تعظّموه"[3].

وقال الراغب:" عزر:التعزير: النصرة مع التعظيم. قال تعالى: ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ ﴾، وقال عز وجل ﴿وَعَـزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ ، والتعزير: ضرب دون الحد، وذلك يرجع إلى الأول، فإن ذلك تأديب، والتأديب نصرة ما لكن الأول نصرة بقمع ما يضره عنه، والثاني: نصرة بقمعه عما يضره. فمن قمعته عما يضره فقد نصرته"[4].

وقال ابن حيان:"﴿وَعَـزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ عظمتموهم، ويقال: نصرتموهم"[5].

أقوال المفسرين في تفسير المفردة:

قال مقاتل:"﴿وَتُعَـزِّرُوهُ ﴾يعني تنصروه وتعاونوه على أمره كله وَتُوَقِّرُوهُ يعني وتعظموا النبيﷺ"[6].

وقال الزمخشري:"﴿وَتُعَـزِّرُوهُ ﴾ويقووه بالنصرة وَتُوَقِّرُوهُ ويعظموه"[7].

وقال أبي السعود:" ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ ﴾وتقوُّوه بتقويةِ دينه ورسولِه وَتُوَقِّرُوهُ: وتُعظِّمُوه"[8]. كأنه يرى أنّ الضمير يعود إلى الله تعالى. ممّا سبق يتبين أنّ معنى كلمة- تعزروه- في هذه الآية يرجع لقولين: معنى النصر ومعنى التعظيم، أي المعنى: النصرة مع التعظيم.

---

[1] – لسان العرب، ابن منظور، ج4، ص 561-562.

[2] – معاني القرآن، الفراء ، ج3، ص 65.

[3] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 217، ومثله في غريب القرآن لابن قتيبة، ص 412.

[4] – المفردات للراغب الأصفهاني، ص 564، وينظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، 66/3.

[5] – تحفة الأريب، بن حيان الأندلسي ، ص 222.

[6] – تفسير مقاتل بن سليمان، ج4، ص 70.

[7] – الكشاف، الزمخشري، ج4، ص334.

[8] – تفسير أبي السعود، ج8، ص 106.

قال تعالى: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ [الفتح:10]

المفردة: نكث.

قال الإمام:" والنكث: كالنقض للحبل. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل: 92] .

وغلب النكث في معنى النقض المعنوي كإبطال العهد. والكلام تحذير من نكث هذه البيعة وتفظيع له لأن الشرط يتعلق بالمستقبل. ومضارع ينكث بضم الكاف في المشهور واتفق عليه القراء. ومعنى فإنما ينكث على نفسه:أن نكثه عائد عليه بالضر كما دل عليه حرف- على- وإنما للقصر وهو لقصر النكث على مدلول على نفسه ليراد لا يضر بنكثه إلا نفسه ولا يضر الله شيئا فإن نكث العهد لا يخلو من قصد إضرار بالمنكوث، فجيء بقصر القلب لقلب قصد الناكث على نفسه دون على النبي ﷺ . ويقال: أوفى بالعهد وهي لغة تهامة"[1].

ما ذكره ابن عاشور في تفسير لفظة- نكث - بمعنى نقض أي نقض البيعة، هو قول أكثر أهل العلم من اللغويين وأصحاب الغريب والمفسرين.

أقوال اللغويين في معنى اللفظة:

قال الخليل:" نكث: نكَث العهد يَنْكُثُه نَكْثاً، أي: نقضه بعد إحكامه، ونَكَثَ البيعة، والنكيثةُ: اسمها. وأنا ناكثٌ، وهو منكوث. وما أشد ما انتكثَ هذا السواك، وهو تشعث رأسه"[2].

وقال الأزهري:" نكث: قال الله :﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾.

واحد الأنكاث: نكث.. والشعر يبرم وينسج أكسية وأخبية، فإذا أخلقت قطعت قطعا صغارا ونكثت خيوطها المبرمة وخلطت بالصوف الجديد، وميشت به في الماء، فإذا جفت ضربت بالمطارق حتى تختلط بها، وغزلت ثانية واستعملت، والذي ينكثها يقال له النكاث، ومن هذا: نكث العهد، وهو نقضه بعد إحكامه كما تنكث خيط النسائج بعد إبرامها"[3].

[1] - التحرير والتنوير، 159/26-160.

[2] - العين، الخليل بن أحمد، ج5، ص 351، وينظر: جمهرة اللغة لابن دريد، 431/1.

[3] - تهذيب اللغة، الأزهري، ج10، ص 104.

وقال ابن فارس:" نكث: النون والكاف والثاء أصل صحيح يدل على نقض شيء. ونكث العهد ينكثه نكثا. وانتكث الشيء: انتقض. وقال قولا لا نكيثة فيه، أي لا خلف... والنكث: أن تنقض أخلاق الأكسية وتغزل ثانية، وبها سمي الرجل نكثا. والنكيثة: خطة صعبة ينكث فيها القوم[1].

ما ذكره أهل الغريب في معنى اللفظة:

قال ابن قتيبة:"والنكث: الخيط الخلق من صوف أو شعر أو وبر وجمعه أنكاث وإنما سمي نكثا لأنه ينكث أي: ينقض وذلك أن الحبل إذا أخلق ورث نقض ليؤخذ شعره أو وبره فيعاد مع الجديد وكذلك الخز إذا أخلق نكث أي نقض ومن هذا قيل لمن يبايعك على شيء ثم نقض ما أعطاك من نفسه: ناكث قال الله:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾[2]

وقال الزجاج:" وقوله﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾: والنكث في اللغة نقض ما تعقده، وما تصلحه. وجاء في التفسير: ثلاثة أشياء ترجع على أهلها.أحدها النكث. والبغي والمكر"[3].

وقال النحاس:" ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ يقال نكث إذا نقض ما اعتقده"[4].

ما قاله أهل التفسير في تفسير اللفظة:

قال الطبري:"وقوله ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن نكث بيعته إياك يا محمد، ونقضها فلم ينصرك على أعدائك، وخالف ما وعد ربه﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ يقول: فإنما ينقض بيعته، لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة، فلم يضر بنكثه غير نفسه ولم ينكث إلا عليها، فأما رسول الله ﷺ فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه، نكث الناكث منهم، أو وفى ببيعته"[5].

وقال ابن عطية:" وقوله: ﴿ فَمَن نَّكَثَ ﴾أي فمن نقض هذا العهد فإنما يجني على نفسه وإياها يهلك فنكثه عليه لا له[6].

---

[1] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص 475.

[2] – غريب الحديث، ابن قتيبة، ت: عبد الله الجبوري، ج2، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ ، ص 41.

[3] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص 22.

[4] – معاني القرآن، النحاس، ج6، ص 502.

[5] – تفسير الطبري، ج21، ص 255.

[6] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص 129.

وقال ابن الجوزي:" قوله تعالى:﴿ فَمَن نَّكَثَ ﴾ أي: نقض ما عقده من هذه البَيْعة ﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ أي: يرجِع ذلك النَّقضُ عليه"[1].

بالنظر إلى قول الإمام ابن عاشور وما ذكره أهل العلم من اللغويين والمفسرين وأصحاب اللغة في معنى لفظة- نكث – نجد أنّ القول المجمع عليه في هذه الآية هو أن النكث بمعنى نقض العهد ونقض البيعة، فالنكث والنقض واحد.

قال تعالى:﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفتح:12]

المفردة: بورًا.

قال ابن عاشور:" والبور: مصدر كالهلك بناء ومعنى، ومثله البوار بالفتح كالهلاك ولذلك وقع وصفا بالإفراد وموصوفه في معنى الجمع. والمراد الهلاك المعنوي، وهو عدم الخير والنفع في الدين والآخرة نظير قوله تعالى:﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في سورة براءة [42]"[2].

استشهد رحمه الله في شرح اللفظة في هذه الآية بآية أخرى للدلالة على معنى الهلاك الذي حكاه وهذا المعنى الذي قال به الإمام – الهلاك – ذكره أهل اللغة والغريب والتفسير.

أقوال اللغويين في معنى اللفظة:

"بور: والبور: مصدر بار الشيء يبور بورا إذا هلك. والرجل بور أي هالك الواحد والجمع فيه سواء. وفي التنزيل: ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾. ودار البوار: دار الهلاك"[3].

قال ابن فارس:" بور: الباء والواو والراء أصلان: أحدهما هلاك الشيء وما يشبهه من تعطله وخلوه. والآخر ابتلاء الشيء وامتحانه. فأما الأول فقال الخليل: البوار الهلاك، تقول: باروا، وهم بور، أي ضالون هلكى. وأبارهم فلان، وقد يقال للواحد والجميع والنساء والذكور بور. قال الله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾[4].

[1] – زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ، ت: عبد الرزاق المهدي، ج4، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ ص 130.

[2] – التحرير والتنوير، 165/26.

[3] – جمهرة اللغة، ابن دريد، ج1، ص 330، وينظر: الصحاح للجوهري ، 597/2.

[4] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص 316، وينظر: العين، الخليل بن أحمد، ج8، ص 285.

أقوال أصحاب الغريب:

قال مكي:" ﴿ قَوۡمَۢا بُورَۢا ﴾ أي هلكى"[1].

وقال الراغب:" بور: البوار: فرط الكساد، ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد- كما قيل: كسد حتى فسد- عبر بالبوار عن الهلاك، يقال: بار الشيء يبور بوارا وبورا...وقال عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورَۢا ﴾ [الفرقان: 18] أي: هلكى، جمع:بائر. وقيل: بل هو مصدر يوصف به الواحد والجمع، فيقال: رجل بور وقوم بور"[2].

أقوال أهل التفسير في تفسير المفردة:

قال الثعلبي:"﴿ قَوۡمَۢا بُورَۢا ﴾ هالكين، فاسدين، لا تصلحون لشيء من الخير"[3].

وقال الزمخشري:" والبور: من بار، كالهلك: من هلك، بناء ومعنى... والمعنى: وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم. أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه"[4].

وقال البيضاوي:"﴿ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورَۢا ﴾ هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم"[5].

ومجمل القول في معنى هذه اللفظة أنها بمعنى الهلاك والفساد وهذا ما جاء عن ابن عاشور موافقًا لقول أهل اللغة والغريب وأهل التفسير.

قال تعالى:﴿ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [الفتح:25]

المفردة: معرّةٌ.

قال ابن عاشور:" والمعرة: مصدر ميمي من عره، إذا دهاه، أي أصابه بما يكرهه ويشق عليه من ضر أو غرم أو سوء قالة، فهي هنا تجمع ما يلحقهم إذا ألحقوا أضرارا بالمسلمين من ديات قتلى وغرم أضرار، ومن إثم يلحق القاتلين إذا لم يتثبتوا فيمن يقتلونه، ومن سوء قالة يقولها المشركون

[1] – تفسير المشكل من غريب القرآن، ص 317، ومثله في غريب القرآن للسجستاني، ص 46.

[2] – المفردات، للراغب الأصفهاني، ص 152، وينظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، 242/1.

[3] – تفسير الثعلبي، ج9، ص 45.

[4] – الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 337.

[5] – تفسير البيضاوي، ج5، ص 128.

ويشيعونها في القبائل أن محمدا ﷺ وأصحابه لم ينج أهل دينهم من ضرهم ليكرهوا العرب في الإسلام وأهله"[1].

ذهب الإمام في شرح لفظة المعرة بأنها بمعنى ما دهاه وما أصابه بما يكرهه، وهذا القول جاء عن أهل العلم من اللغويين وأصحاب الغريب والمفسرين.

أقوال اللغويين في معنى اللفظة:

قال الخليل:" معر: معر الظفر معرًا. إذا أصابه شيء فنصل... وعرته صفرة من غضب. ورجل أمعر، وبه معرة، وهو لون يضرب إلى الحمرة والصفرة، وهو أقبح الألوان"[2].

وقال الأزهري:".. فأما قول الله جل وعز:﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فالمعرة التي كانت تصيب المؤمنين أنهم لو كبسوا أهل مكة، وبين ظهرانيهم قوم مؤمنون لم يتميزوا من الكفار، لم يأمنوا أن يطئوا المؤمنين بغير علم فيقتلوهم فتلزمهم دياتهم، وتلحقهم سبة بأنهم قتلوا من هم على دينهم إذ كانوا مختلطين بهم. يقول الله: لو تميز المؤمنون من الكفار لسلطناكم عليهم وعذبناهم عذابا أليما. فهذه المعرة التي صان الله المؤمنين عنها، وهي غرم الديات ومسبة الكفار إياهم"[3].

ما ذكره أصحاب الغريب في معنى معرة:

قال الفراء:"﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ ﴾ ، يريد: الدية "[4].

وقال أبو عبيدة:"﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ ﴾ جناية كجناية العرّ وهو الجرب"[5].

وقال السجستاني:" معرة: جناية كجناية العر، وهو الجرب. ويقال: معنى ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ ﴾ أي تلزمكم الديات"[6].

وقيل: ﴿مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أَي: شدَّة "[7].

---

[1] – التحرير والتنوير، 191/26.

[2] – العين، الخليل بن أحمد، ج2، ص 138-139.

[3] – تهذيب اللغة، الأزهري، ج1، ص 75.

[4] – معاني القرآن، الفراء ، ج3، ص 68.

[5] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 217.

[6] – غريب القرآن، السجستاني، ص 181، ومثله في التبيان في غريب القرآن لابن الهائم، ص 297.

[7] – ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، غلام ثعلب، ت: محمد بن يعقوب التركستاني، ط1، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، السعودية، 1423هـ/2002م، ص 471.

ويلاحظ هنا على تفسير أهل الغريب أنه تفسير بالمثال، أي: ذكر أمثلة لذلك اللفظ أو الحكم لا على سبيل التخصيص.

أقوال أهل التفسير في تفسير اللفظة:

قال الرازي:"﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ عيب أو إثم، وذلك لأنكم ربما تقتلونهم. فتلزمكم الكفارة وهي دليل الإثم، أو يعيبكم الكفار بأنهم فعلوا بإخوانهم ما فعلوا بأعدائهم... لم تعلموا أن تطئوهم بغير علم، فيلزم تكرار بغير علم لحصوله بقوله لم تعلموهم فالأولى أن يقال بغير علم هو في موضعه تقديره: لم تعلموا أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم، من يعركم ويعيب عليكم، يعني إن وطأتموهم غير عالمين يصبكم مسبة الكفار بغير علم أي بجهل لا يعلمون أنكم معذورون فيه"[1].

وقال البيضاوي:"﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ فتصيبكم منهم من جهتهم. معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم، وتعيير الكفار بذلك والإثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره إذا عراه ما يكرهه. والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم"[2].

فسّر الإمام رحمه الله هذه اللفظة بمعنى ما أصابه أو ما دهاه بما يكره، أي ما يلحق أضرارًا بالمسلمين وغيره، وهذا القول ذكره جمع من أهل اللغة والمفسرين، وقد أُختلف في تعيين المعرة التي عناها الله في هذا الموضع، فقيل فيها أقوال اختلفت عباراتها وإن كانت متقاربة المعاني، فقيل هي الشدة في الحرب، أو الإثم، وقال آخرون هي ما يُلزم من الدية والكفارة...وكل هذه الأقوال المتقاربة تندرج تحت معنى: يصيبكم ما يعيبكم وما يكرهكم.

قال تعالى:﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾ [الفتح:29]

المفردة: شطئه.

قال ابن عاشور في معناها:" وفي قوله: أخرج شطئه استعارة الإخراج إلى تفرع الفراخ من الحبة لمشابهة التفرع بالخروج ومشابهة الأصل المتفرع عنه بالذي يخرج شيئا من مكان.

[1] – تفسير الرازي، ج28، ص 82.

[2] – تفسير البيضاوي، ج5، ص 130-131.

والشطء بهمزة في آخره وسكون الطاء: فراخ الزرع وفروع الحبة. ويقال: أشطأ الزرع، إذا أخرج فروعا. وقرأه الجمهور بسكون الطاء وبالهمزة وقرأه ابن كثير شطئه بفتح الطاء بعدها ألف على تخفيف الهمزة ألفا"[1].

ما ذكره ابن عاشور في معنى المفردة هو قول أهل العلم من اللغويين والمفسرين وأصحاب الغريب، أي أنّ الشطء ما خرج من فرع الأصل.

ما قاله أهل اللغة في معنى شطئه:

"الشطء، مهموز ، وهو ما يخرجه الزرع من فراخه، لا يكون إلا في البر والشعير وكذا فسر في التنزيل: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُۥ﴾ ، وشطأ الزرع وأشطأ، إذا كان كذلك"[2].

قال ابن سيده:" الشطء فراخ الزرع والنخل وقيل هو ورق الزرع وفي التنزيل﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُۥ﴾ وشطء الشجر ما خرج حول أصله والجمع أشطاء وأشطأ الشجر بغصونه أخرجها وأشطأ الرجل بلغ ولده مبلغ الرجال فصار مثله"[3].

وأورد هذا المعنى أصحاب الغريب أيضًا:

قال الفراء:"﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُۥ﴾، وشطؤه: السنبل تُنبت الحبة عشرًا وثمانيًا وسبعًا، فيقوى بعضه ببعض..ولو كانت واحدة لم تقم على ساق، وهو مَثَل ضربه اللَّه عزَّ وجل للنبي ﷺ إذ خرج وحده ثُمَّ قوّاه بأصحابه، كما قوّى الحبة بما نبت منها"[4].

وقال أبو عبيدة:"﴿ أَخْرَجَ شَطْئَهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ أخرج فراخه يقال: قد أشطأ الزرع فهو مشطىء إذا فرّخ"[5].

وقال الزجاج:" ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُۥ ﴾ معنى أخرج شطأه: أخرج نباته"[6].

وقال السجستاني:" شطأه: فراخه وصغاره. يقال: أشطأ الزرع إذا أفرخ"[7].

---

[1] – التحرير والتنوير، 208/26. وينظر: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 375.

[2] – جمهرة اللغة، ابن دريد، ج2، ص 868، وينظر: الصحاح للجوهري،57/1، ومقاييس اللغة لابن فارس، 185/3.

[3] – المحكم لابن سيده، ج8، ص 85.

[4] – معاني القرآن، الفراء ، ج3، ص 69.

[5] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 218.

[6] – معاني القرآن، الزجاج، ج5، ص 29.

[7] – غريب القرآن للسجستاني، ص121، وينظر: تذكرة الأريب لابن الجوزي ،361، وتحفة الأريب لأبي حيان، 181.

أقوال المفسرين:

قال الطبري:" ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ يقول: وصفتهم في إنجيل عيسى عليه السلام صفة زرع أخرج شطأه وهو فراخه، يقال منه: قد أشطأ الزرع: إذا فرخ. وإنما مثلهم بالزرع المشطئ، لأنهم ابتدأوا في الدخول في الإسلام، وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون، ويدخل فيه الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمي"[1].

وقال ابن عطية:" وقوله تعالى: كزرع، هو على كل الأقوال وفي أي كتاب منزل: فرض مثل للنبي ﷺ وأصحابه، في أن النبي بعث وحده، فكان كالزرع حبة واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشطء: وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل، وأشطأ الزرع: إذا خرج شطأه"[2].

فسّر الإمام ابن عاشور لفظة شطء الزرع بمعنى فراخه وفروعه وهو تفسير صحيح يتوافق مع أقوال جمهور أهل العلم، وإضافة الإمام هنا تكمن في ذكره الاستعارة. فيقال شطءُ الزرعِ وفراخه وهو ما خرج منه وتفرع.

سورة الحجرات:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ [الحجرات:7]

المفردة: لَعَنِتُّم– العنت –

قال ابن عاشور:" والعنت: اختلال الأمر في الحاضر أو في العاقبة. أي لو أطاعكم في قضية معينة ولو أطاعكم كلما رغبتم منه أو أشرتم عليه لعنتم لأن بعض ما يطلبونه مضر بالغير أو بالراغب نفسه فإنه قد يحب عاجل النفع العائد عليه بالضر.

والعَنت: المشقة، أي لأصاب الساعين في أن يعمل النبي ﷺ بما يرغبون العنتُ. وهو الإثم إذا استغفلوا النبي ﷺ ولأصاب غيرهم العنت بمعنى المشقة وهي ما يلحقهم من جريان أمر النبي ﷺ على ما يلائم الواقع فيضر ببقية الناس وقد يعود بالضر على الكاذب المتشفي برغبته تارة فيلحق عنت من كذب غيره تارة أخرى"[3].

[1] – تفسير الطبري، ج21، ص 327.

[2] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، 142.

[3] – التحرير والتنوير، 26/235-236.

أتى ابن عاشور في شرح المفردة بمعناها اللغوي أي: بمعنى اختلال الأمر في الآن والمآل أو في العاجل أو في الآجل والمشقة، وذكر معناها في السياق، وربط بين المعنيين اللغوي والسياقي.

ما ذكره أهل اللغة في معنى العنت:

قال الخليل:" عنت: العنت: إدخال المشقة على إنسان. عنت فلان، أي: لقي مشقة. وتعنته تعنتا أي: سألته عن شيء أردت به اللبس عليه والمشقة. والعظم المجبور يصيبه شيء فيعنته إعناتا"[1].

وقال الأزهري:"...وقول الله عزّ وجلّ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ أي لو أطاع مثل المخبر الذي أخبره بما لا أصل له كان سعى بقوم من العرب إلى النبي ﷺ أنهم ارتدوا لوقعتم في عنت أي فساد وهلاك..."[2].

وقال الزمخشري:" عنت: وقع فلان في العنت أي فيما شقّ عليه... وأعنت الطبيب المريض إذا لم يرفق به فضرّه. وتعنتني: سألني عن شيء أراد به اللبس عليّ والمشقّة"[3].

أقوال أصحاب الغريب في معنى العنت:

قال الزجاج:" وقوله عزّ وجلّ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ أي لو أطاع مثل هذا المخبر الذي أخبره بما لا أصل له لوقعتم في عنت، والعنت الفساد والهلاك"[4].

وقال أبو عبيد الهروي:" والعنت: المشقة...وقوله تعالى:﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ أي لهلكتم ووقعتم في عنت"[5].

وقال مكي:" ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ من العنت وهو الضرر والفساد"[6].

أقوال أهل التفسير في تفسير اللفظة:

قال مقاتل:"﴿فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ يعني لأثمتم في دينكم"[7].

---

[1] – العين، الخليل بن أحمد، ج2، ص 72، وينظر: جمهرة اللغة، 403/1.

[2] – تهذيب اللغة، الأزهري، ج2، ص 162-162.

[3] – أساس البلاغة، الزمخشري، ج1، 680.

[4] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص 34.

[5] – الغريبين، أبو عبيد الهروي، ج4، ص 1332-1333.

[6] – تفسير المشكل من غريب القرآن، مكي بن أبي طالب، ص 318.

[7] – تفسير مقاتل، ج4، ص 93.

وقال الطبري:" وقوله:﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم ﴿لَعَنِتُّمۡ ﴾ يقول: لنالكم عنت، يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطئ في أفعاله"[1].

وقال البغوي:" ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ .لو يطيعكم، أي الرسول، في كثير من الأمر، مما تخبرونه به فيحكم برأيكم، لعنتم، لأثمتم وهلكتم، والعنت:الإثم والهلاك"[2].

لم يخرج رحمه الله في تفسير العنت على كلام أهل العلم حيث بيّن أنّ العنت بمعنى المشقة والضرر والإثم وهو قول لأكثر علماء اللغة والغريب والمفسرين ، ووردت هنا هذه اللفظة بمعنى لهلكتم ووقعتم في أمر شاق وما شابه ذلك.

قال تعالى:﴿ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات:14]

المفردة: يلتكم.

قال الإمام رحمه الله في معناها:" ومعنى لا يلتكم لا ينقصكم، يقال: لاته مثل باعه. وهذا في لغة أهل الحجاز وبني أسد، ويقال: ألتَه ألَتًا مثل: أمره، وهي لغة غطفان قال تعالى:﴿ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ ﴾ في سورة[الطور :21] .

والمعنى: إن أخلصتم الإيمان كما أمركم الله ورسوله تقبل الله أعمالكم التي ذكرتم من أنكم جئتم طائعين للإسلام من غير قتال. وقرأ بالأولى جمهور القراء وبالثانية أبو عمرو ويعقوب. ولأبي عمرو في تحقيق الهمزة فيها وتخفيفها ألفا روايتان فالدوري روى عنه تحقيق الهمزة والسوسي روى عنه تخفيفها"[3].
تخفيفها"[3].

أورد ابن عاشور في شرحه لهذه الكلمة أنها بمعنى لا ينقصكم، وأتى ببعض من لغات العرب في اللفظة، واستشهد لمعناها بآية أخرى كما ذكر القراءات المتعلقة بهذه اللفظة.

[1] – تفسير الطبري، ج21، 354.

[2] – تفسير البغوي، ج4، ص 258.

[3] – التحرير والتنوير، 266/26. وينظر: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 376.

ولقد أورد هذا المعنى– لا ينقصكم – أصحاب اللغة:

قال الجوهري:" ألت: ألته حَقَّهُ يَأْلِتُهُ أَلْتاً، أي نقصهُ. وأَلَتَهُ أيضا: حبسهُ عن وجهه وصرفه، مثل لاته يليته، وهما لغتان.."[1].

وقال ابن سيده:" ل ي ت: لاته حقه ليتا، وألاته: نقصه، والأولى أعلى. وفي التنزيل:﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ولاته ليتا: أخبره بالشيء على غير وجهه، وقيل: هو أن يعمي عليه الخبر، فيخبره بغير ما سأله عنه"[2].

وكذلك أوردها أصحاب الغريب أيضًا:

قال ابن قتيبة:" ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ أي لا يَنقصْكم وهو من "لاتَ يلِيتُ، ويَلُوتُ ، ومنها لغة أخرى: "أَلَتْ يَأْلَت ،أَلْتًا، وقد جاءت اللغتان جميعا في القرآن؛ قال:﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ﴾ والقرآن يأتي باللغتين المختلفتين"[3].

وقال السجستاني:" يلتكم ويألتكم: أي ينقصكم. يقال: لات يليت، وألت يألت، لغتان"[4].

وقال الراغب:"..قال تعالى:﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: لا ينقصكم من أعمالكم"[5].

وإلى هذا المعنى ذهب أهل التفسير:

جاء عن مجاهد:﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ يقول:لا ينقصكم من أعمالكم شيئا ولا يظلمكم"[6].

وقال البغوي:"﴿لَا يَلِتْكُم﴾ قرأ أبو عمرو لا يالتكم بالألف كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ الطور والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم، يقال: ألت يألت ألتا ولات يليت ليتا إذا نقص، من أعمالكم شيئا، أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئا"[7].

---

[1] – الصحاح، الجوهري، ج1، ص 241.، وينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، 223/5.

[2] – المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج 9، ص 519.

[3] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 416.

[4] – غريب القرآن، السجستاني، ص 228.

[5] – المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 749 ، وينظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، 100/1.

[6] – تفسير مجاهد، ص 612.

[7] – تفسير البغوي، ج4، ص 269.

وقال الزمخشري:" ﴿لَا يَلِتۡكُم﴾ لا ينقصكم ولا يظلمكم. يقال: ألته السلطان حقه أشدّ الألت وهي لغة غطفان. ولغة أسد وأهل الحجاز: لاته ليتا...وقرئ باللغتين: لا يلتكم، ولا يألتكم. ونحوه في المعنى.﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا﴾ [الأنبياء: ٤٧]"[1].

ذكر ابن عاشور في معنى لفظة- لا يلتكم - أنها بمعنى لا ينقصكم ثواب أعمالكم، وهذا المعنى هو القول الأغلب أو بالأحرى القول المجمع عليه من أهل العلم من أصحاب اللغة والغريب وأهل التفسير كما جاء في كتبهم في شرح هذه المفردة.

سورة ق:

قال تعالى:﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴾[ق:5]

المفردة: مريج.

قال ابن عاشور:"... والمقصد من هذه الجملة: أنهم أتوا بأفظع من إحالتهم البعث وذلك هو التكذيب بالحق. والمراد بالحق هنا القرآن...

والمريج: المضطرب المختلط، أي لا قرار في أنفسهم في هذا التكذيب، اضطربت فيه أحوالهم كلها من أقوالهم في وصف القرآن فإنهم ابتدروا فنفوا عنه الصدق فلم يتبينوا بأي أنواع الكلام الباطل يلحقونه فقالوا:﴿ سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: 110]وقالوا ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: 25] وقالوا بقول شاعر [الحاقة: 41] ، وقالوا: بقول كاهن [الحاقة: 42] وقالوا: (هذيان مجنون) . وفي سلوكهم في طرق مقاومة دعوة النبي ﷺ وما يصفونه به إذا سألهم الواردون من قبائل العرب. ومن بهتهم في إعجاز القرآن ودلالة غيره من المعجزات وما دمغهم به من الحجج على إبطال الإشراك وإثبات الوحدانية لله. وهذا تحميق لهم بأنهم طاشت عقولهم فلم يتقنوا التكذيب ولم يرسوا على وصف الكلام الذي كذبوا به"[2].

بيّن رحمه الله في شرح لفظة- مريج – وجوه الالتباس والاختلاط التي كان فيها المشركون وموقفهم من القرآن كزيادة في المعنى، وقد فسّر المفردة بمعنى الأمر المضطرب المختلط والملتبس وهذا القول قال به جمع من أهل اللغة والغريب وأهل التفسير.

[1] - الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 377.

[2] - التحرير والتنوير، 26/284-285.

قال أهل اللغة في معنى مريج:

قال الجوهري:".. والمرج بالتحريك: مصدر قولك مَرِجَ الخاتَمُ في إصبعي بالكسر، أي قلق، مثل جرج. ومرجت أمانات الناس أيضا: فسدت. ومرج الدين والأمر: اختلط واضطرب...ومنه الهرج والمرج. وأمر مريج، أي مختلط"[1].

وقال ابن فارس:" مرج: المرج: أرض ذات نبات تمرج فيها الدواب...وأمر مريج: ملتبس. ويقال: مرجت عهودهم إذا خلطوها ولم يفوا بها..."[2].

وقال ابن سيده:"...وأمرجه الدم: إذا أقلقه حتى يسقط. والمريج: الملتوي الأعوج. ومرج الأمر مرجا، فهو مارج ومريج: التبس واختلط، وفي التنزيل:﴿ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ ﴾... ومرج العهد والأمانة والدين: فسد...وامْرَج عهده: لم يفِ به. ومرج الناس: اختلطوا"[3].

أقوال أصحاب الغريب:

قال أبو عبيدة:"﴿ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ ﴾ مختلط، يقال: قد مَرِج أمر الناس اختلط وأهمل... قال رسول الله ﷺ: " كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم"[4] ، أي اختلطت"[5].

وقال ابن قتيبة:" ﴿ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ ﴾ أي مختلط. يقال: مرج أمر الناس ومرج الدين. وأصل "المرج": أن يقلق الشيء فلا يستقر. يقال: مرج الخاتم في يدي مرجا؛ إذا قلق من الهزال"[6].

وقال الزجاج:"﴿ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ ﴾ مريج: مختلف ملتبس عليهم مرة يقولون للنبي ﷺ شاعر ومرة ساحر ومرة معلم. فهذا دليل على أن أمرهم مريج ملتبس عليهم"[7].

---

[1] – الصحاح، الجوهري، ج1، ص 341.

[2] – مجمل اللغة، ابن فارس، ج1، ص 829.

[3] – المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج7، 422-423، وينظر: لسان العرب، 365/2. والقاموس المحيط، ص 205.

[4] – مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م الحديث رقم: 6508، 54/11. قال الألباني:" أخرجه أحمد ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أن الحسن البصري في سماعه من ابن عمرو خلاف، وأيهما كان، فهو مدلس وقد عنعنه. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، الألباني، ج1، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ/1995م، ص 416-417.

[5] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 222.

[6] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 417.

[7] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص 42.

وقال الزمخشري:"... مرج وجرج أخوان في معنى القلق والاضطراب. يقال: مرج الخاتم في يدي ومرجت العهود والأمانات: إذا اضطربت وفسدت"[1].

أقوال المفسرين في معنى مريج:

قال مقاتل:" ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ﴾ يعني مختلف ملتبس"[2].

وقال الزمخشري:" ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٖ﴾ مضطرب. يقال: مرج الخاتم في أصبعه وجرج، فيقولون تارة: شاعر، وتارة: ساحر، وتارة: كاهن، لا يثبتون على شيء واحد" [3].

اختلفت عبارات أهل العلم من اللغويين وأصحاب الغريب والمفسرين في تأويل لفظة المريج ولكن هذه العبارات متقاربة المعاني وهي من باب اختلاف التنوع، وأصل المرج الاضطراب والقلق، حيث ذكر بعضهم أنها بمعنى الأمر المضطرب والملتبس، وقيل بل معناه أمر مختلف، أو مختلط أو هم في ضلالة.. وهذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربة. كما قال الإمام الطبري:" وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن الشيء مختلف ملتبس، معناه مشكل وإذا كان كذلك كان منكرا، لأن المعروف واضح بيّن، وإذا كان غير معروف كان لا شك ضلالة، لأن الهدى بيّن لا لبس فيه"[4].

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ [ق:10]

المفردة: باسقات.

قال الإمام رحمه الله في معناها:" والباسقات: الطويلات في ارتفاع، أي عاليات فلا يقال: باسق للطويل الممتد على الأرض. وعن ابن شداد[5]: الباسقات الطويلات مع الاستقامة. ولم أره لأحد

[1] – الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، ت: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ج3، ط2، دار المعرفة لبنان، ص 358.

[2] – تفسير مقاتل بن سليمان، ج4، 110.

[3] – الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 380.

[4] – تفسير الطبري، ج21، 408.

[5] – عبد الله بن شداد بن أسامة بن عمرو، روى عن عمر بن الخطاب وعن علي بن أبي طالب، وكان ثقة قليل الحديث ينظر: الطبقات الكبرى، بن سعد، ج5، ص 61.

من أيمة اللغة. ولعل مراده من الاستقامة الامتداد في الارتفاع. وهو بالسين المهملة في لغة جميع العرب عدا بني العنبر من تميم يبدلون السين صادا في هذه الكلمة. قال ابن جني[1]: الأصل السين وإنما الصاد بدل منها لاستعلاء القاف، وروى الثعلبي[2] عن قطبة بن مالك[3] أنه سمع النبي ﷺ في صلاة الصبح قرأها بالصاد. ومثله في ابن عطية[4] وهو حديث غير معروف[5].

والذي في صحيح مسلم[6] وغيره عن قطبة بن مالك مروية بالسين. ومن العجيب أن الزمخشري قال: وفي قراءة رسول الله ﷺ باصقات[7].

وانتصب باسقات على الحال. والمقصود من ذلك الإيماء إلى بديع خلقته وجمال طلعته استدلالا وامتنانا"[8].

فسّر ابن عاشور لفظة الباسقات بمعنى الطويلات والعاليات، وهذا المعنى ذكره جمع من أهل اللغة، والغريب وأهل التفسير.

أقوال اللغويين في معنى اللفظة:

قال الخليل:" بسق: بسق وبصق وبزق لغات. وبسقت النخلة بسوقا: طالت وكملت. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ ﴾ أي طويلات. وأبسقت الشاة فهي مبسق وبسوق ومبساق أي أنزلت اللبن قبل الولاد بشهر أو أكثر فتحلب"[9].

---

[1] – عثمان بن جني أبو الفتح الموصلي النحوي اللغوي، صاحب التصانيف البديعة في علم الأدب، صحب أبا علي الفارسي وتبعه، توفي سنة: 372هـ ، ينظر: إنباه الرواة، القفطي، ج2، ص 335-336.

[2] – ينظر: تفسير الثعلبي، ج9، ص 95.

[3] – قطبة بن مالك الثعلبي من بني ثعلبة من أهل الكوفة، عم زياد بن علاقة، ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ج4، ص 108.

[4] – ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص 158.

[5] – عن قطبة بن مالك قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ: والنخل باصقات بالصاد «لم يقل في هذا الحديث:» بالصاد «إلا هشام بن يونس». ينظر: المعجم الأوسط، الطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن الحسيني، ج5، دار الحرمين، القاهرة، ص 103.

[6] – ينظر: صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، الحديث رقم: 166، 337/1.

[7] – ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 381.

[8] – التحرير والتنوير، 293/26.

[9] – العين، الخليل بن أحمد، ج5، ص 85.

وقال الجوهري:" بسق: البُساق: البصاقُ. وقد بسَق بسقًا. وبسق النخل بُسوقًا، أي طال. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ ﴾ ويقال: بسق فلان على أصحابه، أي عَلاهُم. وأبسقت الناقة، إذا وقع في ضرعها اللِبَأُ قبل النِتاج، فهي مُبْسِقٌ، ونوقٌ مباسيق"[1].

وهذا ما ذكره أصحاب الغريب في معناها:

قال الفراء:"وقوله ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ ﴾ طوال، يقال: قد بسق طولا، فهن طوال النخل"[2].

وقال ابن قتيبة:" ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ ﴾ أي طوالا. يقال: بسق الشيء يبسق بسوقا؛ إذا طال"[3].

وقال الراغب:" بسق: قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ ﴾ أي: طويلات، والباسق هو الذاهب طولا من جهة الارتفاع، وبسقت الناقة: وقع في ضرعها لبأ قليل كالبساق، وليس من الأول"[4].

وذكر هذا المعنى أهل التفسير أيضًا:

قال الطبري:"وقوله ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ ﴾ قول: وأنبتنا بالماء الذي أنزلنا من السماء النخل طوالا والباسق: هو الطويل يقال للجبل الطويل: جبل باسق"[5].

وقال أبو حيان:" باسقات: أي طوالا في العلو، وهو منصوب على الحال، وهي حال مقدرة، لأنها حالة الإنبات، لم تكن طوالا. وباسقات جمع..."[6].

بعد ذكر قول الإمام ابن عاشور وأقوال أئمة اللغة والغريب وأهل التفسير نجد أنّ القول المجمع عليه في معنى لفظة- باسقات – هو معنى الطويلات، ولكن أُختلف في قراءة باسقات بالصاد بدلاً من السين، حيث استدرك رحمه الله على قول ابن عطية في ذلك ومن قبله الثعلبي وضعّف روايته التي حكاها عن القراءة بالصاد، أيضًا تعجّب من قول الزمخشري لأنّه حكى هذه الرواية أيضًا والذي ذهب إليه ابن عاشور هو الصحيح لأنّ الرواية الصحيحة لحديث قطبة هي بالسين وليس

[1] – الصحاح، الجوهري، ج4، ص 1450، وينظر: لسان العرب، 20/10.

[2] – معاني القرآن، الفراء، ج3، ص 76.

[3] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 418، ومثله في الغريبين لأبو عبيد الهروي، 178/1.

[4] – المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 123.

[5] – تفسير الطبري، ج21، ص 412.

[6] – البحر المحيط، بن حيان، ج9، ص 531.

بالصاد، إضافة إلى أنّ هذه الرواية- أي: باسقات بالسين- قد ذكرها صاحبيْ الصحيحين البخاري[1] ومسلم وغيرهما.

قال تعالى:﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴾ [ق: 31]

المفردة: أزلفت.

قال ابن عاشور:" والإزلاف: التقريب مشتق من الزّلَف بالتحريك وهو القربة، وقياس فعله أنه كفرح كما دل عليه المصدر ولم يُرو في كلامهم، أي جعلت الجنة قريبا من المتقين، أي ادنوا منها. والجنة موجودة من قبل ورود المتقين إليها فإزلافها قد يكون بحشرهم للحساب بمقربة منها كرامة لهم عن كلفة المسير إليها، وقد يكون عبارة عن تيسير وصولهم إليها بوسائل غير معروفة في عادة أهل الدنيا. وقوله:﴿غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴾يرجح الاحتمال الأول، أي غير بعيد منهم وإلا صار تأكيدا لفظيا لـ: أزلفت كما يقال: عاجل غير آجل، وقوله: ﴿ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه: 79] والتأسيس أرجح من احتمال التأكيد... والتقدير: مكانا غير بعيد، أي عن المتقين. وهذا الظرف حال من الجنة"[2].

فسّر رحمه الله هذه المفردة بمعنى القربة والدنو، وهذا المعنى ذكره أهل العلم من أصحاب اللغة والغريب وأهل التفسير.

أقوال اللغويين في معنى اللفظة:

قال ابن فارس:" زلف: الزاء واللام والفاء يدل على اندفاع وتقدم في قرب إلى شيء. يقال من ذلك ازدلف الرجل: تقدم. ويقال لفلان عند فلان زلفى، أي قربى. قال الله جل وعز: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ ﴾[ص: 25]. والزلف والزلفة: الدرجة والمنزلة. وأزلفت الرجل إلى كذا: أدنيته"[3].

وقال ابن سيده:" ز ل ف: الزلف والزلفة والزلفى: القربة والدرجة. زلف إليه، وازدلف وتزلف دنا منه...وأزلف الشيء: قربه، وفي التنزيل:﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء: 90]

أي: قربت...

[1] – ينظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة ق، 138/6، وينظر:خلق أفعال العباد، البخاري ت: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض، ص 74.

[2] – التحرير والتنوير، 318/26-319.

[3] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3، ص 21.

والمزدلفة: موضع بمكة، قيل: سميت بذلك لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة من عرفات، ولا أدري كيف هذا "[1].

وقال صاحب القاموس:" الزلف، محركة: القربة، والدرجة، والحياض الممتلئة، أو الحوض الملآن وبهاء: المصنعة الممتلئة..ج: زلف"[2].

وهذا المعنى قال به أصحاب الغريب أيضًا:

قال أبو عبيدة:" ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ قرّبت"[3].

وقال ابن قتيبة:" ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ ﴾ أي أدنيت"[4].

وقال ابن الجوزي:" ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ﴾ قربت"[5].

وكذلك أورد هذا المعنى أهل التفسير أيضًا:

قال مقاتل:" ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ ﴾ يعني قربت الجنة للمتقين.."[6].

وقال الثعلبي:" ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ وَأُزْلفت وأدنيت الْجَنَّة لِلْمُتَّقِينَ حتى يروها قبل أن يدخلوها. غَيْرَ بَعِيدٍ منهم وهو تأكيد" [7].

وقال ابن عطية:" أزلفت معناه: قربت، و: غير بعيد تأكيد وبيان أن هذا التقدير هو في المسافة لأن قربت كان يحتمل أن معناه: بالوعد والإخبار، فرفع الاحتمال بقوله: غير بعيد"[8].

بالنظر إلى ما سبق نجد أنّ القول المجمع عليه في لفظة- أزلفت — في هذا السياق أنها بمعنى القربة، أي قربت وأدنيت وهذا ما ذكره الإمام ابن عاشور ويتوافق مع ما ذكره أهل العلم من اللغويين والمفسرين وأصحاب الغريب.

[1] – المحكم والمحيط الأعظم، ج9، ص 48.

[2] – القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 816-817.

[3] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 224.

[4] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 419.

[5] – تذكرة الأريب لابن الجوزي، ص 367، ومثله في تحفة الأريب لأبي حيان، ص 150.

[6] – تفسير مقاتل بن سليمان، ج4، ص 114.

[7] – تفسير الثعلبي، ج9، ص 104.

[8] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص 166.

قال تعالى:﴿ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴾ [ق:36]

المفردة: محيص.

قال ابن عاشور:".. والمحيص: مصدر ميمي من حَاص إذا عدَل وحاد، أي لم يجدوا محيصا من الإهلاك وهو كقوله تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾[مريم :98]"[1].

ذكر رحمه الله في شرح اللفظة معناها في اللغة حيث ذكر أنها بمعنى عدل وحاد، أي فلم يجدوا معدلاً ومحيصًا من الإهلاك، وقد ذكر هذا أهل اللغة والغريب والتفسير.

ما جاء عن اللغويين في معنى اللفظة:

قال ابن سيده:" حاص يحيص حيصا: رجع. وحاص الفرس يحيص حيصا فهو حيوص، لم يستقم في حضره. وحاص عن الشيء حيصا وحيوصا وحيصانا وحيصوصة ومحاصا ومحيصا، وحايصه وتحايص عنه: كله، عدل وحاد"[2].

وقال ابن منظور:" حيص: الحَيْصُ: الحَيْدُ عن الشيء. ويقال: ما عنه محيص أي محيد ومهرب وكذلك المحاص، والانحياص مثله... وتحايص عنه، كله: عدل وحاد. وحاص عن الشر: حاد عنه فسلم منه، وهو يحايصني"[3].

ما ذكره أصحاب الغريب في معنى اللفظة:

قال أبو عبيدة:" ﴿ مِن مَّحِيصٍ ﴾ من معدل"[4].

وقال السجستاني:"﴿ مِن مَّحِيصٍ ﴾ أي هل يجدون من الموت محيصًا، أي معدلا، فلم يجدوا ذلك[5].

وقال السمين الحلبي:" ح ي ص: قوله تعالى:﴿ مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾[إبراهيم:21] المحيص: المهرب والمعدل. يقال: حاص عن الحق أي مال عنه إلى شدة ومكروه، وأصله من قولهم: وقع في حيص بيص. وحيص بيص أي شدةٍ شديدةٍ. وتركت البلاد حيص بيص: أي منقلبة ظهرًا لبطنٍ، كناية عن اختلاف أهلها"[6].

---

[1] – التحرير والتنوير، 323/26.

[2] – المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج3، ص 421.

[3] – لسان العرب، ابن منظور، ج7، ص 19، وينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 159/1.

[4] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 224.

[5] – غريب القرآن، السجستاني، ص 203.

[6] – عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ج1، ص 474.

وقد ذكر هذا المعنى غير واحد من أهل التفسير:

قال الطبري:" وقوله ﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴾ يقول جل ثناؤه: فهل كان لهم بتنقبهم في البلاد من معدل عن الموت؛ ومنجى من الهلاك إذ جاءهم أمرنا وأضمرت كان في هذا الموضع، كما أضمرت في قوله﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴾[محمد: 13] بمعنى: فلم يكن لهم ناصر عند إهلاكهم"[1].

وقال الرازي:"قوله تعالى: ﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴾ يحتمل وجوها ثلاثة الأول: على قراءة من قرأ بالتشديد يحتمل أن يقال هو مفعول، أي بحثوا عن المحيص هل من محيص. الثاني: على القراءات جميعا استفهام بمعنى الإنكار أي لم يكن لهم محيص.الثالث: هو كلام مستأنف كأنه تعالى يقول لقوم محمد صلى الله عليه وسلم هم أهلكوا مع قوة بطشهم فهل من محيص لكم تعتمدون عليه والمحيص كالمحيد غير أن المحيص معدل ومهرب عن الشدة، يدلك عليه قولهم وقعوا في حيص بيص أي في شدة وضيق، والمحيد معدل وإن كان لهم بالاختيار يقال حاد عن الطريق نظرا، ولا يقال حاص عن الأمر نظرا"[2].

ومجمل القول في معنى لفظة – محيص – في هذه الآية ما ذكره ابن عاشور ووافق به علماء اللغة والغريب وجمع من أهل التفسير، وهو معنى: ما عنه محيص أي محيد ومهرب، من حاص وتحايص عنه، إذا: عدل وحاد.

قال تعالى:﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾ [ق:38]

المفردة: لغوب.

قال ابن عاشور:" ومعنى وما مسنا من لغوب: ما أصابنا تعب. وحقيقة المس: اللمس، أي وضع اليد على شيء وضعا غير شديد بخلاف الدفع واللطم. فعبر عن نفي أقل الإصابة بنفي المس لنفي أضعف أحوال الإصابة كما في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾ [المجادلة: 3] فنفي قوة الإصابة وتمكنها أحرى. واللغوب: الإعياء من الجري والعمل الشديد"[3].

[1] – تفسير الطبري، ج21 ، ص 461.

[2] – تفسير الرازي، ج28، 150.

[3]- التحرير والتنوير، 326-325/26 .

فسّر رحمه الله لفظة اللغوب بمعنى الإعياء والتعب، وهذا ما جاء عن أهل اللغة والغريب والتفسير.

ما جاء عن اللغويين في معنى اللغوب:

لغب :واللغب: التَّعَب والإعياء يُقَال: لغب يلغب لغبا ولغب لغوبًا وَهِي أفْصح اللغتين. وفِي التَّنْزِيل: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[1].

قال الجوهري:" لغب اللُغوبُ: التعب والإعياء. تقول منه: لَغَبَ يَلْغُبُ بالضم لُغوباً.. وألغبته أنا أي أنْصَبْتُهُ. ورجلٌ لغْبٌ بالتسكين، أي ضعيفٌ بيِّن اللَغابَةِ"[2].

وقال ابن فارس:" لغب: اللغوب: التعب والمشقة، يقال: أتانا ساغباً لاغباً، أي: جائعاً تعباً.

قال الله – عز وجل –: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ قال: وسهم لغب، إذا كانت قذذه — ريش السهم– بطناناً، وهو رديء "[3].

وهذا المعنى جاء عن أصحاب الغريب أيضًا:

قال الفراء:" وقوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ يقول: من إعياء، "وذلك أن يهود أهل المدينة قالوا: ابتدأ خلق السموات والأرض يوم الأحد، وفرغ يوم الجمعة، فاستراح يوم السبت ، فأنزل الله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾" [4] إكذابًا لقولهم..[5]

وقال الزجاج:" وقوله:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾اللغوب: التعب والإعياء. وهذا فيما ذكر أن اليهود – لعنت – قالت: خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة، واستراح يوم السبت، فأعلم الله عز وجل أنه خلقها في ستة أيام وسبحانه وتعالى أن يوصف بتعب أو نصب"[6].

---

[1] – جمهرة اللغة، ابن دريد، ج1، ص 370.

[2] – الصحاح، الجوهري، ج1، ص 220.

[3] – مجمل اللغة، ابن فارس، ج1، ص 810، وينظر: مقاييس اللغة، 256/5، لسان العرب، 742/1.

[4] – الحديث أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، الحديث رقم 2789، 2149/4، وقد تكلم فيه علماء الحديث، وقال بعضهم هذا الحديث في متنه غرابة شديدة، ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين زين العابدين المناوي، ج3، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ، ص 447.

[5] – معاني القرآن، الفراء ، ج3، ص 80.

[6] – معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص 49.

وجاء في كتاب ياقوتة الصراط في معنى ﴿مِن لُّغُوبٍ ﴾ قال أي: من تَعب"[1].

وكذلك أورد هذا المعنى جمع من أهل التفسير:

جاء في تفسير مجاهد: في قوله:﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ قال: " اللغب: النّصَب، يقول اليهود: إنه أعيي بعد ما خلقهما عز وجل"[2].

وقال مقاتل:"..وما مسنا يعني وما أصابنا من لغوب، يعنى من إعياء يقول الله- تعالى- لنبيه ﷺ فاصبر على ما يقولون لقولهم إن الله استراح يوم السابع..."[3].

وقال البغوي:" قوله عزّ وجلّ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ ، إعياء وتعب"[4].

وجملة ما قيل في معنى لفظة اللغوب أنها بمعنى التعب والإعياء كما ذكر الإمام ابن عاشور ووافق في هذا جمع من أهل اللغة والغريب والتفسير، وقيل هي بمعنى النّصَب، وقيل السآمة... وهذه الألفاظ التي عبّر بها العلماء في معنى اللفظة جاءت بتعبيرات متقاربة وهذا من باب اختلاف التنوع، فاللغوب هو الإعياء والتعب وهو النّصَب.

سورة الذاريات:

قال تعالى:﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴾ [الذاريات:1]

المفردة: الذاريات.

قال الإمام رحمه الله:" القسم المفتتح به مراد منه تحقيق المقسم عليه وتأكيد وقوعه وقد أقسم الله بعظيم من مخلوقاته وهو في المعنى قسم بقدرته وحكمته...والمقسم بها الصفات تقتضي موصفاتها فآل إلى القسم بالموصوفات لأجل تلك الصفات العظيمة. وفي ذلك إيجاز دقيق، على أن في طي ذكر الموصوفات توفيرا لما تؤذن به الصفات من موصوفات صالحة بها لتذهب أفهام السامعين في تقديرها كل مذهب ممكن.. واختلف أيمة السلف في محمل هذه الأوصاف وموصوفاتها. وأشهر ما

[1] – ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، غلام ثعلب، ص 479.

[2] – تفسير مجاهد، ص 615.

[3] – تفسير مقاتل بن سليمان، ج4، ص 116.

[4] – تفسير البغوي، ج4، ص 276.

روي عنهم في ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب[1] وابن عباس ومجاهد أن الذاريات الرياح لأنها تذور التراب، وفالحاملات وقرا: السحاب... فالأحسن أن يحمل الذرو على نشر قطع السحاب نشرا يشبه الذرو، وحقيقة الذرو رمي أشياء مجتمعة ترمى في الهواء لتقع على الأرض مثل الحب عند الزرع ومثل الصوف وأصله ذرو الرياح التراب فشبه به دفع الريح قطع السحاب حتى تجتمع فتصير سحابا كاملا فالذاريات تنشر السحاب ابتداء كما قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾[الروم: 48] والذرو وإن كان من صفة الرياح فإن كون المذرو سحابا يؤول إلى أنه من أحوال السحاب وقيل ذروها التراب وذلك قبل نشرها السحب وهو مقدمة لنشر السحاب"[2].

نقل رحمه الله أقوال السلف في معنى هذه اللفظة، وجاءت أقوالهم أنها بمعنى الرياح، وقد ذكر هذا جمع من أهل العلم من اللغويين وأصحاب الغريب والتفسير.

المعنى اللغوي للفظة:

قال ابن سيده:" ذ ر و: ذرت الريح التراب وغيره ذروا وأذرته أطارته وأذهبته وقد ذرا هو نفسه وذروت الحنطة وذريتها نقيتها في الريح وتذرت هي تنقت...والذرا والذراوة ما ذرا من الشيء. وذرى رأسه سرحه"[3].

وقال الفيروز آبادي:" ذرت الريح الشيء ذروا...وذراوة النبت، بالضم: ما أرفت من يابسه فطارت به الريح، وما سقط من الطعام عند التذري، وما ذرا من الشيء، كالذرى، بالضم. وذروة الشيء، بالضم والكسر: أعلاه"[4].

ما ذكره أصحاب الغريب في معنى اللفظة:

قال الفراء:" قوله عزّ وجلّ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ يعنى: الرياح"[5].

---

[1] – الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، يكنى أبا الحسن، أسلم صغيرًا، شهد بدرًا والحديبية وسائر المشاهد، قُتل في رمضان سنة: 40 ، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بن عبد البر، ت: علي محمد البجاوي، ج3 ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م، ص 1089-1122.

[2] – التحرير والتنوير، 26/336-338.

[3] – المحكم والمحيط الأعظم، بن سيده ج10، ص 111.

[4] – القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 1284.

[5] – معاني القرآن، الفراء ، ج3، ص 82، ومثله في غريب القرآن للسجستاني، ص127.

وقال أبو عبيدة:"﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ هي الريح وناس يقولون: المذريات للريح، ذر وأذرت لغتان[1].

وقال ابن قتيبة:"﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ الرياح. يقال: ذرت الريح التراب، تذرو[هـ] ذروا ، وتذريه ذريًا. ومنه قوله: ﴿ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ [الكهف:45]"[2].

أقوال المفسرين:

قال مقاتل:"﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ يعنى الرياح ،ذرت ذروا "[3].

وقال الطبري:" يقول تعالى ذكره ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ يقول: والرياح التي تذرو التراب ذروا، يقال: ذرت الريح التراب وأذرت"[4].

وقال ابن عطية:" أقسم الله تعالى بهذه المخلوقات تنبيها عليها وتشريفا لها ودلالة على الاعتبار فيها حتى يصير الناظر فيها إلى توحيد الله تعالى.﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ﴾ الرياح بإجماع من المتأولين، يقال: ذرت الريح وأذرت بمعنى: وفي الرياح معتبر من شدتها حينا، ولينها حينا وكونها مرة رحمة ومرة عذابا إلى غير ذلك. وذَرْواً نصب على المصدر"[5].

ومجمل ما ورد في معنى لفظة – الذاريات– أنها بمعنى الرياح ، وهذا القول محل إجماع من العلماء كما حكى ذلك ابن عطية[6]، لكن ابن عاشور يرى أنّ الرياح تذر السحاب وليس التراب وقال من الأحسن أن يحمل الذرو على نشر قطع السحاب نشرًا يشبه الذرو.

قال تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾ [الذاريات: 7]

المفردة: الحبك.

قال ابن عاشور:"..والحُبُكُ: بضمتين جمع حباك ككتاب وكتب ومثال ومثل، أو جمع حبيكة مثل طريقة وطرق، وهي مشتقة من الحَبْك بفتح فسكون وهو إجادة النسج وإتقان الصنع. فيجوز أن

[1] – مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 225.

[2] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 420.

[3] – تفسير مقاتل، ج4، ص 127.

[4] – تفسير الطبري، ج21، ص 479.

[5] – تفسير بن عطية، ج 5، ص 171.

[6] – قال الخضيري:" وهذا إجماع صحيح وذلك لإطباق السلف على تفسير الرياح بذلك ولدلالة ظاهر القرآن على أنّ الذرو من صفات الرياح"، ينظر: الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الخضيري، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1416هـ ، ص 393.

يكون المراد بحبك السماء نجومها لأنها تشبه الطرائق الموشاة في الثوب المحبوك المتقن. وروي عن الحسن وسعيد بن جبير وقيل الحبك: طرائق المجرة التي تبدو ليلا في قبة الجو. وقيل: طرائق السحاب. وفسر الحبك بإتقان الخلق. روي عن ابن عباس وعكرمة وقتادة. وهذا يقتضي أنهم جعلوا الحبك مصدرا أو اسم مصدر، ولعله من النادر. وإجراء هذا الوصف على السماء إدماج أدمج به الاستدلال على قدرة الله تعالى مع الامتنان بحسن المرأى..."[1].

ذكر رحمه الله المعنى اللغوي للفظة وأتى بأقوال السلف للاستدلال على معناها، حيث ذكر عدة أقوال ومعاني وكأنّ لفظة- الحبك – تتحملها كلها وتعتبر مرادة بها.

ما جاء عن أهل اللغة في معنى الحبك:

قال الجوهري:" حبك: الحباك والحبيكة: الطريقة في الرمل ونحوه،. وجمع الحباك حبك، وجمع الحبيكة حبائك. وقوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾ قالوا: طرائق النجوم...وحبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا، أي أجاد نسجه..."[2].

وقال ابن فارس:"حبك: الحاء والباء والكاف أصل منقاس مطرد؛ وهو إحكام الشيء في امتداد واطراد. يقال بعير محبوك القرى، أي قويه. ومن الإحتباك الإحتياك، وهو شد الإزار؛ وهو قياس الباب. وحبك السماء في قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾ ، فقال قوم: ذات الخلق الحسن المحكم. وقال آخرون: الحبك الطرائق، الواحدة حبيكة. ويراد بالطرائق طرائق النجوم. ويقال كساء محبك أي مخطط"[3].

وقال الزمخشري:"ح ب ك:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾وللريح في الماء والرمل حبك وحبائك وحبيك أي طرائق، الواحد حبيكة وحباك، وما أحسن ما حبكتها الرياح...وكساء محبك: مخطط. وكأن خطه

[1] – التحرير والتنوير، 26/ 340-341.

[2] – الصحاح، الجوهري، ج4، ص 1578.

[3] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2، ص 130.

وشيٌ محبوك، وذهب مسبوك...وحبكت الثوب: كففته، وحبكت الحبل: شددته، وبناء محبك موثق. وحبكت العقدة: وثقتها"[1].

وبمثل هذه المعاني جاءت أقوال أصحاب الغريب:

قال أبو عبيدة:"﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾ الطرائق ومنها سمى حباك الحائط الإطار وحباك الحمام طرائق على جناحيه، وطرائق الماء حبكه"[2].

وقال ابن قتيبة:"﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾ ذات الطرائق. ويقال للماء القائم -إذا ضربته الريح فصارت فيه طرائق-: له حبك. وكذلك الرمل: إذا هبت عليه الريح فرأيت فيه كالطرائق - فذلك: حبكه"[3].

وقال الزجاج:"وقوله﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾ جاء في التفسير أنها ذات الخلق الحسن، وأهل اللغة يقولون ذات الحبك ذات الطرائق الحسنة، والمحبوك في اللغة ما أجيد عمله وكل ما تراه من الطرائق في الماء وفي الرمل إذا أصابته الريح فهو حبك، وواحدها حباك. مثل مثال ومثل، وتكون واحدتها أيضا حبيكة مثل طريقة وطرق"[4].

ما ذكره أهل التفسير في معنى المفردة:

في تفسير مجاهد: عن ابن عباس، في قوله:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾ قال: يعني استواءها وحسنها. وعن مجاهد، قال: يعني المتقن البنيان".[5]

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : والسماء ذات الخلق الحسن وعنى بقوله: ﴿ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾: ذات الطرائق، وتكسير كل شيء: حبكه.. يقال لتكسير الشعرة الجعدة: حبك؛ وللرملة إذا مرت بها الريح الساكنة، والماء القائم، والدرع من الحديد لها: حبك"[6].

---

[1] - أساس البلاغة، الزمخشري، ج1، ص 165.

[2] - مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص 225.

[3] - غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 420.

[4] - معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص 52.

[5] - تفسير مجاهد، ص 617.

[6] - تفسير الطبري، ج21، ص 486.

ما نقله الإمام رحمه الله من المعاني عن السلف في تفسير كلمة – الحبك – لم تخرج عنها أقوال أكثر أهل اللغة والغريب والتفسير، فقيل في معنى الحبك عدة أقوال؛ أحدها أنها بمعنى ذات الطرائق وقيل ذات الخلق والحسن، وقيل هي البنيان المتقن، أو هي الزينة، وقيل حُبكُها نجومها.. فكل هذه الأقوال في معناها وإن اختلفت ألفاظ القائلين فيها فهي ترجع إلى شيء يجمعها وهو الحسن والبهاء، لأنّ أصل الحبك الشدّ والإحكام وإجادة العمل النسج، وتحسين أثر الصنعة.

قال تعالى:﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ [الذاريات:10]

المفردة: الخرّاصون.

قال ابن عاشور:"...والخرص: الظن الذي لا حجة لصاحبه على ظنه، فهو معرض للخطأ في ظنه وذلك كناية عن الضلال عمدا أو تساهلا، فالخراصون هم أصحاب القول المختلف، فأفاد أن قولهم المختلف ناشئ عن خواطر لا دليل عليها. وقد تقدم في [الأنعام:116]﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ قال:"والخرص: الظن الناشئ عن وجدان في النفس مستند إلى تقريب، ولا يستند إلى دليل يشترك العقلاء فيه، وهو يرادف: الحزر، والتخمين.. وإطلاق الخرص على ظنونهم الباطلة في غاية الرشاقة لأنها ظنون لا دليل عليها غير ما حسن لظانيها. ومن المفسرين وأهل اللغة من فسر الخرص بالكذب، وهو تفسير قاصر، نظر أصحابه إلى حاصل ما يفيده السياق في نحو هذه الآية، ونحو قوله:﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ وليس السياق لوصف أكثر من في الأرض بأنهم كاذبون، بل لوصمهم بأنهم يأخذون الاعتقاد من الدلائل الوهمية، فالخرص ما كان غير علم، قال تعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الزخرف: 20]، ولو أريد وصفهم بالكذب لكان لفظ – يكذبون – أصرح من لفظ يخرصون"[1].

فالمراد هنا الخرص بالقول في ذات الله وصفاته. واعلم أن الخرص في أصول الاعتقاد مذموم لأنها لا تبنى إلا على اليقين لخطر أمرها وهو أصل محل الذم في هذه الآية. وأما الخرص في المعاملات بين الناس فلا يذم هذا الذم وبعضه مذموم إذا أدى إلى المخاطرة والمقامرة. وقد أذن في بعض الخرص للحاجة..."[2].

[1] – التحرير والتنوير، 28/8.

[2] – المرجع نفسه، 343/26-344.

ذهب ابن عاشور في تفسيره لهذه المفردة أنها تطلق على معنى الظن الذي لا حجة لصاحبه على ظنه، وما كان بغير علم والقول في ذات الله، وقد ذكر هذا المعنى بعض من علماء اللغة والغريب والتفسير.

ذهب أكثر علماء اللغة في معنى الخرص إلى أنه بمعنى الكذب :

قال الخليل:"خرص: الخرص: الكذب، والخراصون في قوله جل وعز:﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾: الكذابون، ويخرصون: يكذبون. والخرص: الحزر في العدد والكيل، والخارص: يخرص ما على النخلة، ثم يقسم الخراج على ذلك"[1].

وقال ابن سيده:" خرص يخرص خرصا، وتخرص: كذب. ورجل خراص: كذاب، وفي التنزيل: ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ وخرص العدد يخرصه، ويخرصه، خرصا وخرصا: حزره"[2].

وكذلك أورد علماء الغريب هذا المعنى وزاد بعضهم معنى الظن والحزر:

قال الفراء:" وقوله﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ يقول: لعن الكذابون الذين قالوا: محمد ﷺ : مجنون، شاعر كذاب، ساحر. خرصوا ما لا علم لهم به"[3].

وقال السجستاني:" الخراصون: أي: الكذابون. والخرص: الكذب. والخرص أيضا الظن والحزر[4].

وقال الراغب:"والخَرْص: المحروز، كالنّقض للمنقوض، وقيل: الخَرْص الكذب.. قيل: معناه يكذبون. وقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ قيل: لعن الكذّابون، وحقيقة ذلك: أنّ كلّ قول مقول عن ظنّ وتخمين يقال: خَرْصٌ، سواء كان مطابقا للشيء أو مخالفا له، من حيث إنّ صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظنّ ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظّنّ والتّخمين، كفعل الخارص في خرصه، وكلّ من قال قولا على هذا النحو قد يسمّى كاذبا- وإن كان قوله مطابقا للمقول المخبر عنه"[5].

[1]- العين، الخليل بن أحمد، ج4، 183.

[2] - المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج5، ص 54.

[3]- معاني القرآن، الفراء، ج3، ص 83، ومثله في غريب القرآن لابن قتيبة، ص 421.

[4] - غريب القرآن، السجستاني، ص 86.

[5] - المفردات للراغب الأصفهاني، ص 279.

أما أهل التفسير فقد اقتصر أكثرهم في تفسير الخرص أنه بمعنى الكذب وذكر بعضهم معنى الظن والتخمين:

جاء عن مجاهد، في قوله:﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ أي:لعن الكذابون الذين يخرصون الكذب، يقولون: لا نبعث، ولا يوقنون بالبعث...[1].

وقال ابن عطية:" وقوله تعالى:﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ دعاء عليهم، كما تقول: قاتلك الله وقتلك الله وقال بعض المفسرين معناه: لعن الخراصون، وهذا تفسير لا تعطيه اللفظة. والخراص: المخمن القائل بظنه فتحته الكاهن والمرتاب وغيره ممن لا يقين له، والإشارة إلى مكذبي محمد ﷺ على كل جهة من طروقهم"[2].

وقال أبي السعود:"﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ دعاء عليهم كقوله تعالى﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٧] وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون"[3].

ذكر الإمام ابن عاشور في تفسير لفظة الخرص أنها بمعنى الظن الذي لا حجة لصاحبه على ظنه، ويكون بغير علم ويرادفها التخمين والحزر، وأنّ المراد بها في هذا السياق الكذب والخرص بالقول في ذات الله وصفاته، كما عقّب على من فسّر الخرص بالكذب وقال بأنه تفسير قاصر يحمله معنى هذه الآية ونحوها ويفيده السياق فلا يُحمل معنى الخرص عمومًا على الكذب فقط. قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾ [الذاريات: 26]

المفردة: راغ.

قال رحمه الله في معنى المفردة:" و راغ مال في المشي إلى جانب، ومنه: رَوغان الثعلب. والمعنى: أن إبراهيم حاد عن المكان الذي نزل فيه الضيوف إلى أهله، أي إلى بيته الذي فيه أهله...

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام[4]: إن الروغان ميل في المشي عن الاستواء إلى الجانب مع إخفاء إرادته ذلك وتبعه على هذا التقييد الراغب والزمخشري وابن عطية فانتزع منه الزمخشري أن إخفاء

[1] – تفسير مجاهد، ص 618.

[2] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص 173.

[3] – تفسير أبي السعود، ج8، ص 137.

[4] – أبو عبيد القاسم بن سلام، طلب العلم وسمع الحديث ودرس الأدب ونظر في الفقه، أخذ الأدب عن أبي عبيدة، وكان ورعًا جوادًا، توفي سنة: 223 وقيل 224هـ ، ينظر: نزهة الألباء للأنباري، ص 109-114.

إبراهيم ميله إلى أهله من حسن الضيافة كيلا يوهم الضيف أنه يريد أن يحضر لهم شيئا فلعل الضيف أن يكفه عن ذلك ويعذره وهذا منزع لطيف"[1].

فسّر رحمه الله لفظة – الروغ – بمعنى الميل في المشي، راغ: أي حاد عن المكان، وهذا المعنى جاء عن أهل العلم من اللغويين والمفسرين وأصحاب الغريب.

ما ذكره أهل اللغة في معنى اللفظة:

قال الخليل:" روغ: الرواغ: الثعلب...قال: كلهم أروغ من ثعلب ...ما أشبه الليلة بالبارحة[2].

وما زال فلان يروغ عني، أي: يحيد. وطريق رائغ، أي: مائل. وراغ فلان إلى فلان، أي: مال إليه سرا...والرائغ: ما حاد عن الطريق الأعظم وتقول: راغ عليه بضربة، أي: نال، إذا فعل ذلك سرا.وقول الله جل وعز﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾ كل ذلك انحراف في استخفاء"[3].

وقال ابن فارس:" روغ: الراء والواو والغين أصل واحد يدل على ميل وقلة استقرار. يقال راغ الثعلب وغيره يروغ. وطريق رائغ: مائل. وراغ فلان إلى كذا. إذا مال سرا إليه"[4].

وأورد هذه المعاني أصحاب الغريب أيضًا:

قال ابن قتيبة:"﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾ أي عدل إليهم في خفية. ولا يكون "الرواغ" إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك"[5].

وقال الراغب:" روغ، الروغ: الميل على سبيل الاحتيال، ومنه: راغ الثعلب يروغ روغانا، وطريق رائغ: إذا لم يكن مستقيما، كأنه يراوغ، وراوغ فلان فلانا..قال:﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾،

﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾ [الصافات:93] أي: مال، وحقيقته: طلب بضرب من الروغان"[6].

ونصّ على هذا المعنى جمع من أهل التفسير:

قال الزمخشري:"﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيوفه، ومن أدب المضيف أن يخفى

---

[1]– التحرير والتنوير، 26/358-359.

[2] – ديوان طرفة بن العبد، ت: مهدي محمد ناصر الدين، ط3، دار الكتب العلمية، 1423هـ/2002م، ص 17.

[3] – العين، الخليل بن أحمد، ج4، ص 445-446، وينظر: الصحاح، 4/1320.

[4] – مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2، ص 460، وينظر: المحكم، 6/57، الأساس، 1/396، لسان العرب، 8/430.

[5] – غريب القرآن، ابن قتيبة، ص 421.

[6]– المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 373.

أمره ، وأن يباده بالقرى من غير أن يشعر به الضيف، حذرا من أن يكفه ويعذره"[1].

وقال ابن عطية:" و: راغ: معناه مضى إثر حديثه مخفيا زواله مستعجلا. كأنه لم يرد أن يفارقهم فمضى إلى ناحية من داره مستعجلا ورجع من حينه. وهذا تشبيه بالروغان المعروف، لأن الرائغ يوهم أنه لم يزل"[2].

ومجمل ما ورد عن أهل العلم من أصحاب اللغة والغريب والتفسير في معنى لفظة – فراغ – في هذا السياق أنها بمعنى العدول والميل عن المشي سرًا، وهي تعني كذلك الانحراف في استخفاء، وحيث إنّ الروغ لا يكون إلا في خفي، وهذا ما ذكره الإمام ابن عاشور ووافق فيه جمع من أهل العلم.

[1]– الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 401.

[2] – المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5، ص 177.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده حمدًا كثيراً على نعمه والشكر له سبحانه على ما وفقني وأعانني لإكمال هذا البحث كما وفقني في أوله للشروع فيه.

بعد إتمامي لهذه الدراسة التي تطرقت فيها لموضوع غريب القرآن عند ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير – من سورة الأحقاف- إلى سورة الذاريات – توصلت لجملة من النتائج من أهمها:

- ابن عاشور إمام مجتهد ومفسّر ثقافته نموذج للثقافة الزيتونية العريقة السائدة في عصره.
- يعد علم غريب القرآن الكريم من أهم العلوم المتعلقة بتفسير الكتاب العظيم فهو يساعد في فهم كلام الله تعالى ومعرفة دلالاته ومعانيه.
- حظي علم غريب القرآن باهتمام العلماء وتنوعت مناهج التأليف فيه وفي تسمية كتبهم وترتيبها ومعالجة مواد الغريب فيها.
- ابن عاشور من أبرز المفسرين المعتنين بتفسير المفردات الغريبة وتناولها بالدراسة والتحليل.
- انتهج رحمه الله في التعامل مع الألفاظ الغريبة منهجًا مميّزًا ودقيقًا من حيث تحليل اللفظة وذكر معناها في أصل اللغة والمعنى السياقي واهتمامه باشتقاقاتها وذكر الخلاف الوارد فيها عن العلماء .
- استعان ابن عاشور في تفسير الغريب بأدلة وشواهد منها: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال السلف وأشعار العرب وأمثالها.
- تعدد موارد ابن عاشور ومصادره في الكلام على الألفاظ الغريبة، وإلى جانب ذلك يقف موقف الناقد والمستدرِك على ما نقله.
- الإمام ابن عاشور كثُر عنده شرح الغريب حيث يفوق ما ذكره حول الكلمات الغريبة كثيراً من الكتب المصنفة في غريب القرآن.
- الإمام لم تكن له أقوال ولا اختيارات شاذة في شرح الغريب، بل وافقت تفسيراته وشروحاته ما عليه أكثر أصحاب الغريب والتفسير في الغالب، إلاّ ما أضافه هو من إضافات ومصطلحات تميّز بها تفسيره.

- الغريب عند ابن عاشور: الإمام ابن عاشور يهتم ببيان شرح المفردات عمومًا إلاّ أنه في مواد الغريب يتعمق ويركّز في التحليل ويبين أصل الكلمة واشتقاقها ومصدرها وتصريفها ومعناها اللغوي وربطه بالسياق، وعمومًا فهو في مواد الغريب أعمق تحليلاً وتدقيقًا.

أهم التوصيات:

من خلال الدراسة ونتائجها فإني في ختام البحث أطرح بعض التوصيات راجيةً أن يستفيد منها كلّ باحث وطالب وهي:

- أوصي كل متخصص في علوم القرآن أو غيره ممن يهتم بالقرآن والتفسير أن يجعل تفسير ابن عاشور من أولى اهتماماته لما في هذا التفسير من فوائد غنية ومعارف جمة.
- كذلك أوصي الباحثين والدارسين للتفسير بالاهتمام بدراسة مواد الغريب عند المفسرين الذين يهتمون بالغريب في تفاسيرهم.
- الاستمرار في هذا المشروع في تفسير ابن عاشور بمواصلة استقراء كامل الألفاظ الغريبة في تفسيره.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به.

فما كان من صحةٍ وصوابٍ فمن الله وتوفيقه، وما كان من خطإٍ أو زللٍ فمن نفسي ومن الشيطان، ولله الحمد في الأولِ والآخرِ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيراً.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾	البقرة	7	38
﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾		117	53
﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ ﴾		124	56
﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾		164	72
﴿ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾	آل عمران	79	39
﴿ وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴾	النساء	117	40
﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰٓ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾		143	37
﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾		145	41
﴿ وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ ﴾	المائدة	12	104
﴿ سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾		110	117
﴿ مَكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾	الأنعام	06	68
﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾		25	117
﴿ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ ﴾		31	85
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾		105	72
﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾		116	132
﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ ﴾		128	93
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾		164	86
﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	الأعراف	10	69
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَ ﴾		36	77

﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾	الأنفال	39	86
﴿ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾		67	82
﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾	التوبة	30	65
﴿ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾		42	108
﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ ﴾		127	72
﴿ مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾	إبراهيم	21	124
﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾	الحجر	79	56
﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا ﴾	النحل	92	106
﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ ﴾	الإسراء	71	56
﴿ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾	الكهف	45	128
﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾		84	70
﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾	مريم	98	123
﴿ مَكَانٗا سُوٗى ﴾	طه	58	69
﴿ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾		79	77- 122
﴿ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ ﴾	الأنبياء	47	116
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	الحج	41	70
﴿ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمُۢا بُورٗا ﴾	الفرقان	18	109
﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾		74	55
﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾	الشعراء	90	122
﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ﴾	النمل	19	61
﴿ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾		83	61
﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ﴾	القصص	45	94
﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا ﴾		57	68

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾	الروم	48	128
﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ ﴾	يس	12	56
﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾		12	56
﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾	الصافات	10	49
﴿ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾		49	69
﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾		93	135
﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾	ص	25	122
﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾		52	42
﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾	غافر	25	78
﴿ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ ﴾	فصلت	24	94
﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾	الزخرف	20	132
﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	الأحقاف	04	48
﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ ﴾		08	51
﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾		09	53
﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا ﴾		12	55
﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ﴾		15	58
﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ ﴾		15	60
﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾		21	62
﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾		22	64
﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾		24	66
﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾		26	67
﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾		27	71
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾		33	73
﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾		01	77

﴿ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾	محمد	02	79
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾		04	81
﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾		04	84
﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾		06	87
﴿ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾		07	90-104
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾		08	90
﴿ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾		12	93
﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴾		13	124
﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ ﴾		15	95
﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ ﴾		16	96
﴿ وَلَن يَتِرۡكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾		35	100
﴿ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴾		37	102
﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾	الفتح	09	104
﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾		10	106
﴿ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴾		12	108
﴿ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾		25	109
﴿ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ ﴾		29	111
﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾	الحجرات	07	113
﴿ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾		14	115
﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴾	ق	05	117
﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ ﴾		10	119
﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ﴾		31	122
﴿ هَلۡ مِن مَّحِيصٖ ﴾		36	123

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾		38	125
﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴾	الذاريات	01	127
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾		07	129
﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾		09	65
﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾		10	132
﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾		26	134
﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾	الطور	21	115
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾	الحديد	20	39
﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾	المجادلة	03	125
﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾	القلم	20	43
﴿ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ ﴾	نوح	07	38
﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾	المدثر	51	45
﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾	القيامة	11	85
﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾	المرسلات	3-1	42
﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾	النبأ	34	42
﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾	عبس	17	134
﴿ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾	التكوير	20	69
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾	العاديات	06	41

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الصفحة
أنّ النبي ﷺ خرج في طائفة من أصحابه حتى أتى مدراس اليهود فقرأ عليهم القرآن ودعاهم.	40
أن يهود أهل المدينة قالوا: ابتدأ خلق السموات والأرض يوم الأحد، وفرغ يوم الجمعة، فاستراح يوم السبت ، فأنزل الله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾	126
أنه سمع النبي ﷺ في صلاة الصبح قرأها بالصاد.	120
فعثرت أم مسطح في مِرطها فقالت: تعِس مسطح.	90
كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر.	81-79
كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم.	118
ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة.	40
من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتر أهله ومالَه.	101-100

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم المترجم له	الصفحة
إبراهيم أبو إسحاق الزجاج	54
إبراهيم المارغني	07
ابن الجوزي	31
ابن جرير الطبري	31
ابن صمادح التجيبي	30
أبو السعود العمادي	76
أبو سليمان الخطابي	26
أبو عبيد القاسم بن سلام	134
أبو عبيدة معمر بن المثنى	29
أبي بكر الرازي	30
أبي جعفر الخزرجي	30
أبي حيان الأندلسي	31
أبي عبيد الهروي	30
أبي موسى المديني	30
أحمد أبو إسحاق الثعلبي	83
أحمد أبو عبد الله القرطبي	84
أحمد بن فارس أبو الحسين	59
أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس	65
أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي	72
إسماعيل بن حماد الجوهري	66
إسماعيل بن عمر بن كثير	73
الأعشى ميمون بن قيس	85

الإمام علي بن أبي طالب	127
امرؤ القيس	39
البريق الهذلي	88
البشير الإبراهيمي	10
بن سيده أبو الحسن	78
جلال الدين السيوطي	31
الحسين بن عبد الله أبو هلال العسكري	56
الحسين بن مسعود أبو محمد البغوي	57
الخليل بن أحمد	48
الراغب الأصفهاني	30
زكريا بن يحي الفراء	49
زين العابدين بن الحسين	09
سالم بو حاجب	07
سعيد أبو الحسن الأخفش	54
شهاب الدين بن الهائم	67
عبد الحق بن غالب بن عطية	58
عبد الحميد بن باديس	09
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	102
عبد الله بن السيد البطليوسي	80
عبد الله بن شداد بن عمرو	119
عبد الله بن عباس	32
عبد الله ناصر الدين البيضاوي	53
عبد الملك بن عاشور	09
عبد الملك بن قريب الأصمعي	74
عثمان بن جني أبو الفتح	119

علاء الدين الخازن	94
علي بن حمزة الكسائي	74
عمر بن الشيخ	08
الفاضل بن عاشور	08
قطبة بن مالك	120
مجاهد بن جبر	50
مجمع بن هلال	91
محمد الحبيب بن الخوجة	09
محمد الخضر حسين	09
محمد العزيز بوعتور	06
محمد النجار	08
محمد النخلي	07
محمد بن أحمد الأزهري	79
محمد بن إسماعيل الصنعاني	52
محمد بن عاشور الجد	05
محمد بن عزير السجستاني	29
محمد بن مكرم بن منظور	93
محمد بن يعقوب الفيروز آبادي	76
محمد خليفة المدني	09
محمد صالح الشريف	07
محمود بن عبد الله الألوسي	76
محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري	57
مسلم ابن قتيبة الدينوري	31
مصطفى صادق الرافعي	27
مقاتل بن سليمان	89

مكي بن أبي طالب القيسي	50
النابغة الذبياني	39
نافع بن الأزرق	32

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	القائل	الصفحة
..... عليه القَتَامُ سيء الظن والبال	امرؤ القيس	79
بذات لَوث عفرناةٍ إذا عَثرت ... فالتعسُ أولى لها من أن أقول لَعَا	الأعشى	91-90
تَقُولُ وقد أَفْرَدْتُها من حَليلِها ... تَعِسْتَ كما أَتْعَسْتَني يا مُجَمِّعُ	مجمع بن هلال	91
ثناءٌ كعرْف الطِّيبِ يُهْدَي لأهلِه ... وليس لهُ إلا بني خالدٍ أهلُ	مسلم بن الوليد	88
حياك ربي فإنا لا يحل لنا ... لهو النساء وإن الدين قد عزما	النابغة	39
عيوا بأمرهم كما ... عيت ببيضتها الحمامة	عبيد بن الأبرص	75
فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرّ عينا بالإياب المسافر	سليم الحنفي أو عبد ربه السلمي	84
فعادى عداء بين ثور ونعجة...وكان عداء الوحش منّي على بال	امرؤ القيس	79
فلَعمْرُ عرْفِك ذي الصُّمَاحِ كمَا ... عَصَبَ السَّفَارُ بغضْبَة اللَّهْمِ	البريق الهذلي	88
كلهم أروغ من ثعلب ...ما أشبه الليلة بالبارحة	طرفة بن العبد	135
وأعددت للحرب أوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا	الأعشى	86-85
وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لهو بها غير معجل	امرؤ القيس	39
وذات أثارة أكلت عليه ... نباتًا في أكمته قَفَارا	راعي الإبل	50-49
ونبكي حين نقتلكم عليكم ... ونقتلكم كأنا لا نبالي	العقيلي	79
يُزل الغلام الخف عن صهواته	امرؤ القيس	53

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

1. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، جمع وتقديم: د- أحمد طالب الإبراهيمي ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
2. الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الخضيري، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1416هـ.
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
4. أساس البلاغة، الزمخشري ، ت: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1419هـ/1998م.
5. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بن عبد البر، ت: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل بيروت، 1412هـ/1992م.
6. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، 1409هـ/1989م.
7. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ط8، دار الكتاب العربي، بيروت 1425هـ/2005م.
8. الأعلام، الزركلي، ، ط15، دار العلم للملايين، 2002م .
9. إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر الغربي القاهرة، 1406هـ/1982م.
10. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ت: محمد المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1418هـ.
11. البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت 1420هـ.
12. البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1376هـ/1957م.
13. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي، دار الكتاب العربي القاهرة 1967م.
14. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.

15. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ، ت: مجموعة من المحققين ، دار الهداية.
16. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ت: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1422ه/2002م.
17. تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، ط2، مكتبة دار التراث القاهرة 1393ه/1973م.
18. التبيان في تفسير غريب القرآن ، ابن الهائم، ت:د، ضاحي عبد الباقي محمد ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.
19. التحرير في أصول التفسير، مساعد الطيار، ط1، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، 1435ه/2014م.
20. التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس ،1984م.
21. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبي حيان الأندلسي، ت: سمير المجذوب، ط1 المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، 1403ه/1983م.
22. تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي، ت : طارق فتحي السيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425 ه/ 2004 م.
23. تراجم المؤلفين التونسيين، ، محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1404ه/1984م.
24. تراجم لتسعة من العلماء، محمد بن إبراهيم الحمد، 1427ه.
25. تفسير القرآن العظيم،ابن كثير،ت:سامي سلامة، ط2، دار طيبة للنشر 1420ه/1999م.
26. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د، مساعد الطيار ، دار ابن الجوزي.
27. تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم، مكي بن أبي طالب القيسي، دراسة وتحقيق: هدى الطويل المرعشلي، ط1، دار النور الإسلامية، بيروت، لبنان، 1408ه/1988م.
28. تفسير غريب القرآن ، الصنعاني ، ت: محمد صبحي حلاّق، ط1، دار ابن كثير، دمشق بيروت، 1421ه/2000م.
29. تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1398ه/1978م.

30. تفسير مجاهد، ت: محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر 1410ه/1989م.

31. تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله محمود شحاتة، ط1، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1423ه.

32. التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي،ت:عبد السلام الهراس، دار الفكر،لبنان 1415ه/1995م.

33. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمع الفيروز آبادي ، دار الكتب العلمية، لبنان.

34. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند 1326ه

35. تهذيب اللغة، الأزهري ، ت: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي بيروت 2001م.

36. تونس وجامع الزيتونة، محمد الخضر حسين، اعتنى به: علي رضا الحسيني، دار النوادر سوريا لبنان، الكويت، 1431ه/2010م.

37. جامع البيان في القراءات السبع الداني، ط1، جامعة الشارقة، الإمارات 1428ه/2007م

38. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ،ت: عبد الله التركي، ط1، دار هجر،1422 ه/2001 م.

39. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384ه/1964م.

40. جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي ، ت: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين بيروت 1987م.

41. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، شهاب الدين بن عمر الخفاجي، دار صادر بيروت.

42. حسن المحاضرة، السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية مصر.

43. الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394ه/1974م.

44. خلق أفعال العباد، البخاري، ت: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض.

45. دراسة لغوية في أراجيز رؤبة والعجاج ، د، خولة تقي الدين الهلالي، دار الرشيد للنشر منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، الجمهورية العراقية، 1982م.

46. الدرر الكامنة، ابن حجر، ت: محمد عبد المعيد ضان، ط2، مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند، 1392هـ/1972م.

47. ديوان الأسود بن يعفر، ت: نوري حمودي القيسي، مديرية الثقافة العامة، بغداد 1390هـ/1970م.

48. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ت: محمد حسين، مكتبة الآداب.

49. ديوان النابغة الذبياني، ت: عباس عبد الساتر، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1416هـ/1996م.

50. ديوان امرؤ القيس ، ت: عبد الرحمن المصطاوي، ط2، دار المعرفة ، بيروت 1425هـ/2004م.

51. ديوان صريع الغواني – مسلم بن الوليد.

52. ديوان طرفة بن العبد، ت: مهدي محمد ناصر الدين،ط3،دار الكتب العلمية 1423هـ/2002م.

53. ديوان عبيد بن الأبرص،ت:حسين نصار، ط1، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر 1377هـ/1957م.

54. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ .

55. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ .

56. السراج في بيان غريب القرآن، محمد بن عبد العزيز الخضيري، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2008م.

57. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، الألباني، ط1، مكتبة المعارف الرياض، 1415هـ/1995م.

58. سنن أبي داود، ت: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

59. السنن الكبرى للنسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، ط1 مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2001م.

60. سير أعلام النبلاء، الذهبي، دار الحديث، القاهرة،1427هـ/2006م.

61. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف،ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،1424هـ/2002م.

62. شرح ديوان الحماسة، أبو علي بن الحسن المرزوقي ، ت: غريد الشيخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.

63. شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، محمد الحبيب بن الخوجة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ/2004م.

64. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهريّ، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ/ 1987م.

65. صحيح أبي داود-الأم- الألباني، ط1، مؤسسة غراس، الكويت، 1423هـ/2002م.

66. صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.

67. صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

68. صفحات من تاريخ تونس، محمد بن الخوجة، ت: حُمّادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1986م.

69. الطبقات الكبرى، ابن سعد، ت: إحسان عباس ،ط1، دار صادر، بيروت 1968م.

70. طبقات المفسرين، الأدنه وي ، ت: سليمان بن صالح الخزي، ط1، مكتبة العلوم والحكم السعودية، 1417هـ/1997م.

71. طبقات المفسرين، الداوودي، راجع النسخة لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت.

72. طبقات المفسرين، السيوطي، ت: علي محمد عمر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة 1396هـ.

73. علوم البلاغة "البيان،المعاني،البديع"، أحمد بن مصطفى المراغي.

74. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، ت: محمد باسل عيون السود ط1 دار الكتب العلمية، 1417هـ/1996.

75. العمدة في غريب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، شرح وتعليق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م.

76. العين، الخليل بن أحمد، ت: د، مهدي المخزومي، د، إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

77. غريب الحديث، ابن قتيبة، ت: عبد الله الجبوري، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ

78. غريب الحديث، أبو سليمان الخطابي، ت: عبد الكريم الغرباوي ، دار الفكر، دمشق 1402هـ/1982م.

79. غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ، السجستاني، عنى بتصحيحه لجنة من أفاضل العلماء مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، 1382هـ/1963م.

80. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، ت: أحمد فريد المزيدي، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، 1419هـ/1999م.

81. الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، ت: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، لبنان.

82. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين زين العابدين المناوي، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ.

83. القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، ت: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م.

84. الكشاف، الزمخشري ، ط3، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1407هـ.

85. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي ، ت: أبي محمد بن عاشور، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، 1422هـ/2002م.

86. لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

87. لسان العرب، ابن منظور، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

88. لسان الميزان، بن حجر العسقلاني، ت: دائرة المعارف النظامية، الهند، ط2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ، 1390هـ/1971م.

89. مجاز القرآن، أبو عبيدة، تعليق: د، محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجى، مصر 1381هـ.

90. مجمع الأمثال ، أبو الفضل الميداني، ت: محمد عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

91. مجمل اللغة، ابن فارس، ت: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1406هـ/1986م.

92. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، المديني أبو موسى ، ت: عبد الكريم العزباوي ط1 دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، 1406هـ/1986م.

93. المحرر الوجيز ، ابن عطية ، ت: عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1422هـ.

94. المحكم والمحيط الأعظم ، بن سّيده ، ت: عبد الحميد هنداوي ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1421هـ /2000م.

95. مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة 1421هـ/2001م.

96. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

97. مصنف ابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد الرياض1409هـ.

98. معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي ، ت : عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

99. معاني القرآن ، النحاس، ت: محمد علي الصابوني، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1409هـ.

100. معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج، ت: عبد الجليل شلبي، ط1،عالم الكتب،بيروت 1408هـ/1988م.

101. معاني القرآن، الأخفش، ت: الدكتورة هدى قراعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411 هـ /1990م .

102. معاني القرآن، الفراء ، ت: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار، عبد الفتاح الشلبي ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر.

103. معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ت: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1414هـ/1993م.

104. المعجم الأوسط، الطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

105. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

106. معجم الشعراء ، المرزباني، ت: ف.كرنكو، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1402 هـ/1982.

107. معجم الشعراء العرب، مجموع من الموسوعة الشعرية.

108. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر 1399هـ/1979م.
109. مفاتيح الغيب ، الرازي ، ط3، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 1420هـ .
110. مفتاح العلوم، السكاكي، ت: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1407هـ/1987م.
111. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: محمد سيّد كيلاني.
112. مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، ط2، دار النفائس، الأردن، 1421هـ/2000م.
113. من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره، د. بلقاسم الغالي، ط1، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، 1417هـ/1996م.
114. منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر، ط1، الدار المصرية، القاهرة 1422هـ/2001م.
115. موطأ الإمام مالك، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1406هـ/1985م.
116. الميسّر في غريب القرآن الكريم، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1433هـ.
117. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، كمال الدين الأنباري، ت:إبراهيم السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الأردن،1405هـ/1985م.
118. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
119. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ، ت: طاهر أحمد الزاوي ، محمود الطنّاحي المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م.
120. الوجوه والنظائر، أبي هلال العسكري، ت: محمد عثمان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1428هـ/2007م.
121. ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، غلام ثعلب، ت: محمد بن يعقوب التركستاني ط1 مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، 1423هـ/2002م.

122. شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن السكري، ت: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة.

الرسائل الجامعية:

1.استدراكات ابن عاشور على الطبري وابن عطية في تفسيره التحرير والتنوير، لخالد بن زريق الشهراني، رسالة دكتوراة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 1431/1430هـ.

2.مبتكرات القرآن عند الطاهر بن عاشور– دراسة بلاغية — هاني بن عبيد الله الصاعدي رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع الأدب والبلاغة والنقد، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 1434هـ/2013م.

3.تحولات بنية الكلمة في غريب القرآن في ضوء علم اللغة المعاصر، محمد إسماعيل الملاحمة رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، عمادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2004م.

4.ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية، جمال أبو حسان، رسالة ماجستير أصول الدين بكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية،1991م.

5.آليات الاستنباط عند ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، مراد عطاسي.

6.الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير الطالب محمد بن سعد القرني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة المملكة العربية السعودية، 1427هـ.

7. التوجيه اللغوي لقراءة نافع في تفسير الطاهر بن عاشور– نماذج تطبيقية إلهام شقرون رسالة ماستر ، تخصص دراسات قرآنية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1434هـ /2013م

8.الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير" المعاني والبديع" رانية الشوبكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، غزة 1430هـ/2009م.

9.أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، مشرف بن أحمد الزهراني، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1427/1426هـ.

10. مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد الغزالي رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435/1434هـ.

المؤتمرات والمواقع الإلكترونية:

1.جهود العلماء في غريب القرآن ، د، عبد الرحمن الشهري، بحث ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن وعلومه، موضوع: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه ، أيام: 10-11-12- جمادى الأول 1432هـ ، الموافق لـ: 14-15-16-أبريل 2011م جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

2.موقع وكيبيديا الموسوعة الحرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
ملخص البحث باللغة العربية	
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: التعريف بالإمام ابن عاشور وكتابه التحرير والتنوير	1
المبحث الأول: ترجمة موجزة لابن عاشور	2
المطلب الأول: الحياة الشخصية لابن عاشور	3
المطلب الثاني: حياته العلمية	6
المطلب الثالث: وفاته وأهم آثاره	14
المبحث الثاني: التعريف بتفسيره التحرير والتنوير	16
المطلب الأول: اسم الكتاب ووصفه	17
المطلب الثاني: المنهج العام لابن عاشور في تفسيره	19
المطلب الثالث: مصادره في كتابه	21
الفصل الأول: التعريف بعلم غريب القرآن الكريم	23
المبحث الأول: تعريف غريب القرآن ونشأته وأهم المؤلفات فيه	24
المطلب الأول: تعريف غريب القرآن لغة واصطلاحًا	25
المطلب الثاني: نشأته وتطوره	27
المطلب الثالث:مناهج التأليف في علم غريب القرآن وأهم مؤلفاته	29
المبحث الثاني: غريب القرآن في تفسير التحرير والتنوير	35
المطلب الأول: منهج ابن عاشور في عرض الغريب	36
المطلب الثاني: خصائص منهج الإمام في الغريب	42

المطلب الثالث: مصادر ابن عاشور في غريب القرآن	45
الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية دراسة لأبرز مواد الغريب عند ابن عاشور كما هي مرتبة في الجدول	136-47
سورة الأحقاف:	
أثارة	51-48
تفيضون	53-51
بدعًا	55-53
إمامًا	58-55
كرهًا	60-58
أوزعني	62-60
الأحقاف	64-62
تأفكنا	66-64
عارضًا	67-66
مكناهم	71-67
صرفنا	73-71
يعي	76-73
سورة محمد ﷺ :	
أضل	79-77
بالهم	81-79
أثخنتموهم	84-81
أوزارها	87-84
عرّفها	90-87
تعسًا	92-90
مثوى	95-93
ءاسن	96-95

ءانفًا	100-96
يتركم	102-100
يحفكم	104-102
سورة الفتح:	
تعزروه	105-104
نكث	108-106
بورًا	109-108
معرة	111-109
شطئه	113-111
سورة الحجرات:	
لعنتم	115-113
يلتكم	117-115
سورة ق:	
مريج	119-117
باسقات	121-119
أزلفت	123-122
محيص	125-124
لغوب	127-125
سورة الذاريات:	
الذاريات	129-127
الحبك	132-129
الخراصون	134-132
فراغ	136-134
الخاتمة	138

الفهارس	140
فهرس الآيات القرآنية الكريمة	141
فهرس الأحاديث والآثار	146
فهرس الأعلام المترجم لهم	147
فهرس الأبيات الشعرية	151
قائمة المصادر والمراجع	152
فهرس الموضوعات	162